أهل بيت الرسالة

(عليهم السلام)

قــادة و أُســوة

السيد منذرالحكيم

فهرست اجمالي

المدخل: هداية الله وإرادة الإنسان .....٣.

الفصل الأوّل: بشارة الأنبياء وسيدهم محمّد بن عبدالله المصطفى (صلى الله عليه وآله).....١١

الفصل الثاني: الامام المرتضى سيّد الأوصياء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام).....٤٥

الفصل الثالث: سيدة النساء فاطمة الزهراء(عليها السلام) أُم الأئمة الطاهرين ٣٧

الفصل الرابع: سبط الرسول الأكبر الإمام المجتبى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ٩٧

الفصل الخامس: سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).....١٢١

الفصل السادس: زين العابدين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ١٤١

الفصل السابع: باقر علم النبيّين الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).... ...١٦٧

الفصل الثامن: صادق أهل البيت الإمام جعفر بن محمّدبن علي بن الحسين (عليهم السلام)..... .....١٨٣

الفصل التاسع: كاظم الغيظ الامام موسى بن جعفربن محمدبن علي بن الحسين (عليهم السلام) ٢٠٥

الفصل العاشر: الامام الرضاعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين(عليهم السلام)..... .٢٣١

الفصل الحادي عشر: الامام التقيّ محمّد بن علي بن موسى بن جعفر الجواد(عليهم السلام) ٢٥١

الفصل الثاني عشر: الامام الهادي علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفرالنقي(عليهم السلام) ...٢٦٧

الفصل الثالث عشر: الامام الزكي الحسن بن علي بن محمدبن علي بن موسى العسكري (عليهم السلام) ٢٨٩

الفصل الرابع عشر: الإمام المهدي المنتظر محمّد بن الحسن بن علي بن محمدبن علي(عليهم السلام) ... ٣٠٥

المدخل

الرؤية القرآنية في دراسة التاريخ والسيرة

هداية الله وإرادة الإنسان

لقد جرت سنّة الله ـ بمقتضى حكمته الفريدة ـ على أن يتسلّق الإنسان قمم الكمال بملء إرادته واختياره مسترشداً بعناية الله ورعايته وهدايته فـ (**إنّ هدى الله هو الهدى**)[١] .

ومن هنا جعل الله الهداية والإرشاد الى سبيل الكمال فرضاً على نفسه كما قال: (**إنّ علينا للهُدى**)[٢] .

وتولّى هو نَصْبَ الهُداة ومشاعل النور على مدى الطريق الشائك في الحياة، فقال: (**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**)[٣] .

وسلّحهم بجميع أدوات الهداية والإرشاد، في أنفسهم وظروف نشأتهم وسلوكهم وحركاتهم وسكناتهم.. فتوفّروا على عناصر: (المعرفة واليقين)، (والانقياد التام للحقّ)، (والصبر على النوائب)، (والحِلم عند الشدائد)، (وسعة الصدر)، (وطهارة النفس: فكراً وخُلقاً وسلوكاً)، (ودماثة الخُلُق)، حتى بلوغهم قمّة العبودية لله سبحانه ونيلهم شرف الولاية الإلهية ووسام الهداية الربّانية لخلقه وبريّته وعباده.

وأفصح عن أوسمة كمالاتهم هذه بقوله تعالى:

١ ـ (**بل عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**)[٤] .

٢ ـ (**وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**)[٥] .

٣ ـ (**وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**)[٦] .

٤ ـ (**والسابقون السابقون* أُولئك المقرّبون**)[٧] .

وهكذا انتظمت سنّة الله في الهداية حيث يسّر الله للإنسانية جمعاء سلوك طريق الكمال اللائق بها، وقرن ذلك بأنواع التوفيق وأصناف الترغيب والتحذير ليضمن تحقّق ما أراد وأحبّ.

---

(١) البقرة: ١٢٠.

(٢) الليل: ١٢.

(٣) الإنسان: ٧٣.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) الأنبياء: ٧٣.

(٦) الأنبياء: ٧٣.

(٧) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

ولكن الإنسانية هل انتفعت بهذه السنّة الإلهية، وهل استثمرت هذه الرحمة وهذا الفيض الربوبي؟

لقد اختلفت ردود الفعل وتنوّعت الاستجابات لهذه الهداية:

فمنهم: من صمّ أُذنيه وأغمض عينيه واستغشى ثيابه ولم يشأ أن يفكِّر أو يتعقّل ليُبصر الطريق وينتهج السبيل الأمثل. وعبّر القرآن عن هؤلاء بقوله تعالى:

١ ـ **(فاستحبّوا العمى على الهدى)**[٨] .

٢ ـ **(وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير)**[٩] .

٣ ـ **(ومنهم من حقّت عليه الضلالة، انّهم اتخذوا الشياطين أولياء)**[١٠] .

ومنهم: من فتح عينيه وأصغى الى نداء الحق بأذنيه ليستمع ويكتشف الحقيقة وليبصر طريق الهدى ويسلك سبيل النجاة عن فكر وتعقّل ورويّة.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الصنف بـ «المهتدين»، كما أنه اعتبر الهداية ذات مراتب ودرجات قائلاً:

١ ـ **(لهم درجات عند الله)**[١١] .

٢ ـ **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات)**[١٢].

وهكذا صرّح بأن الهداية تقبل الزيادة والنقصان بقوله تعالى:

٣ ـ **(والذين اهتدوا زدناهم هُدىً)**[١٣] .

وبهذا يتضح أن المؤمنين على مراتب، وليسوا جميعاً على حدٍّ سواء، فمنهم من يقنع بأدنى مراتب الهداية والايمان، ومنهم من يحرص على بلوغ أكمل مراتب الاهتداء وأعلى قمم الكمال.

وإذا اردنا أن نكتشف السرّ في تلك القناعة غير المحدودة وهذا الحرص الممدوح كان علينا أن نفتّش في جذور الهداية وأسباب الإيمان والاستباق والمسارعة الى الخير والفلاح داخل نفس الإنسان لنكتشف مفاتيح هذا السرّ ونستلهم منن ذلك نقطة الانطلاقف الى أعلى قمّة من قمم الكمال الإنساني المنشود.

فانّ الله قد زوّد الإنسان بكل ما يحتاجه لبلوغ قمة الأهداف المُثلى وزوّده بكامل الاختيار وحبّب إليه حسن الانتخاب قائلاً:

١ ـ **(ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها)**[١٤] .

٢ ـ **(وهديناه النجدين)**[١٥] .

---

(٨) فصلت: ١٧.

(٩) الملك: ١٠.

(١٠) النحل: ٣٦.

(١١) آل عمران: ١٦٣.

(١٢) المجادلة: ١١.

(١٣) محمد: ١٧.

(١٤) الشمس: ٧ ـ ٨.

(١٥) البلد: ١٠.

٣ ـ **(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)**[١٦] .

٤ ـ **(إن هذه تذكرة فمن شاء اتّخذ الى ربّه سبيلاً)**[١٧]س.

* * *

إنّ علوّ الهمّة وعدم القناعة بأدنى مراتب الكمال يعود أحد أسبابه الى وضوح الرؤية ونفاذ البصيره وقوّة اليقين. وكلّها تعود الى استرشاد العقل واستثماره بأحسن الأساليب وأعلى المراتب، كما أفصحت الآيات المباركة عن منهج الاستثمار الكامل للعقل في سورة الزمر قائلة:

(فبشِّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)[١٨] .

إنّ أُولي الألباب هم ذلك الصنف الممتاز من العقلاء، وهم الذين يستحقّون الهداية من الله لسلوكهم المنهج الصحيح في التحرّي والبحث عن الحقيقة من أجل اكتشاف الحقّ واتّباعه، ولهذا تتحقّق الهداية لهم بأعلى مراتبها وتتجلّى في اتّباعهم الأحسن وعدم قناعتهم بالحَسن من بين مراتب الحُسن والكمال.

ثلاث رؤى وثلاثة مواقف

لقد ابتعدنا قليلاً عن الغرض ، وهو تعدّد الرؤى وتعدد أنواع التعامل مع الهداة الربّانيين صلوات الله عليهم أجمعين. ولنعد الى بيان هذه النقطة بالذات قبل التركيز على أسباب تعدد الرؤى ونتائجها.

نقول: إن تعدد أنواع الاستجابة واختلاف مراتبها يعود الى تعدد الرؤى واختلاف مراتبها وتفاوت التصوّرات التي يحملها الناس عن الأنبياء والأئمة الهداة من حيث كونهم أُناساً عاديين، أو خروجهم عن أُفق البشرية، أو كونهم بشراً نموذجيين.

فهنا ثلاث رؤى تتأرجح بين الإفراط والتفريط والاعتدال بالنسبة للمؤمنين بهم طبعاً. ومن هنا يتفاوت الإيمان وتتأرجح مراتبه لهذا العامل كما تتفاوت لعوامل أُخرى أيضاً.

الرؤية الأولى ونتائجها: إن المرسلين من الأنبياء والأئمة بشر عاديون، لا يختلفون عن غيرهم في شيء سوى أنهم مأمورون بتبليغ مهمة وأداء رسالة ليس إلاّ. وهم قد يخطئون وقد يغفلون وقد ينحرفون كغيرهم، وغاية ما في الأمر أن الله يسددهم حين التبليغ فقط وما عدا ذلك فهم لا يتجاوزون من سواهم.

ومن هنا لا يجد هؤلاء ضرورة لتدوين سنّة الأنبياء والأئمة وسيرتهم أو الاقتداء بها بل يرون أنّه من الممكن تجاوزها الى غيرها، فهم عباقرة من البشر، وما أكثر العباقره في عالم الإنسان على مدى التاريخ.

ومن هنا ينفتح باب الاستحسان والقياس في الشريعة على مصراعيه ويجتهد الصحابي ويرتقي في اجتهاده حتى يفوق النبي نفسه شأواً ومنزلةً وتصبح سنّته حجّة يتعامل معها كما يُتعامل مع سنّة النبي نفسه، بل قد تقدّم سُنّة الصحابي على سنّة النبي(صلى الله عليه وآله)في بعض الأحوال.

---

(١٦) الكفه: ٣٩.

(١٧) الإنسان: ٢٩.

(١٨) الزمر:

وتترتّب على هذه الرؤية آثار سلبية عظيمة نستطيع أن نجد لها نماذج كثيرة في المدوّنات التاريخية التي ورثناها عن السلف.

ومن هنا نستطيع أن نفهم السرّ في تقديم اجتهاد الصحابة على نصوص رسول الله(صلى الله عليه وآله) في حياته وبعد وفاته، كما نفهم سرّ التقديس العجيب لبعضهم دون بعض.

إذن تتلخّص الرؤية الأُولى في تغليب الجانب البشري وإغفال الجانب الإلهي والغيبي واللطف الربّاني المتمثل في طهارتهم وعصمتهم الشاملة.

الرؤية الثانية ونتائجها: ولعلّها تمثل ردّ الفعل للرؤية الأُولى وتتلخّص في تغليب الجانب الغيبي الى حدّ التغافل عن الجانب البشري بحيث يصبح النبي والإمام المعصوم مَلَكاً كريماً وإن كان في صورة بشر.

ومن هنا سوف تكون عصمته وطهارته هي الصفة الممتازة والمميّزة له عنمّا سواه تمييزاً لا يجعل الإنسان يفكّر في الاقتداء والتأسي به; لأن مواقفه غيبية خارجة عن متناول الفهم البشري، ولهذا لا يمكن فهم أسرار ومواقف الأنبياء والأئمة المعصومين، ولا يمكن دراستها دراسة علمية موضوعية ولا الاستلهام من مواقفهم كدروس علمية للحياة الإنسانية.

الرؤية الثالثة ونتائجها: وهي التي جمعت بين الجانبين البشري والغيبي وأعطت لكل جانب حقّه. فَهُم بشر مؤيّدون، حازوا قصب السبق في طريق الكمال واستبقوا الخيرات فكانوا من السابقين، كما قال تعالى: **(والسابقون السابقون أُولئك المقرَّبون)**[١٩] .

وبهذا استحقّوا التقديم على من سواهم. قال تعالى: **(فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)**[٢٠] . ومن هنا كانوا جديرين بأن تُحتذى خُطاهم ويُتأسى بأفعالهم وصفاتهم.

لقد حازوا على وسام العبودية الخالصة لله، فأخلصوا له ورضي الله إخلاصهم فاستخلصهم لنفسه وارتضاهم لدينه وجعلهم حَمَلة رسالته ووحيه والأُمناء على كتابه والهداية لعباده، فاكنوا أُسوةً يُقتدى بهم.

ويترتب على ذلك لزوم دراسة مواقفهم وسيرتهم وضرورة تدوين سنّتهم لتتعرّف الأجيال على أشخاصهم وشخصياتهم وكمالاتهم وتؤخذ مواطن العبرة من سلوكهم الخاص والعالم على حدّ سواء; فإن عصمتهم لا تمنع من التأسي بهم، وارتباطهم بالغيب لا يحول دون الاقتداء بهم; فإن الارتباط بعالم الغيب يضمن لنا صحّة الاهتداء بهديهم، ولا يخرجهم عن عالم البشرية، ولكنهم النموذج الأمثل للإنسان الذي يُراد تربيته، والكمال الذي يُراد للبشرية أن تصل إليه من خلال الاهتداء بالمفاهيم والقيم التي وعوها وبلّغوها الى بنى نوعهم ومن خلال التجسيد الحيّ لهذه المفاهيم والقيم والذي تجلّى في تفاصيل سلوكهم وسيرتهم كما قال تعالى:

١ ـ **(أُولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده)**[٢١] .

---

(١٩) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(٢٠) فاطر: ٣٢.

(٢١) الأنعام: ٩٠.

٢ ـ **(لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة)**[٢٢] .

٣ ـ **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)**[٢٣] .

٤ ـ **(قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله)**[٢٤] .

وهكذا يتضح ان النمرقة الوسطى والرؤية العملية المُثلى والتي تؤيدها محكمات الكتاب والسنّة الشريفة هي الرؤيه التي لا تُخرج الأنبياء والأئمة عن البشرية، قال تعالى في تأييد هذه الرؤية:

(قُل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ)[٢٥] .

وهذه الرؤية لا تهبط بهم دون مستواهم الواقعي الذي أهّلهم للاصطفاء والاجتباء الربّاني والذي يدور مدار ملاكات واقعية وقيم ضرورية هي التي تؤهل الإنسان لأن يختاره الله لهداية البشرية، قال تعالى:

(وربّك خلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)[٢٦] .

وقد أشار تعالى الى ملاكاته في التشريع والتقنين قائلاً:

١ ـ **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان...)**[٢٧] .

٢ ـ **(أفمن يهدي الى الحقّ أحقّ أن يُتّبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يُهدى...)**[٢٨] .

فمن بلغ الحق وكان قادراً على أن يهدي الى الحق فهو الجدير بأن يتّبع دون من يحتاج الى الهادي والمرشد فانّه غير جديربأن يكون متبوعاً بحكم العقل وتأييد الوحي.

ومن هنا كانت دراسة سيرة المعصومين دراسة موضوعية وتحليلية ضرورة من ضرورات الفقه والأخلاق والتربية والتبليغ والإرشاد.

وعلى معاهدنا العلمية أن تهتم بذلك اهتماماً جادّاً يتجلّى في برامجها الدراسية ودراساتها العُليا كي تشقّ طريقها الى أعماق التاريخ المعطاء وتغور الى مَعين السيرة الصافية من الشوائب علقت بها نتيجة الرؤى القاصرة أو التحريف المتعمّد على مدى القرون.

السيد منذر الحكيم

بيروت ١٤٣٣\٢\٣٠

---

(٢٢) الأحزاب: ٢١.

(٢٣) الحشر: ٧.

(٢٤) آل عمران: ٣١.

(٢٥) الكهف: ١١.

(٢٦) القصص: ٦٩.

(٢٧) النحل: ٩٠.

(٢٨) يونس: ٣٥.

الفصل الأوّل

سيّد المرسلين

محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) **بشارة الأنبياء**

جرت سُنّة الله ـ فضلاً منه ورحمة ـ على إخبار عباده بإرسال رسول يرسله إليهم في المستقبل، فكان أنبياء الله السابقون يبشّرون بمن يأتي من بعدهم من الأنبياء.

ولقد أشار القرآن إلى بشارة يحيى بنبوّة عيسى (عليه السلام) [٢٩]، كما أشار إلى بشارة عيسى بنبوّة محمّد(صلى الله عليه وآله)[٣٠].

فالأنبياء جميعاً يشكّلون خطّاً واحداً; إذ السابق يبشّر باللاّحق، واللاّحق يؤمن بالسابق. وقد صرّحت الآية ٨١ من سورة آل عمران بسنّة البشائر هذه، فضلاً عن الشواهد والتّطبيقات الّتي تلاحظها في مايلي:

١ . نصَّ القرآن على بشارة إبراهيم الخليل(عليه السلام) برسالة خاتم النّبيّين (صلى الله عليه وآله)بلسان الدّعاء، قائلا: (**ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمةَ ويزكّيهم إنّك أنت العزيز الحكيم**)[٣١].

٢ . صرّح القرآن بأنّ البشارة بنبوّة محمّد (صلى الله عليه وآله) الأُمّيّ كانت موجودة في العهدين: التوراة والإنجيل . ولو لم تكن البشارة موجودة فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالى: (**الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُمّيّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...**)[٣٢].

٣ . صرّحت الآية السّادسة من سورة الصف بأنّ عيسى (عليه السلام) صدَّقَ بالتوراة، وبشَّر برسالة نبيّ من بعده اسمه أحمد ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : (**وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَـبَنِى إِسْرَ ءِيلَ إِنّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ مُبَشّرًا بِرَسُول يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيّنَـتِ قَالُوا هَـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**)[٣٣]

---

(٢٩) آل عمران : ٣٩.

(٣٠) الصفّ: ٦.

(٣١) البقرة: ١٢٩.

(٣٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣٣) الصف : ٦.

أهل الكتاب في انتظار خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله)

لم يكتف الأنبياء السّابقون باعطاء الأوصاف العامّة للنبيّ المبشَّر به، بل ذكروا العلامات التي يستطيع المبَشَّرون من خلالها معرفته بشكل دقيق، من قبيل محلّ ولادته وهجرته، وخصائص زمن بعثته ، وعلامات جسميّة خاصّة، وصفات يتفرّد بها في سلوكه وشريعته، بل أخبر القرآن بأنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم[٣٤]. كما رتّبوا على ذلك آثاراً عمليّة، فاكتشفوا محلّ هجرته ودولته، واستقروا فيها ، وأخذوا يستفتحون برسالته على الذين كفروا[٣٥]، ويستنصرون برسول الله (صلى الله عليه وآله)على الأوس والخزرج. وتسرّبت هذه الأخبار إلى غيرهم عن طريق رهبانهم وعلمائهم، فانتشرت في المدينة، وتسرّبت إلى مكّة ، وأخبروا بها عبدالمطّلب[٣٦] وأباطالب[٣٧] وحذّروهما من كيد اليهود ، كما ذهب إلى يهود المدينة بعد إعلان الدعوة وفد من قريش ; للتثبّت من صحّة دعوى النبوّة التي سمعوها من محمّد(صلى الله عليه وآله) وحصلوا على معلومات اختبروا بها النبي (صلى الله عليه وآله)[٣٨]، واتّضح لهم من خلالها صدق دعواه.

وقد آمن جمع من أهل الكتاب وغيرهم بالنبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) على أساس هذه العلامات التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزة خاصّة[٣٩].

وتحتفظ لحدّ الآن بعض نسخ التوراة والإنجيل ببعض تلك البشائر[٤٠].

وهكذا تسلسلت البشائر بنبوّة خاتم النبيّين محمّد (صلى الله عليه وآله) قبل ولادته، وثمّ نقلُها خلال فترة حياته قبل بعثته. وقد اشتهر منها إخبار بحيرا الراهب، ثم شهادة ورقة بن نوفل برسالة محمّد (صلى الله عليه وآله) على ضوء هذه البشائر[٤١].

وقد نصّ عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على ذلك بقوله: «**.. ولم يخل الله سبحانه خلقَه من نبيّ مُرسَل، أو كتاب منزَل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة، رسلٌ لا تقصّر بهم قلّةُ عددهم، ولا كثرة المكذِّبين لهم، من**

---

(٣٤) الأنعام : ٢٠.

(٣٥) البقرة : ٨٩.

(٣٦) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

(٣٧) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٨١ وإعلام الورى، ص٢٦.

(٣٨) راجع شأن نزول سورة الكهف في أسباب النزول وكتب السيرة.

(٣٩) المائدة : ٨٣.

(٤٠) أنظر سيرة رسول الله و أهل بيته، ج ١، ص ٣٩، حيث نقل بعض البشائر عن إنجيل يوحنّا، وأنظر البشائر في كتاب أشعّة البيت النبويّ، ج ١ ص ٧٠ حيث نقلها عن التّوارة، وراجع أيضاً: بشارات العهدين ، وكتاب البشارات والمقارنات ، لمعرفة سائر البشائر.

(٤١) تجدبشارة ورقة بن نوفل وشهادته بوجودالبشائر في بداية البعثة النبوية في معظم كتب السيرة.

سابق مُسمّى له مَن بعدَه، أو غابر عَرّفه مَن قَبلَه، على ذلك نسلت القرون... إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) **. لإنجاز عِدَته وإتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورةً سِماتُه...»**[٤٢].

نعت النبي محمّد(صلى الله عليه وآله)

روى ابن سعد عن سهل مولى عتيبة ، الذي كان نصرانيّاً من أهل مريس، وكان يتيماً في حجر أُمّه وعمّه، وكان يقرأ الإنجيل، أنّه قال: ... فأخذتُ مصحفاً لعميّ، فقرأته حتّى مرّتْ بي ورقة، فأنكرتُ كتابتها حين مرّتْ بي، ومَسَسْتُها بيدي، فنظرتُ فإذا فصول الورقة مُلصَق بغِراء، ففتقتُها فوجدتُ فيها نعتَ محمّد (صلى الله عليه وآله): أنّه لاقصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم، يُكثر الاحتباء [٤٣]، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر ، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرّية إسماعيل، اسمه أحمد.

قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمّد (صلى الله عليه وآله) جاء عمّي، فلمّا رأى الورقة ضربني، وقال: مالكَ وَفَتْح هذه الورقة وقراءتها؟! فقلت: فيها نعت النبيّ أحمد، فقال: إنّه لم يأتِ بَعدُ[٤٤].

البيئة الطاهرة

للبيئة دور كبير ومهم في تربية الانسان، وصلاحه أو فساده. ونقصد بالبيئة الوسط البشري الذي يتلقّى فيه الانسان اصول ثقافته ولغته، ويتعلّم من خلاله العلوم و المعارف، وبه يسترشد، و فيه يتأسى بمن يحيط به من نماذج بشريّة، تؤثّر فيه ويتأثّر بها.

والأُسرة هي البيئة الأُولى، التي يتربّى فيها أبناء آدم(عليه السلام) وفيهم الأنبياء(عليهم السلام)دعاة التوحيد الذين نهضوا لمحاربة الشرك، والأخلاق الفاسدة ، والعادات المنحرفة. وقد أنشأهم الله تعالى، وربّاهم في أُسر موحِّدة ومسلمة. وأبوالأنبياء آدم (عليه السلام)هو الذي علّمه الله الأسماء كلّها، قبل هبوطه إلى الأرض، وهو أول موحِّد، وأوّل من فطره الله على توحيده، وعلى نهجه سار أبناؤه الأنبياء الذين ختموا بمحمد(صلى الله عليه وآله).

بيئة النبي (صلى الله عليه وآله) **في نصوص أهل البيت** (عليهم السلام)

لقد وصف الإمام عليّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) البيئة التوحيدية، التي أنبت الله فيها سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله) بقوله:

---

(٤٢) لاحظ الخطبة الأُولى من نهج البلاغة.

(٤٣) الاحتباء : جلسة يجمع فيها بين الظهر والساقين.

(٤٤) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٦٣.

«واختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسُرّة البطحاء...»[٤٥] ، **«... مستقرّه خير مستقرّ، ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة»**[٤٦]، **«... فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأُرومات مغرِساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أُمناءه»**[٤٧]، **«... كلّما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يُسهِم فيه عاهر، ولا ضَرَبَ فيه فاجر...»**[٤٨].

وحينما ذكر القرآن اصطفاء آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين أردفه بقوله تعالى: **(ذريّةً بعضها من بعض)**[٤٩]، وخصّ بالذكر نبيّه الخاتم، قائلاً: **(وتوكَّل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين)**[٥٠]. فالذين سبقوا محمّداً (صلى الله عليه وآله) كانوا كلّهم ساجدين خاضعين لله، لم يشركوا به طرفة عين.

وقد شرح الإمام الصادق (عليه السلام) هذا التقلّب، قائلاً: **«في أصلاب النبيين نبيٍّ بعد نبيّ، حتّى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غيرسفاح، من لدن آدم»**[٥١].

وقد صرّح النبيّ (صلى الله عليه وآله) نفسه بذلك، قائلاً: **«نُقِلْتُ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة، نكاحاً لا سفاحاً»**[٥٢].

وقال أيضاً: **«إنَّ الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واتّخذه خليلاً، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزار، ثم اصطفى من ولد نزار مضراً، ثم اصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبدالمطّلب، ثم اصطفاني من بني عبدالمطّلب»**[٥٣].

بيئة النبي (صلى الله عليه وآله) **في نصوص المؤرّخين**

صرّح المؤرخون بأن عبدالمطّلب قد رفض عبادة الأصنام، ووحّد الله عزّوجلّ، ووفى بالنذر، وسنّ سنناً أشار القرآن الى أكثرها ، كما جاءت السنّة من رسول الله إقراراً بها. و من هذه السنن: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الدية، وعدم نكاح المحارم، وعدم اتيان البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحدّ عليه، والقرعة،

---

(٤٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٦١.
(٤٦) نهج البلاغة، الخطبة ٩٦.
(٤٧) نهج البلاغة، الخطبة ٩٤.
(٤٨) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٤.
(٤٩) آل عمران : ٣٤.
(٥٠) الشعراء : ٢١٧ ـ ٢١٩.
(٥١) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ١، ص ٩.
(٥٢) المصدر نفسه.
(٥٣) ذخائر العقبى، ص ١٠ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٦١.

وألاّ يطوف أحد بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألاّ ينفقوا إذا حجّوا إلاّ من طيّب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات.

ولمّا قدم أصحاب الفيل خرجت قريش من الحرم فارّةً منهم فقال عبدالمطّلب: «**والله لا أخرج من الحرم، وأبتغي العزّ في غيره...**»،فكانت قريش تقول: عبدالمطّلب إبراهيم الثاني.

قال المسعودي: وكان عبدالمطّلب يوصي ولده بصلة الأرحام، وإطعام الطعام، ويرغّبهم ويرهّبهم فعل من يرقب معاداً وبعثاً ونشوراً(٥٤).

وقال الشهرستاني: كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثّهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيّات الأُمور، وكان يقول في وصاياه: **إنّه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتّى يُنتَقَم منه، وتصيبه عقوبة.** وهلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبدالمطّلب في ذلك، ففكّر وقال: **والله إنّ وراء هذه الدار داراً، يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقبُ فيها المسيء بإساءته**(٥٥).

ابن الذبيحين

لقد سُئل الإمام الرضا (عليه السلام) عن معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) : «**أنا ابن الذبيحَيْنِ**»، فقال: «إنّ عبدالمطّلب كان قد تعلّق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزّوجلّ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب إليه دعوته. فلمّا بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي، فَلاَ ُوفينّ لله عزّوجلّ. فأدخل وُلْده الكعبة وأسهم بينهم، فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان أحبّ ولده إليه، ثم أجالها ثانيةً فخرج سهم عبدالله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبدالله! فأخذه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك»(٥٦)!

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «**... فخرجت السهام على عبدالله فزاد عشراً ، فلم تزل السهام تخرج على عبدالله ويزيد عشراً، فلمّا أن بلغت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبدالمطّلب: ما أنصفتُ ربّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل، فقال: الآن علمتُ أنّ ربي قد رضي، فنحرها**»(٥٧).

آمنة بنت وهب

وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبدالله بسنة واحدة(٥٨)، خرج عبدالمطّلب بابنه عبدالله، حتّى أتى به إلى دار وهب بن عبدمناف بن زهرة ـ وهو يومئذ سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً ـ فخطب ابنته

---

(٥٤) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٠٣ و١٠٨.

(٥٥) موسوعة التأريخ الإسلاميّ، ج ١، ص ٢٤٤.

(٥٦) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٢١٢،

(٥٧) الخصال، ص ١٥٦،

(٥٨) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٩.

آمنة لعبدالله، وكانت آمنة أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فزوّجه إيّاها وأملكها، وفي داره دخل عبدالله على آمنة، فحملت برسول الله (صلى الله عليه وآله)[٥٩].

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) : «**أنّ آمنة بنت وهب رأت في المنام أنّه قيل لها: إنّ ما في بطنك سيّد، فإذا ولدته فسمّيه محمّداً.** ثم قال علي (عليه السلام)**: فاشتقّ الله له اسماً من أسمائه; فإنّ الله المحمود وهذا محمّد**»[٦٠].

لقد اكتسب عبدالله بن عبدالمطّلب شهرة عظيمة ، وأصبح موضع عناية الناس وحديثهم وحبّهم ، بعد قصّة فدائه التي أشبهت قصّة جدّه إسماعيل ... ثم قدّر الله له أن يقترن بأحسن فتاة في قريش ... ولكن لم يقدّر له أن يقيم معها طويلاً ; فقد أخرجه السعي إلى الشام في تجارة مع القرشيين ، متّجهين ، إلى غزّة تاركاً زوجته حاملاً. وعند رجوعه توجّه إلى يثرب ; ليزور أخواله ويجدّد بهم عهداً ، ولكنّ القضاء لم يمهله، فمرض هناك ، واضطر رفاقه إلى فراقه ، حاملين نبأ مرضه إلى أبيه عبدالمطّلب. فأرسل عبدالمطّلب الحارث ، أكبر أبنائه; ليلازم أخاه حتّى يبرأ ، ويعود به إلى مكة. غير أنّ القضاء كان يُسرِع بعبدالله ، ولم يصل الحارث إلى يثرب إلاّ بعد انقضاء أيّام على وفاته[٦١]، فرجع إلى أبيه محزون القلب ، مشتعل الأحشاء. وهو يحمل نبأ وفاة أحبّ أولاده إليه. إنّه نبأ ثقيل على عبدالمطّلب، ولكنّه لم يُوهِن صبره ولم يُضعف حلمه.

نشأة خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله)

لقد شاء الله أن يتولّى هو تربية محمّد (صلى الله عليه وآله) ، وأن ينزعه من أسرته; ليصبح في رعاية الله، تمهيداً للأُسرة الكبيرة الّتي سيكون محمّد (صلى الله عليه وآله)زعيمها، والّتي لا تهتمّ بجنس ولا لُغة ولا لون ، وإنّما أكرم الناس فيها أكثرهم تقوىً لله تعالى. وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى بقوله تعالى: (**ألم يجدك يتيماً فآوى**)[٦٢] كما عبّر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن ذلك بقوله: «**أدّبني ربّي فأحسن تأديبي**»[٦٣].

لقد حَرَمَتْ يد الحكمة محمّداً (صلى الله عليه وآله) من رحمة محدودة، ولكنّه تعالى أسبغ عليه رحمة غير محدودة; إذ آواه الى جدّه ثم إلى عمّه، فكانا يؤثرانه على أنفسهما وعلى جميع أبنائهما، وبذلا في سبيله من الرّحمة والعطف ما لا يستطيع الآباء بذله للأبناء، وذلك من فضل الله عليه. بل إنّ الله تعالى أولاه عنايةً

---

(٥٩) السيرة النبويّة (ابن هشام، ج ١، ص ١٦٥).

(٦٠) الاحتجاج، ج ١، ص ٣٢١.

(٦١) بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٢٤. وانظر تفسير سورة الضحى في مجمع البيان والميزان وفي ظلال القرآن.

(٦٢) الضحى : ٦.

(٦٣) أنظر ميزان الحكمة، تأديب الله للنبيّ (صلى الله عليه وآله)، رواه عن نورالثقلين، ج ٥، ص ٣٨٩.

خاصّة ; إذ تكفّل برعايته وحماه برحمته، وما أعظم هذه النعمة الّتي يقول الله عنها: **(وكان فضل الله عليك عظيماً)**[٦٤].

الولادة : زمانها ، مكانها ، وكيفيّتها

ولد (صلى الله عليه وآله) بمكّة ، في عام الفيل ، في شهر ربيع الأوّل. واشتهر عند الإمامية أنّها كانت في فجر يوم الجمعة ، السابع عشر منه، واشتهر عند غيرهم بأنّه ولد يوم الاثنين ، في الثاني عشر منه، عند طلوع الفجر أو طلوع الشمس أو عند الزوال.

واشتهر أيضاً عن آمنة بنت وهب ـ كما عن ابن إسحاق ـ حينما كانت تتحدّث عن أيام حملها بالنبي (صلى الله عليه وآله): أنّها رأت خروج نور منها، رأت به قصور بُصرى من أرض الشام، وقيل لها: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأُمّة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: **أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه محمّداً** [٦٥]. و أضافت حليمة بنت ذؤيب السعدية عن آمنة أنّها قالت: ثمّ والله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليّ ولا أيسر منه[٦٦].

قال اليعقوبي: ولمّا ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) رُجمت الشياطين، وانقضّت الكواكب[٦٧]. فلمّا رأت ذلك قريش أنكرت انقضاض الكواكب، وقالوا: ما هذا إلاّ لقيام الساعة. وأصابت الناس زَلزلة عمّت جميع الدنيا حتّى تهدّمت الكنائس والبِيَع، وزال كلّ شيء يُعبَد دون الله عزّوجلّ عن موضعه وعُمّيت على السّحرة والكهّان أُمورهم، وحُبست شياطينهم، وزلزل إيوان كسرى، فسقطت منه ثلاث عشرة شرّافة، وخمدت نار فارس، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام... وجاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش، فيهم هشام بن المغيرة والوليدبن المغيرة وعتبة بن ربيعة، فقال: وُلد لكم الليلة مولود[٦٨]... ولد الليلة نبيّ هذه الأُمّة، أحمد الآخِر... ثم أعطى علامات تدلّ عليه[٦٩].

رضاعه

وكان أوّل لبن شربه بعد لبن أُمّه لبنَ ثُوَيْبَة ـ مولاة أبي لهب بن عبدالمطّلب ـ وذلك قبل أن ترضعه حليمة بنت أبي ذؤيب السعديّة[٧٠]; حيث إنَّ أهل مكّة كانوا يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية; طلباً

---

(٦٤) النساء : ١١٣.

(٦٥) السيرة النبويّة (لابن هشام)، ج ١، ص ١٦٦.

(٦٦) موسوعة التأريخ الإسلاميّ، ج ١. ص ٢٥٠ عن ابن سعد.

(٦٧) انقضّت: سقطت وتناثرت.

(٦٨) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨ ـ ٩.

(٦٩) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٦ والسيرة النبويّة، ج ١، ص ٢٢٦ والإصابة، ٣/١ ص ١٨١.

(٧٠) تأريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٩.

للفصاحة. ويشهد لذلك قوله (صلى الله عليه وآله): «**أنا أفصح من نطق بالضاد، بَيْدَ أنّي من قريش، واسترُضِعت في بني سعد**».

وبقي (صلى الله عليه وآله) عندحليمة سنتين حتّى فطم، فقدمت به على أُمّه، وأخبرتها بما رأت من بركته فردّته معها، ثمّ ردّته على أُمّه، وهو ابن خمس سنين(٧١).

أسماؤه وكناه

روى محمدبن جبيربن مطعم عن أبيه أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول: «**إنّ لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحوالله بي الكفر، وأنا الحاشر، يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**»(٧٢).

وكنيته المعروفة أبوالقاسم ، وقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: «**تسمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**»(٧٣). وقيل أيضاً: إنّ كنيته في التوراة **أبوالأرامل** ، واسمه **صاحب الملحمة**(٧٤).

وقال الحلبي: لا يخفى أن جميع أسمائه (صلى الله عليه وآله) مشتقّة من صفات، قامت به. توجب له المدح والكمال، فله من كلّ وصف اسم(٧٥).

مراحل حياته

تنقسم حياته (صلى الله عليه وآله) بشكل أوّلي إلى مرحلتين متميّزتين:

المرحلة الأولى: من الولادة حتّى البعثة، وتبلغ أربعين سنة.

المرحلة الثانية: من البعثة حتّى الوفاة، وتبلغ ثلاثاً وعشرين سنة.

لقد عُرف محمّدبن عبدالله(صلى الله عليه وآله) في جميع مراحل حياته بالخُلق الطيّب ، والبُعد عن مظاهر الشرك، و معاقرة الخمرة، وحضور مجالس اللهو والميسِر، وغيرذلك ممّا كان يميل إليه الشباب في ذلك العصر. وكان لحُسن خلقه يُعرَف بالأمين. وحين تنازعت قريش في نصب الحجرالأسود نزلت على حكم محمّد(صلى الله عليه وآله) معترفة له بالأمانة والحُنكة والحزم.

واتّفق المؤرّخون أيضاً على أنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله) لم يعبد صنماً قطّ ، وقد بُغِّضت إليه الأوثان ، وأنَّه كان يجاور في حِراء من كلّ سنة شهراً ... كما تنزّه عن مذمومات الجاهليّة ، الّتي كان شباب العرب مولعين بها في ذلك العهد، بل كان ينهى عن عبادة الأصنام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وتنقسم كلّ مرحلة من مراحل حياته(صلى الله عليه وآله) أيضاً إلى مقاطع عديدة:

---

(٧١) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢١٨.

(٧٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٢٥ وطبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٤.

(٧٣) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٤.

(٧٤) المناقب، ج ١، ص ١٣ وإعلام الورى، ج ١، ص ٥١.

(٧٥) السيرة النبويّة (للحلبي)، ج ١، ص ٧٨ ـ ٨٢.

فالمرحلة الأُولى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: من الولادة حتّى الرحلة الأُولى إلى الشّام مع عمّه أبي طالب ، حين كان في الثانية عشرة من عمره.

والمقطع الثاني: يبدأ برجوعه من الشام حتّى الزواج بخديجة (عليها السلام)في الخامسة والعشرين من عمره.

والمقطع الثالث: من الزواج حتّى بعثته المباركة في الأربعين من عمره.

وتنقسم المرحلة الثانية (وهي مرحلة النبوّة والرسالة) إلى عهدين متميّزين:

العهد الأوّل : هو العهد المكّي. الذي استغرق ثلاث عشرة سنة.

والعهد الثاني: هو العهد المدني[٧٦]. الذي استغرق عشر سنين.

محطّات في حياة سيّد المرسلين

١ . ولد في عام الفيل في مكّة المكرّمة.

٢ . استرضع في بني سعد.

٣ . رُدّ إلى أُمّه وجدّه، وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره، وفي هذه الفترة ظهرت له كرامة الاستسقاء به.

٤ . توفّيت أُمّه، وهو في السادسة من عمره.

٥ . بقي بعد أُمّه مع جدّه سنتين، ثم توفّي جدّه، وهو في الثامنة من عمره.

٦ . أوكل جدّه رعايته إلى عمّه أبي طالب، وبقي عنده حتّى الزواج.

٧ . سافر مع عمّه إلى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره.

٨ . التقى ببحيرا الراهب في الطريق، وحذّر عمّه أباطالب من كيد اليهود له.

٩ . حضر حلف الفضول بعد العشرين من عمره.

١٠ . بعد تجديد بناء الكعبة نصب الحجر الأسود وأشرك القبائل في ذلك.

١١ . سافر إلى الشام; مضارباً بأموال خديجة (عليها السلام).

١٢ . تزوّج بخديجة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

١٣ . بُعث، وهو في الأربعين من عمره.

١٤ . استمرّت الدعوة الخاصّة ثلاث سنوات.

١٥ . وفي السنة الرابعة من البعثة أُمر بإنذار عشيرته الأقربين.

١٦ . نصّ على وصاية علي (عليه السلام) و تعيينه خليفةً له من بعده، يوم أنذر عشيرته الأقربين.

١٧ . ثم أُمر بالصدع بالرسالة لعامّة الناس.

---

(٧٦) راجع عصر النبي(صلى الله عليه وآله) في نهاية الدرس الأوّل.

١٨ . وبعد تزايد الضغط من قريش أذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة ، في السنة الخامسة من البعثة أو بعدها.

١٩ . حوصر مع بني هاشم في شعب أبي طالب، في السنة السابعة حتّى العاشرة من البعثة.

٢٠ . وبعد فكّ الحصار الشامل توفّي أبوطالب وخديجة، فسمّى ذلك العام بعام الحزن.

٢١ . كان إسراؤه ومعراجه في هذا العام أو قبله أو بعده على أقوال.

٢٢ . ثم هاجر إلى الطّائف مع ابن عمّه علي (عليه السلام).

٢٣ . كان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج بعد رفع الحصار.

٢٤ . كان أوّل لقائه مع أهل يثرب في السنة الحادية عشرة، واستمر اللقاء إلى أن تحقّقت هجرته إليها.

٢٥ . أجمعت قريش على قتله، فأمر عليّاً (عليه السلام) بالمبيت في فراشه حين هاجر إلى يثرب.

٢٦ . وصل قُبا في ربيع الأوّل، واعتبرت هجرته مبدأً للتاريخ الإسلامي، بأمر منه(صلى الله عليه وآله).

٢٧ . أسّس قواعد الدولة الإسلامية الأُولى خلال العام الأوّل من الهجرة بدءاً ببناء المسجد، ثم المؤاخاة، ثم الصحيفة المعروفة لتنظيم شؤون الدولة الجديدة، ثم المعاهدة مع اليهود. وكانت أوّل سرية بقيادة عمّه حمزة، في الشهر السابع من الهجرة. وكانت له ثلاث سرايا إلى آخر العام الأوّل من الهجرة. وفي نفس العام تزوّج بعائشة بعد أن عقد عليها في مكّة.

٢٨ . في العام الأوّل بعد الهجرة نزلت آيات كثيرة من سورة البقرة فضحت المنافقين، وكشفت خُطط اليهود، كما شرّعت جملة من الأحكام.

٢٩ . استهدفت قريشُ واليهودُ الدولةَ الفتيّة للنبي (صلى الله عليه وآله)، إلاّ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله)استطاع أن يرصد حركاتهما، فكانت ثماني غزوات وسريّتان في السنة الثانية ، بما فيها غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان. وفرض فيها الصوم أيضاً وتمّ تحويل القبلة، وعُقدت فاطمة (عليها السلام)لعلي (عليه السلام). وحفلت هذه السنة كذلك بمزيد من الانتصارات، والتشريعات السياسيّة والاجتماعيّة. ومُنيت قريش بأوّل هزيمة مريرة لها في غزوة بدر الكبرى، كما تمّ إجلاء أوّل طائفة يهوديّة ـ بني قينقاع ـ بعد أن نكثت عهدها مع الرسول (صلى الله عليه وآله)بعد انتصارات بدر الكبرى.

٣٠ . وتتابع الهجوم من قريش ومن اليهود على المسلمين خلال السنوات الثلاث: الثالثة والرابعة والخامسة، فكانت غزوة أُحد، ثم بني النضير، ثم الأحزاب ، ثم بني قريظة ، ثم بني المصطلق. وكانت السنة الخامسة من أصعب السنين التي مرّت على النبيّ (صلى الله عليه وآله)والمسلمين.

٣١ . وقد ردّ الله كيد الأحزاب واليهود بعد ذلك، فكان صلح الحديبية أوّل فتح للمسلمين; حيث أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) ينطلق للتحالف مع القبائل ، وبدأت تضعف شوكة قريش وشوكة اليهود، ثمّ كانت غزوات: خيبر ومؤتة وفتح مكة وحنين وتبوك.

٣٢ . كانت السنة التاسعة سنة الوفود، وتلتها حجّة الوداع في السنة العاشرة، وتوفّي النبي(صلى الله عليه وآله) بعدها في ٢٨ صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، بعد أن أحكم دعائم الدولة الإسلامية، وعيّن لها القيادة الكفوءة، متمثِّلة بالإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، تلك الشخصية التي ربّاها بيديه الكريمتين، ورعاها أتمّ رعاية، وأعدّها لإمامة أُمّته أحسن إعداد تحت عناية الله تعالى.

٣٣ . لقد كانت حصيلة الدعوة النبوية في العهد المكّي إنشاء أُمّة مسلمة من خلال تعليمها، وتربيتها عقليّاً ونفسيّاً وسلوكيّاً، وإعداد قوّة عسكرية من خلالها. كما خطّط الرسول بأمر من الله لضمان مستقبل الرسالة، فربّى جماعة صالحة، و أعلن عنها بشكل تدريجي، ثم استعدّ للهجرة الكبرى بعد فتح يثرب من خلال إسلام خيرة أهلها آنذاك.

٣٤ . وأمّا حصيلة الدعوة النبويّة في العهد المدني فتمثّلت في إنشاء أوّل كيان سياسيّ إسلاميّ، وتأسيس نظام اجتماعيّ، يجسّد القيم الإلهيّة داخل الجزيرة العربيّة، ويفجّر الطاقات العقلية للمجتمع البشري، من خلال الثورة الثقافية التي أحدثها الإسلام ببركة القرآن الكريم، الذي كان يعبّئ المسلمين ; لإزاحة الموانع أمام انتشار الإسلام خارج الجزيرة ; إعلاءً لكلمة الله في الأرض. و في غديرخم بعد حجة الوداع ، تمّ الإعلان الرسمي عن القيادة النائبة التي كان عليها أن تخلف النبي(صلى الله عليه وآله) وبذلك ضمن الرسول (صلى الله عليه وآله)استمرار ثورته الربّانية على يدي أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

٣٥ . وهكذا أصبحت حصيلة العصر النبويّ :

أولا: رسالة إسلامية جامعة وخالدة; لتنظيم حياة البشرية.

ثانياً: أُمة مسلمة تحمل لواء الإسلام، وتؤمن به عقيدة ونظاماً للحياة.

ثالثاً: دولة سياسية إسلامية تطبّق الإسلام، وتكتسح الموانع التي تقف أمام تقدّمها.

رابعاً: إعداد القيادة الصالحة والكفوءة; لضمان استمرار التربية الربّانية الثورية للأُمة المسلمة على أساس القيم الالهيّة، ولتفجير الطاقات البشرية باستمرار، والسير بالإنسانية نحو الكمال.

قبس من فضائل خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله) **ومظاهرشخصيّته**

١ . في القرآن الكريم

لقد كان محمّدبن عبدالله(صلى الله عليه وآله) موصوفاً بكمال الصفات ومكارم الأخلاق التي ميّزته عن كلّ من عاصره أو سبقه أو لحقه وبذلك أصبح أفضل النبيين. وقد جاء التصريح بكمالاته في نصوص القرآن الكريم.

أمّا كمال عقله، وعظيم خلقه فقد نصّ عليه قوله تعالى: **(ما أنت بنعمة ربّك بمجنون وإنّ لك لأجراً غير ممنون و إنّك لعلى خُلُق عظيم)**(٧٧).

---

(٧٧) القلم: ٢ ـ ٤.

وأما عبوديته لله تعالى فيدلّ عليه قوله عزّ من قائل: (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى**)(٧٨).

وأمّا شرح صدره فيشير اليه قوله تعالى: (**ألم نشرح لك صدرك**)(٧٩).

ويدلّ على انقياده التام لله، وخوفه وخشيته منه قوله تعالى: (**إن اتّبعُ إلاّ ما يوحى إليّ إنّي أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم**)(٨٠) ويشهد له قوله تعالى : (**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله**)(٨١).

ويشهد لرقة قلبه، ورأفته ورحمته للعالمين، وحرصه على هداية الخلق الى الله تعالى قول الله سبحانه:(**وما أرسلناك الاّ رحمة للعالمين**)(٨٢).وقوله تعالى: (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**)(٨٣).

ويدلّ على عفوه وصفحه قوله تعالى: (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير**)(٨٤).

ويدل على بصيرته، واستقامته على الهدى الرّباني قوله تعالى: (**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني**)(٨٥). وكذلك قوله تعالى: (**وادع الى ربّك إنك لعلى هدى مستقيم**)(٨٦) وقوله تعالى: (**فتوكل على الله إنّك على الحق المبين**)(٨٧) وقوله تعالى: (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**)(٨٨).

ويدل على أُمّيته، وتحريره للانسانية من الأغلال قوله تعالى: (**الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**)(٨٩).

وأمّا الاعتدال والوسطية في سلوكه و نهجه فيشير إليه قوله تعالى:(**وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً**)(٩٠).

---

(٧٨) الاسراء، ١.
(٧٩) الإنشراح: ١.
(٨٠) يونس: ١٥.
(٨١) الاحزاب: ٣٩.
(٨٢) الانبياء: ١٠٧.
(٨٣) التوبة: ١٢٨.
(٨٤) المائده: ١٥.
(٨٥) يوسف: ١٠٨.
(٨٦) الحج: ٦٧.
(٨٧) النمل: ٧٩.
(٨٨) التوبة: ٣٣.
(٨٩) الاعراف: ١٥٧.
(٩٠) البقره: ٤٣.

وأمّا أنّه نموذج الكمال البشري فيدل عليه قوله تعالى: **(لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة)**[٩١].

ويشهد لولايته على الخلق، وتقدّمه عليهم قوله تعالى: **(إنّما وليّكم الله ورسوله)**[٩٢].

كما يشهد لشدّته على الجاحدين والكافرين قوله تعالى: **(محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم)**[٩٣].

ويدلّ على فصاحته واشعاعه الدائم وهدايته للناس قوله تعالى: **(انّما أنا نذير مبين)**[٩٤] وقوله تعالى: **(يا أيّها النّبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)**[٩٥].

٢ . خاتم النبيين في نصوص سيدالوصيّين (عليه السلام)

١ . قال الامام علي (عليه السلام): «**... حتى بعث الله محمداً** (صلى الله عليه وآله) **شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البريّة طفلاً، وأنجبها كهلاً، وأطهر المطهّرين شيمةً، وأجود المستمطرينَ ديمةً**»[٩٦].

٢ . «اختاره من شجرة الأنبياء، و مشكاة الضياء، و ذؤابة العلياء ... وينابيع الحكمة ... طبيب دّوار بطبّه، قد أحكم مراهمه .... متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة»[٩٧].

٣ . «وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، المجتبى من خلائقه، و المُعتامُ لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته، والموضّحة به أشراط الهُدى، والمجلوّ به غرابيب العمى»[٩٨].

٤ . «ان الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله)**، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوةً، فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم، وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم واطمأنّت صفاتهم»**[٩٩].

٥ . «فبالغ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة و الموعظة الحسنة»[١٠٠].

٦ . «والمعلن الحق بالحقّ، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغِ صولات الأضاليل، كما حُمِّل فاضطلع قائماً بأمرك، مستوفراً (مسارعاً) في مرضاتك، غيرناكل عن قُدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك ... فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون»[١٠١].

٧ . «إمام من اتّقى، وبَصَرُ من اهتدى»[١٠٢].

---

(٩١) الاحزاب: ٢١.
(٩٢) المائده: ٥٥.
(٩٣) الفتح: ٢٩.
(٩٤) الملك: ٢٦.
(٩٥) الاحراب: ٤٥، ٤٦.
(٩٦) نهج البلاغه: الخطبة ١٠٥.
(٩٧) المصدر السابق، الخطبة ١٠٨.
(٩٨) المصدر السابق، الخطبة ١٧٨.
(٩٩) المصدر السابق، الخطبة ٣٣.
(١٠٠) المصدر السابق، الخطبة ٩٥.
(١٠١) المصدر السابق، الخطبة ٧٢.
(١٠٢) المصدر السابق، الخطبة ١١٦.

٨ . «فجاهد في الله المدبرين عنه، والعادلين به»[١٠٣].

«... جهاداً عن دينه، لايثنيه عن ذلك اجتماعٌ على تكذيبه، والتماسٌ لاطفاء نوره»[١٠٤].

٩ . «كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله (عليه السلام) **، فلم يكن أحد منّا أقرب الى العدّو منه»**[١٠٥].

١٠ . «فتأسَّ بنبيّك الأطيب الأطهر (عليه السلام) **; فإنّ فيه أُسوة لمن تأسّى... قضم الدنيا قضماً، و لم يُعِرها طرفاً... عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها... لقد كان يأكل على الارض، و يجلس جِلسة العبد، ويخصف بيده نعله... خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله...**[١٠٦]

٣ . لمحة عن سيرته الذاتيّة

عن الحسن بن علي (عليهما السلام) انّ هند ابن أبي هالة وصف النّبي (صلى الله عليه وآله) قائلا: **«... يبدر من لقيه بالسّلام ... كان متواصل الأحزان، دائم الفكر، طويل السكوت، لايتكلم في غيرحاجة، يتكلّم بجوامع الكلام فصلاً، لافضول فيه و لا تقصير... ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقّت، لايذم منها شيئاً، ولا تغضبه الدنيا و مانالها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ... وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جُلّ ضحكه التبسّم».**

٤ . لمحة عن سيرته الاجتماعية

وروى الحسين بن علي عن أبيه اميرالمؤمنين(عليهما السلام) حديثاً ، يصف فيه السيرة الاجتماعيّة للرسول(صلى الله عليه وآله):

«إذا آوى الى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس... وكان من سيرته في جزء الامة ايثار أهل الفضل بإذنه، وقسّمه على قدر فضلهم في الدين ... وكان يخزن لسانه الاّ عما كان يعنيه، ويؤلّفهم ولا ينفرّهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليّه عليهم، ويحذرالناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، و يحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويهوّنه، معتدل الأمر غيرمختلف، لايغفل... ولا يقصّر عن الحق ولا يجوزه...

أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة، لايجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر. يعطي كلّ جلسائه نصيبه. من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه. من سأله حاجة لم يرجع الاّ بها وبميسور من القول...

مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة ... كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ ولا ضحّاك ولا فحّاش ولا عيّاب ولامدّاح.

يتغافل عما لا يشتهي. كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير و التفكير»[١٠٧].

---

(١٠٣) المصدر السابق، الخطبة ١٣٣.

(١٠٤) المصدر السابق، الخطبة ١٩٠.

(١٠٥) كشف الغمة، ج١، ص٩.

(١٠٦) نهج البلاغة، الخطبة١٦٠.

من مكارم أخلاقه(صلى الله عليه وآله)

١ و ٢ : الأُمّي العالِم

ممّا تميّز به خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله) أنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة عند معلّم بشريّ[١٠٨] ولم ينشأ في بيئة علميّة، وإنّما نشأ في مجتمع جاهلي. ولم يكذّب أحد هذه الحقيقة التي نادى بها القرآن العظيم. وقد نشأ أيضاً في قوم من أشدّ الأقوام جهلاً، وأبعدهم عن العلوم والمعارف حتّى سُمّي ذلك العصر بالعصر الجاهلي. ومع ذلك فقد جاء بكتاب يدعو إلى العلم والثقافة ، وتنشيط الفكر والتعقّل، واحتوى على صنوف المعارف.

لقد بدأ الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) بتعليم الناس الكتاب والحكمة[١٠٩] وفق منهج بديع، حتّى أنشأ حضارة فريدة، اخترقت الشرق والغرب بعلومها ومعارفها، وما زالت تتلألأُ بهاءً ونوراً.

فهو أُمّي، ولكنّه كان يكافح الجهل والجاهلية وعبادة الأصنام، كما جاء بدين قيّم إلى البشرية، وبشريعة عالمية تتحدّى البشرية على مدى الزمن.

ولذا فهو معجزة بنفسه في علمه ومعارفه، وجوامع كلمه، ورجاحة عقله، وثقافته ومناهج تربيته. ومن هنا قال تعالى: **(فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأُمّيّ الّذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون)**[١١٠].

لقد أوحى الله إليه ما لم يكن يعلم، وعلّمه الكتاب والحكمة حتى أصبح نوراً وسراجاً منيراً، وبرهاناً وشاهداً، ورسولاً مبيناً، وناصحاً أميناً، ومذكِّراً ومبشّراً ونذيراً [١١١]. فهو الّذي شرح الله له صدره، وأعدّه لقبول الوحي، والقيام بمهمّة الإرشاد في مجتمع كانت تسيطر عليه العصبية البغيضة والأنانية الجاهلية، فكان أسمى قائد عرفته البشرية في مجال الدعوة والتربية والتعليم.

٣ و ٤ : أوّل المسلمين وسيّد العابدين

إنّ الخضوع المطلق لله ، خالق الكون ومبدع الوجود ، والتسليم التام لعظيم قدرته ونفاذ حكمته ، والعبوديّة الاختياريّة الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمّة الأُولى الّتي لابدّ لكلّ إنسان أن يجتازها ، كي يتهيّأ للاجتباء والاصطفاء الإلهي.

---

(١٠٧) أنظر كتاب سنن النبيّ(صلى الله عليه وآله)، ص ١٤، ١٧.

(١٠٨) العنكبوت : ٤٨ والنحل : ١٠٣.

(١٠٩) الجمعة : ٢.

(١١٠) الأعراف: ١٥٨.

(١١١) المائدة : ١٥; الأحزاب : ٤٦; النساء : ١٧٤; الفتح : ٨; الزخرف : ٢٩; الأعراف : ٦٨; الغاشية : ٢١; الإسراء : ١٠٥ والمائدة : ١٩.

وقد شهد القرآن الكريم لهذا النبيّ العظيم (صلى الله عليه وآله) الّذي فاق النبيين (عليهم السلام)في كلّ شيء حتّى قال عنه: **(وأنا أوّل المسلمين)**[١١٢]. إنّه وسام الكمال الّذي حازه هذا العبد الصادق في عبوديّته، وفاق في ذلك من سواه على الإطلاق.

وتجلّت هذه العبوديّة الصادقة في أفعاله وأقواله حتى قال (صلى الله عليه وآله): **«قرّة عيني في الصلاة»**[١١٣]; فقد حُبّبت إليه كما حُبّب الماء إلى الضمآن ، فإذا شرب رَوِيَ ، ولكنه (صلى الله عليه وآله)لم يرتوِ من الصلاة ، اذ كان ينتظر وقتها ويشتدّ شوقه للوقوف بين يدي ربّه عزّوجلّ ، وكان يقول لمؤذّنه: **«أرحنا يا بلال»**[١١٤]. وروي أنّه كان يحدّث أهله ويحدّثونه ، فإذا دخل وقت الصلاة فكأنّه لم يعرفهم ، ولم يعرفوه[١١٥].

وكان إذا صلّى يسمع لصدره أزيز «كأزيز المِرْجل»، ويبكي حتّى يبتلّ مصلاّه ; خشية من الله عزّوجلّ[١١٦]، وكان يصلّي حتّى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**[١١٧]؟

وكان يصوم شعبان ورمضان وثلاثة أيّام من كل شهر[١١٨]، كما كان إذا دخل شهر رمضان يتغيّر لونه ، وتكثر صلاته ، ويبتهل في الدعاء[١١٩]، وإذا دخل العشر الأواخر منه شدّ المئزر ، واجتنب النساء ، وأحيا الليل ، وتفرّغ للعبادة[١٢٠].

وكان يقول: **«الدعاء مخّ العبادة**[١٢١] **، وسلاح المؤمن ، وعمود الدين ، ونور السماوات والأرض»**. وقد كان دائم الاتّصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعة والدعاء في كلّ عمل كبير أو صغير، بل إنّه كان يستغفر الله كلّ يوم سبعين مرّة ، ويتوب إليه سبعين مرّة من غير ذنب[١٢٢].

ولم يستيقظ من نوم قط إلاّ خرَّ ساجداً[١٢٣] ، وكان يحمد الله في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين مرّة ويقول: **«الحمدلله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال»**[١٢٤]. ولقد كان دؤوباً على قراءة القرآن وشغوفاً به.

---

(١١٢) الأنعام : ١٦٣.
(١١٣) أمالى الطوسي، ج ٢، ص ١٤١.
(١١٤) بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ١٦.
(١١٥) أخلاق النبيّ وآدابه، ص ٢٥١، ٢٠١.
(١١٦) المصدر نفسه.
(١١٧) سنن النبىّ، ص ٣٢.
(١١٨) أخلاق النبىّ، ص ١٩٩; صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٨١، الحديث ١٠٧٨.
(١١٩) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٣٠٩.
(١٢٠) سنن النبىّ، ص ٣٠٠.
(١٢١) الكافي، ج ٤، ص ١٥٥.
(١٢٢) المحجّة البيضاء، ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.
(١٢٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٧، ٢٥٣.
(١٢٤) بحار الانوار ، ج ١٦ ، ص ٢١٧ ، ٢٥٣.

٥ : الثّقة المطلقة بالله

قال الله تعالى مؤكّداً لرسوله (صلى الله عليه وآله) ثقته بربّه: (**أليس الله بكاف عبده**)[١٢٥] وقال أيضاً : (**وَتوكّل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين**)[١٢٦].

وروي عن جابر (رضي الله عنه) ، أنّه قال: كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذات الرقاع، فإذاً أتينا على شجرة ظلّيلة (ذات ظلّ) تركناها لرسول الله. فجاء رجل من المشركين ، وسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) معلّق بالشجرة ، فاخترطه وقال للرسول (صلى الله عليه وآله): تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منّي؟ قال: الله، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله السيف، فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: كن خير آخذ، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله؟ قال: لا، ولكنّي أُعاهدك أن لا أُقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[١٢٧].

٦ : الشجاعة الفائقة

قال الله تعالى مخبراً عن صفات رسله: (**الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله**)[١٢٨].

أمّا الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الّذي طأطأ له فرسان العرب ، فقد قدّم لنا وصفاً دقيقاً عن شجاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «**كنّا إذا احمرّ البأس، ولقي القومُ القومَ اتّقينا برسول الله** (صلى الله عليه وآله)، **فما يكون أحد أدنى من القوم منه**»[١٢٩].

كما وصف المقداد (رضي الله عنه) ثبات رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أُحد، بعد أن تفرّق الناس ، وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحده قائلا: والّذي بعثه بالحقّ إن رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)زال شبراً واحداً. إنّه لفي وجه العدوّ تثوب إليه طائفة من أصحابه مرّة ، وتتفرّق عنه مرّة، فربّما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ، أو يرمي بالحجر حتّى تحاجروا[١٣٠].

٧ . زهد عديم النظير

قال تعالى لرسوله الكريم: (**ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربّك خيرٌ وأبقى**)[١٣١].

---

(١٢٥) . الزمر / ٣٦.
(١٢٦) الشعراء : ٢١٧ ـ ٢١٩.
(١٢٧) رياض الصالحين (للنووي)، ص ٥، الحديث ٧٨ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٦٥.
(١٢٨) الأحزاب : ٣٩.
(١٢٩) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ١، ص ١٣٨.
(١٣٠) مغازي الواقدي، ج ١، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(١٣١) طه : ١٣١.

وقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تركه للدنيا وزخارفها ، وزهد فيها حتى روي عن أبي أُمامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «**عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكّة ذهباً، قلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً... فإذا جعتُ تضرّعتُ إليك. وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتُك وحمدتُك**»(١٣٢).

ونام على حصير فقام ، وقد أثّر في جنبه، فقيل له: يا رسول الله لو اتّخذنا لك وطاءً ؟ فقال: «**ما لي وما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلاّ كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها**».

وقال ابن عبّاس: كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاوياً (جائعاً)، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

وقالت عائشة : ما أكل آل محمّد أكلتين في يوم واحد إلاّ إحداهما تمر(١٣٣).

وقالت لابن أُختها عروة: إن كنّا لننظر إلى الهلال ، ثمّ الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين ، وما أُوقدت في أبيات رسول الله نار. فسألها عروة قائلاً: يا خالة! ما كان يعيّشكم؟ قالت: الأسودان : التمر والماء، إلاّ أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ألبانها فيسقينا(١٣٤).

وقالت: توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ودرعه مرهونة عند يهوديّ بثلاثين صاعاً من شعير(١٣٥).

وعن أنس بن مالك أنّ فاطمة (عليها السلام) جاءت بكسرة خبز إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله)فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتّى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام»(١٣٦).

هذه صورة مصغّرة عن زهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وإعراضه عن الدنيا حتّى لقي الله تعالى.

٨ : الجود والكرم

قال ابن عبّاس: كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان... إنّ جبريل كان يلقاه في كل سنة من رمضان... فإذا لقيه جبريل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أجود بالخير من الريح المرسلة(١٣٧).

وقال جابر: ما سُئل النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً قطّ فقال: لا(١٣٨).

---

(١٣٢) سنن الترمذي ج ٤، ص ٥١٨، ٥٠١، الحديث ٢٣٧٧ و ٢٣٦٠.
(١٣٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٣٧١، الحديث ٦٠٩٠.
(١٣٤) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٠٧، الحديث ٢٤٢٨.
(١٣٥) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٦٨، الحديث ٢٧٥٩.
(١٣٦) الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٤٠٠.
(١٣٧) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٨١، الحديث ٣٣٠٨ ومسند أحمد، ج ١، ص ٥٩٨، الحديث ٣٤١٥.
(١٣٨) سنن الدارمي، ج ١، ص ٣٤.

وروي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى صاحب بَزٍّ، فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم، فخرج وهو عليه، فإذا برجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله اكسني قميصاً كساك الله من ثياب الجنّة، فنزع القميص فكساه إيّاه، ثم رجع إلى صاحب الحانوت، فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان، فإذا هو بجارية في الطريق تبكي ، فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله دفع إليّ أهلي درهمان اشتري بهما دقيقاً فهلكا، فدفع النبيّ(صلى الله عليه وآله)إليها الدرهمين ، فقالت: أخاف أن يضربوني، فمشى معها إلى أهلها فسلّم فعرفوا صوته، ثم عاد فسلّم، ثمّ عاد فثلّث، فردّوا، فقال: «أسمعتم أوّل السلام؟» فقالوا: نعم ، ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام ، فما أشخصك بأبينا وأُمِنّا؟ قال: «أشفقتْ هذه الجارية أن تضربوها». قال صاحبها: هي حرّة لوجه الله ; لممشاك معها. فبشَّرهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)بالخير والجنّة. وقال: **«لقد بارك الله في العشرة: كسا الله نبيّه قميصاً ورجلاً من الأنصار قميصاً ، وأعتق منها رقبة، وأحمد الله ، هو الذي رزقنا هذا بقدرته»**[١٣٩].

وكان إذا دخل شهر رمضان أطلق كلّ أسير ، وأعطى كل سائل[١٤٠].

٩ و ١٠ . الحلم والعفو

وعن زيدبن أسلم قال: بلغنا أنّ عبدالله بن سلام كان يقول: إنّ صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)في التوراة: يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وحرزاً للأُميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولاغليظ ، ولاصخب بالأسواق ، ولايجزي السيّئة بالسيّئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتّى أُقيم به الملّة المتعوّجة ، بأن يقولوا: لاإله إلاّ الله، فيفتح به أعيناً عمياء ، وآذاناً صمّاً ، وقلوباً غُلفاً. فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق عبدالله بن سلام.

وعن عائشة: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما انتقم لنفسه شيئاً يؤتى إليه إلاّ أن تنتهك حرمات الله ، ولا ضرب بيده شيئاً قطّ إلاّ أن يضرب بها في سبيل الله ولا سُئل شيئاً قط فمنعه إلاّ أن يُسأل مأثماً ; فإنّه كان أبعد الناس منه[١٤١].

وعن عبيدبن عمير: أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ماأُتي في غير حدٍّ إلاّ عفا عنه[١٤٢].

وقال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين ، فما قال لي : أُفٍّ قطّ، وما قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنَعْتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه[١٤٣].

وجاءه أعرابي فجذب رداءهُ بشدّة ، حتّى أثّر طرف الرداء على عاتق النبيّ(صلى الله عليه وآله) ، ثمّ قال له: يا محمّد ، العطاء! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له.

---

(١٣٩) المعجم الكبير (للطبراني)، ج ١٢، ص ٣٣٧، الحديث ١٣٦٠٧.

(١٤٠) حياة النبيّ وسيرته، ج ٣، ص ٣١١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧.

(١٤١) المصدر السابق

(١٤٢) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٦٠، الحديث ٥٧٣٨.

(١٤٣) أنظر محمّد في القرآن، ص ٦٠ ـ ٦٥.

لقد عُرِف (صلى الله عليه وآله) بالعفو والسماحة طوال حياته... فقد عفا عن وحشيّ قاتل عمّه حمزة ... كما عفا عن المرأة اليهوديّة التي قدّمت له شاة مسمومة، كما عفا عن أبي سفيان وجعل الدخول إلى داره أماناً من القتل. وعفا أيضاً عن قريش الّتي حاربته بكلّ ما لديها ... وهو في منتهى القدرة والعزّة قائلاً: **«اللهمَّ اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون... اذهبوا فأنتم الطلقاء».**

لقد أفصح القرآن عن عظمة حلم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وأشاد بذلك بقوله تعالى: **(ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم)**(١٤٤)، وقال أيضاً: **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)**(١٤٥). وبهذا الحلم العظيم استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكسب القلوب الفظّة الغليظة ، ويجعلها تلتفّ حوله ، وتؤمن برسالته الخالدة.

١١ : الحيـاء

عن أبي سعيد الخدريّ: كان النبيّ(صلى الله عليه وآله) أشدّ حياءً من العذراء في خدرها وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه(١٤٦).

وعن علي (عليه السلام): **«كان النبي** (صلى الله عليه وآله) **إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، وكان لا يقول لشيء: لا»**(١٤٧).

١٢ . التـواضع

عن يحيى بن أبي كثير أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: **«آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد ، فإنّما أنا عبد»**(١٤٨).

وكلّم النبيّ (صلى الله عليه وآله) رجلاً فأرعد، فقال: «هَوّن عليك ; فإنّي لستُ بملك ; إنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»(١٤٩).

وعن أبي أمامة: خرج علينا رسول الله متوكّئاً على عصا، فقمنا إليه فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظّم بعضهم بعضاً»**(١٥٠).

وكان يداعب أصحابه ولا يقول إلاّ حقّاً(١٥١) ، كما كان يسلّم على الصبيان(١٥٢). وشارك أصحابه في بناء المسجد(١٥٣) وحفر الخندق(١٥٤)، وكان يكثر من مشاورة أصحابه ، على الرغم من أنّه كان أرجح الناس عقلاً(١٥٥).

---

(١٤٤) آل عمران : ١٥٩.
(١٤٥) التوبة : ١٢٨.
(١٤٦) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٠٦، الحديث ٢٣٣٦٩.
(١٤٧) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣.
(١٤٨) الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٣٧ ومجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩.
(١٤٩) سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١١٠١، الحديث ٣٣١٢.
(١٥٠) سنن أبى داود، ج ٤، ص ٣٥٨، الحديث ٥٣٣٠.
(١٥١) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٠٤، الحديث ١٩٩٠.

وكان يقول: «**اللهمَّ أحيني مسكيناً ، وتوفّني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين ، وإنّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**»[١٥٦].

هذه صورة موجزة جدّاً عن ملامح شخصيته (صلى الله عليه وآله) ، وبعض جوانب سلوكه الفرديّ والاجتماعيّ. وهناك صور رائعة وكثيرة عن سلوكه ، وسيرته الإداريّة والسياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والأُسريّة ، تستحقّ الدراسة المعمّقة ، للتأسّي بها والاستلهام منها، نوكلها إلى مرحلة قادمة إن شاء الله تعالى .

وهكذا تتّضح لدينا معالم الشخصيّة المحمّدية الفريدة ، الّتي يمكن أن نوجزها في عدّة كلمات جامعة، هي: الأصالة العائليّة ونظافتها، والرعاية الإلهيّة الدائمة ، والخلق الرفيع ، والمكانة الاجتماعيّة المرموقة إلى جانب استقامة السلوك ، وفصاحة البيان ، وبساطة الوضع المعيشي ، والتنزّه عن الخرافات والشرك ، وبلوغ القمّة في العبوديّة التامّة لله ، والتواضع للحقّ حيثما كان.

من تراث سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله)

العقل والكمال البشري

لقد عَرَّفَ الرسول (صلى الله عليه وآله) العقل ووظيفته ، ودوره في التكليف والمسؤولية والعمل والجزاء، وبيّن عوامل رشده وتكامله ، فقال:

«**إنَّ العَقلَ عِقالٌ من الجهل، والنفس مِثل أخبث الدَّوابّ، فإن لم تعقل حارت، فالعَقلُ عِقالٌ من الجهل. وإنّ الله خلق العَقلَ، فقال له: أقبل فأقبلَ، وقال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي ، ما خلقتُ خلقاً أعظم منك ، ولا أطوع منك، بك أُبدي وأُعيد، لك الثوابُ وعليك العِقاب.**

فتشعّب من العقل الحِلم، ومن الحِلم العلم، ومن العلم الرُّشد، ومن الرُّشد العَفاف، ومن العَفاف الصّيانة، ومن الصّيانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير وكراهية الشرّ، ومن كراهية الشّر طاعة الناصح.

فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع...»[١٥٧].

العلم حياة القلوب

واهتمّ الرسول(صلى الله عليه وآله) بالعلم والمعرفة أيّما اهتمام فبيّن دور العلم وقيمته في الحياة بقوله:

---

(١٥٢) حياة النبيّ وسيرته، ج ٣، ص ٣١٣ عن ابن سعد.

(١٥٣) مسند أحمد، ج ٣، ص ٨٠.

(١٥٤) الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٢٤٠.

(١٥٥) الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٣٥٩ والمواهب اللدنّيّة، ج ٢، ص ٣٣١.

(١٥٦) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٩٩، الحديث ٢٣٥٢.

(١٥٧) دخل شمعون بن لاوي المسيحي على رسول الله ، وناقشه طويلا ، واعتنق الإسلام فقال: أخبرني عن العقل ، ما هو؟ وكيف هو؟ وما يتشعّب منه وما لايتشعّب، وَصِفْ لي طوائفه كلّها، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله) : إنّ العقل عقال من الجهل ... راجع تمام الحديث في تحف العقول عن آل الرسول، باب مواعظ النبيّ وحكمه.

«طلبُ العلم فريضة على كلّ مسلم، فاطلبوا العلم من مظانِّه، واقتبسوه من أهله; فإنّ تعلّمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى; لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سُبل الجنّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرّاء والضرّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاّء.

يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُهتدى بفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلّتهم، بأجنحتهاتمسحهم ، وفي صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتّى حيتان البحر وهوامّه، وسباع البر وأنعامه.

إنّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظُّلمة، وقوّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة.

الذكر فيه يُعدَل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الربّ، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام. العلم أمام العمل ، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه.

وصفة **العاقل** أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البرّ، وإذا أراد أن يتكلّم تدبّر، فإن كان خيراً تكلّم فغنم، وإن كان شرّاً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله ، وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل.

وصفة **الجاهل** أن يظلم من خالطه، ويتعدّى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم أثم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردَتْه، وإن رأى فضيلة أعرض عنها ، وأبطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب، يتوانى عن البرّ ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حُرِم العقل»[١٥٨].

الثقلان : الكتاب والعترة

لقد رسم الرسول (صلى الله عليه وآله) للناس جميعاً طريق السعادة الحقيقية ، وضمن لهم الوصول إليها ، فيما إذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم بشكل تام ، فلخّص لهم طريق السعادة المتمثِّل بالتمسّك بأصلين أساسيّين ، لايُستغنى بأحدهما دون الآخر ، وهما الثقلان: كتاب الله وعترته ، فقال:

«أيّها الناس! إنّي فَرَطُكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض. ألا وإنّي سائلكم عن الثِّقلين، فانظروا: كيف تخلِّفوني فيهما؟ فإنَّ اللّطيف الخبير نبّأني: أنّهما لن يفترقا حتّى يلقياني، وسألت ربّي عن ذلك فأعطانيه. ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم ; فتفرَّقوا، ولا تقصّروا عنهم ; فتهلكوا، ولا تعلِّموهم; فإنّهم أعلم منكم.

---

(١٥٨) رواه في منية المريد عن الامام الرضا (عليه السلام)عن رسول الله(صلى الله عليه وآله). وانظر تمام الحديث في تحف العقول في مواعظ النبي(صلى الله عليه وآله) وحكمه.

أيّها الناس! لا ألفينّكم بعدي كُفّاراً، يَضرِبُ بعضُكم رقابَ بعض، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيل الجرّار.

ألا وإنَّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله»[١٥٩].

مواعظ بليغة

وللرسول (صلى الله عليه وآله) ـ الذي سنّ للفصاحة نهجها ـ كلمات قصيرة، هي آيات فصاحته وبلاغته. وممّا جاء في إحدى مواعظه قوله :

«أيّها الناس! إنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأوثقَ العرى كلمةُ التقوى، وخيرَ الملِ ملّةُ إبراهيم، وخيرَ السنَنِ سنّةُ محمّد، وأشرفَ الحديثِ ذِكرُ الله، وأحسنَ القَصصِ القرآن، وخيرَ الأمور عزائمُها، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وأحسنَ الهدي هدي الأنبياء، وأشرفَ القتلِ قتلُ الشهداء، وأعمى العمى الضلالةُ بَعدَ الهُدى، وخيرَ الأعمالِ ما نفع، وخيرَ الهُدى ما اتُّبع، وشرَّ العمى عمى القلبِ. واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السّفلى، وما قَلَّ وكفى خيرٌ ممّا كَثُر وألهى.

وشَرُّ المعذرةِ حين يحضر الموتُ، وشرُّ الندامةِ ندامةُ يومِ القيامةِ، ومن أعظمِ خطايا اللسانِ الكذبُ.

وخيرُ الغنى غنى النَّفس، وخيرُ الزّادِ التّقوى، ورأسُ الحكمةِ مخافةُ الله، وخيرُ ما أُلقي في القلبِ اليقينُ.

والمسكرُ من النّار، والخمرُ جُماعُ الإثم، والنّساءُ حبالاتُ إبليس، والشّبابُ شعبةٌ من الجنون، وشرُّ المكاسبِ الرّبا، وشرُّ المآكلِ أكلُ مالِ اليتيمِ.

والسّعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشّقِيُّ من شَقِيَ في بَطنِ أُمّه، وإنّما يَصيرُ أحدُكم إلى موضِعِ أربع أذرع.

وملاكُ العملِ خواتِيمهُ، وكلُّ ما هو آت قريبٌ.

وسُبابُ المؤمِنِ فُسوقٌ، وقتالُه كُفر، وأكلُ لحمه مَعصيةٌ، وحُرمَةُ مالهِ كحُرمَةِ دَمِه،

ومن يَسْتَغْفِرِ الله يغفِرْ له، ومن يَعفُ يَعفُ اللهُ عنه، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله»[١٦٠]

---

(١٥٩) ناسخ التواريخ، ج ٣، راجع تفصيل الخطبة في تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٩.

(١٦٠) البداية والنهاية، ج ٥، ص ١٣، طبعة دار الفكر.

الفصل الثاني
سيّد الأوصياء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)

تمتد القيادة الهيّة بعد خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله) في أوصيائه الاثني عشر من أهل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وهم الأئمة الهداة الى الحق ، والخلفاء الراشدون الذين خلّفهم الرسول (صلى الله عليه وآله)مع القرآن الكريم ، وأوصى أمّته بالتمسك بهما معاً ; لنيل الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة حين قال (ص) غيرمرَة:إني تارك فيكم ما إن تمسَكتم بهما لن تضلوُاكتاب الله وعترتي .

والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أوّل الأئمة الراشدين الذين استخلفهم رسول الله(ص)على أمَته واعتبرهم أمناء الله تعالى على رسالته في أرضه. وقد نصّ على إمامته سيّد المرسلين[١٦١] ، بعد أن ربّاه في حجره ، وحباه بعلمه وجميل صفاته ومكارم أخلاقه ، وعرف منه انقياده للحق ، وجهاده وتضحيته ، وتفانيه في ذات الله ، والحرص في الدفاع عن رسالة ربّه، فوطّد له الأمر ، بأن أوضح للأُمة جدارته واستحقاقه لمنصب الوصاية والقيادة منذ فجر الرسالة المباركة ; اذ سبق جميع الصحابة في التسليم لرسالة الله ، كما سبق عشيرته الأقربين في مؤازرة سيّد المرسلين[١٦٢]، والدفاع عنه طيلة العهد المكي[١٦٣] ، ونام في فراشه ليلة الهجرة وفداه بنفسه[١٦٤] ; مستبسلا للدفاع عن الإسلام في كلّ سنوات المحنة[١٦٥] ، ومستسلماً لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله) في كلّ مشهد وموقف.

---

(١٦١) أنظر المراجعات للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، المراجعة رقم ٢٠ و ٦٨.

(١٦٢) تأريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٠٣، إحقاق الحقّ، ج ٤، ص ٥٨ ـ ٧٠، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٤٢٠.

(١٦٣) المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٢، ص ٦٥، وأعيان الشيعة، ج ١ ص ٣٧٢.

(١٦٤) المستدرك على الصحيحين ، ج ٣، ص ٤، وبحار الأنوار، ج ١٩، ص ٢٨.

(١٦٥) شارك الإمام علىّ (عليه السلام) في جميع حروب النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلاّ تبوك راجع على سبيل المثال كتاب المناقب، ج ٢، ص ٨١ وقادتنا، ج ٢، ص ٧٨ ـ ١٤٨.

نشأة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومراحل حياته

النسب الوضّاء

ولد الإمام عليّ ـ صلوات الله عليه ـ من أبوين كريمين طاهرين ، لم تدنّسهما براثن الشرك وأرجاس الجاهلية.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «**والله ماعبد أبي ولاجدّي عبدالمطّلب ولا هاشم ولاعبدُ مناف صنماً قطّ.. كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم** (عليه السلام) **، متمسّكين به**»(١٦٦).

فالأب أبوطالب (واسمه عبد مناف) ، والجدّ عبد المطّلب (واسمه شيبة الحمد) ، وجدّ أبيه هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي بن كلاب بن مرّة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وينتهي عدنان إلى إسماعيل الذبيح وإبراهيم الخليل(عليهما السلام).

وأبوطالب هو أخو عبدالله ، والد النبي (صلى الله عليه وآله) من أبيه وأُمّه. وقد كفل رسول الله (صلى الله عليه وآله)صغيراً ، وقام بنصره كبيراً ، وحامى عنه وذبّ عنه وحاطه ، وتحمّل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم ، ولقي لأجله عناءً عظيماً ، وقاسى بلاءً شديداً ، وصبر على نصره والقيام بأمره ، حتّى أنّ قريشاً لم تطمع في رسول الله (صلى الله عليه وآله) ; إذ كانت كاعّةً (عاجزة) عنه حتّى توفّي أبوطالب، ولم يؤمر (صلى الله عليه وآله) بالهجرة إلاّ بعد وفاته.

وكان أبوطالب مسلماً ، لا يجاهر بإسلامه ; إذ لو كان يجاهر به لما كان يمكنه ما أمكنه من نصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، على أنّه قد أقرّ بصحّة نبوّته في شعره مراراً ، مثل قوله:

ودعوتَني وعلمتُ أنَّك صادقٌ *** ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أميناً

ولقد عَلِمتُ بأنّ دينَ محمّد *** من خير أديان البريّة ديناً(١٦٧)

وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وهي أوّل هاشمية ولدت لهاشمي. وكان علي (عليه السلام) أصغر بنيها ، وهم جعفر وعقيل وطالب. وأسلمت بعد عشرة من المسلمين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله)يكرمها ويعظّمها ويدعوها: «أُمّي». وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة ، فقَبِلَ وصيّتَها ، وصلّى عليها ، ونزل في لحدها واضطجع فيه ، بعد أن ألبسها قميصه ، فقال له أصحابه: إنّا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها! فقال: «**إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها. إنّما ألبستها قميصي ; لتُكسى من حلل الجنّة ، واضطجعت معها ; ليهون عليها ضغطة القبر**»(١٦٨).

---

(١٦٦) أُنظر إيمان أبي طالب للسيّد فخّار بن معد الموسوي ، والغدير (للأميني)، ج ٧، ص ٣٣٠.

(١٦٧) أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٢٤.

(١٦٨) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣ ـ ١٤.

وأضاف المفيد والطبرسي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لقّنها الإقرار بولاية ابنها أميرالمؤمنين، كما اشتهرت به الرواية[١٦٩]. وهي أوّل امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من النساء[١٧٠].

ولادته المباركة

المشهور أنـّه ولد بمكة في البيت الحرام ، يوم الجمعة ، الثالث عشر من شهر رجب ، سنة ثلاثين من عام الفيل[١٧١].

قال الحاكم النيسابوري: تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ في جوف الكعبة[١٧٢].

وقال المفيد وغيره: إنّه لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه ; إكراماً من الله تعالى جلّ اسمه له بذلك ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم[١٧٣].

وجاء عن أُمّ عمارة بنت عبادة: أنّ أبا طالب أخذ بيد فاطمة بنت أسد ، وجاء بها إلى الكعبة ، وقال لها: اجلسي على اسم الله، فطلقت طلقة واحدة ، فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظَّفاً ، لم أرَ كحسن وجهه، فسمّـاه عليّاً ، وحمله النبيّ (صلى الله عليه وآله)حتّى أدّاه إلى منزلها[١٧٤].

تسميته وألقابه

قال ابن أبي الحديد وغيره: إنَّ اسمه الأوّل الّذي سمّته به أُمّه (حيدرة) ، باسم أبيها أسدبن هاشم (والحيدرة: الأسد) ، فغيّر أبوه اسمه ، وسمّـاه عليّاً[١٧٥].

وكنّاه النبي (صلى الله عليه وآله) بأبي تراب ، لمّـا رآه ساجداًمعفِّراً وجهه في التراب ،[١٧٦] وكانت أحب كناه إليه، وكان ابنه الحسن (عليه السلام)يدعوه في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)أبا الحسين، ويدعوه الحسين (عليه السلام) أبا الحسن ، وكُنّي بأبي السبطين وأبي الريحانتين.

ولقّبه النبي (صلى الله عليه وآله) بأميرالمؤمنين ، وخاطبه بذلك جلّة المهاجرين والأنصار[١٧٧]. ولُقّب أيضاً بالمرتضى ، ووليّ الله ، وحبيب الله ، ووصيّ رسول الله ، وخليفة رسول الله ، وأسد الله ، وسيف

---

(١٦٩) الإرشاد. ج ١ ، ص ٥ وإعلام الورى، ج ١، ص ٣٠٦.
(١٧٠) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣ ـ ١٤.
(١٧١) الإرشاد ، ج ١ ، ص ٥.
(١٧٢) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٤٨٣.
(١٧٣) الإرشاد، ج ١ ، ص ٥ والفصول المهمّة، ص ٣٠.
(١٧٤) كشف الغمّة، ج ١، ص ٥٩ و٦٠.
(١٧٥) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢، وكشف الغمّة، ج ١، ص ٦١.
(١٧٦) . إعلام الورى: ج ١، ص ٣٠٧ وشرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١١.
(١٧٧) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢، ١٣، ١٤٣.

الله ، وأخ الرسول ، وسيّد العرب ، وفتى قريش ، وقسيم الجنّة ، والنار ، وباب مدينة العلم ، وسيّد المسلمين ، ويعسوب المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وإمام المتّقين ، والصدّيق الأكبر.

وكانت شهرته بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي الوصيّ[١٧٨].

وقد اشتهر هذا اللقب له (عليه السلام) في الصدر الأوّل ، وانتشر انتشاراً واسعاً ، حتّى انعكس في كتب اللغة مثل لسان العرب وتاج العروس وغيرهما، وقد بذلت مدرسة الخلفاء جهوداً كبيرة لكتمان أخبار الوصية ، وتأويل ما انتشر منها[١٧٩].

تربيته ونشأته

لقد كان هناك اهتمام خاص ومبكّر من قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، اذ أحبّه حُبّاً شديداً ، وقال لأُمّه: «اجعلي مهده بقرب فراشي». وكان (صلى الله عليه وآله) يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر علياً في وقت غسله ، ويوجره (يجعل في فمه) اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره ورقبته ، ويقول: «**هذا أخي ووليّ وناصري وصفيّي وذخري وكهفي وصهري ووصيّي وزوج كريمتي وأميني على وصيّتي وخليفتي**». وكان يحمله دائماً ، ويطوف به جبال مكّة وشعابها وأوديتها وفجاجها[١٨٠].

وقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) نفسه نشأته النموذجية ، الّتي كانت تنطوي على هذه المكرمات بأبلغ وجه ، حيث قال في خطبته القاصعة: «**... وقد علمتم موضعي من رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولدٌ ، يضمّني إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويُمسُّني جسده ، ويُشمّني عَرْفَه . وكان يمضغ الشيء ثمّ يُلقمنيه. وما وجد لي كذبةً في قول ، ولا خَطلةً في فعل.**

لقد كُنتُ أتبعه اتّباع الفصيل أثَر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله)**وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه** (صلى الله عليه وآله)**فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيِس من عبادته، إنّك لتسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلاّ أنّك لست بنبيّ ، ولكنّك لوزير ، وإنّك لعلى خير**»[١٨١].

مراحل حياته

(١) من الولادة حتّى البعثة النبويّة المباركة ، وهي عشر سنين.

(٢) ثم ثلاث عشرة سنة من البعثة إلى الهجرة.

---

(١٧٨) المصدر نفسه.

(١٧٩) أُنظر معالم المدرستين، ج ١، ص ٢٩٥ ـ ٣٤٠، الطبعة الخامسة.

(١٨٠) كشف الغمة، ج ١، ص ٦٠.

(١٨١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٣) ثم عشر سنوات حتى وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله).
(٤) ثم خمس وعشرون سنة حتّى انتهاء خلافة عثمان.
(٥) ثم خمس سنوات تمثل مدّة حكومته(عليه السلام).

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

اجتمع للإمام علىّ بن أبي طالب (عليه السلام) من صفات الكمال، ومحمود الشمائل و الخلال، وسناء الحسب ، وعظيم الشرف، مع الفطرة النقيّة ، والنفس المرضيّة ، ما لم يتهيّأ لغيره من أفذاذ الرجال.

إنّه اميرالمؤمنين ، وسيّد الوصيّين ، وأول خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله)المهديّين ، بأمر من الله تعالى ، ونصّ من رسوله (صلى الله عليه وآله). وقد صرّح القرآن بعصمته وطهارته من كلّ رجس[١٨٢]. وباهَلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران به وبزوجته وبولديه[١٨٣] ، كما اعتبره من القربى الذين وجبت مودّتهم[١٨٤] ، مصرّحاً غير مرّة بأنّهم عدل الكتاب المجيد[١٨٥] ، حيث ينجو المتمسّك بهما ويتردّى المتخلّف عنهما.

عاصر الإمام علىّ بن أبي طالب (عليه السلام) حركة الوحي الرسالي ، منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت له مواقفه المشرّفة ، والتي يغبط عليها ، في دفاعه عن الرسول والرسالة طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من الجهاد المتواصل ، والدفاع المستمر عن حريم الإسلام الحنيف. وقد انعكست مواقفه وإنجازاته وفضائله في آيات الذكر الحكيم ، ونصوص الحديث النبويّ الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آية في علي (عليه السلام)[١٨٦]، وما نزلت: **(يا أيّها الذين آمنوا)** إلاّ وعلىّ أميرها و شريفها[١٨٧] ، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في آي من القرآن ، وما ذكر عليّاً إلاّ بخير[١٨٨].

ولكثرة ما نزل في علي (عليه السلام) من الآيات المباركة ، خصّص جمع من المتقدّمين و المتأخّرين كتباً ، جمعت ما نزل فيه (عليه السلام). ونشير هنا إلى بعض الآيات التي صرّح المحدّثون بنزولها في حقّه ، منها:

---

(١٨٢) الاحزاب: ٣٣
(١٨٣) آل عمران: ٦١.
(١٨٤) الشورى: ٢٣.
(١٨٥) انظر حديث الثقلين في الدرس ٨.
(١٨٦) الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٥١٦. تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٢١، الصواعق المحرقة، ٧٦. راجع : شواهد التنزيل ، ونور الابصار، ٨٧ ـ ٩٠.
(١٨٧) كشف الغمة، ٩٣.
(١٨٨) ينابيع المودة، ٩٣.

١ . ما عن ابن عباس: أنه كان مع عليّ بن أبي طالب أربعة دراهم لايملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلا ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانيةً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: (**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون**)[١٨٩].

٢ . وعن ابن عباس أيضاً: أنّ عليّاً (عليه السلام) تصدّق بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله)للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: (**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**)[١٩٠].

٣ . لقد اعتبرت آية التطهير[١٩١] عليّاً (عليه السلام) من أهل بيت الوحي المطهَرّين من كلّ رجس، كما اعتبرته آية المباهلة[١٩٢] نفس النبي (صلى الله عليه وآله).

٤ . أمّا سورة الإنسان فقد أشارت إلى إخلاص عليّ وأهل بيته (عليهم السلام) ، وخشيتهم من الله، وتضمّنت أيضاً الشهادة الربّانية لهم بأنّهم من أهل الجنّة[١٩٣].

وقد عقد أرباب الصحاح وغيرهم من المحدّثين فصولا خاصّة بفضائل الإمام عليّ (عليه السلام) في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولم تعرف الإنسانية في تأريخها الطويل رجلا أفضل من عليّ (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يسجّل لأحد من الفضائل ما سجّل لعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ، على الرغم من كلّ ما وجهه الأعداء والمنافقون إليه من سبٍّ وشتم على المنابر ، طوال حكم بني أُميّة ، وهم في صدد الانتقاص منه ، حتى لم يجدوا للعيب موضعاً فيه. ومما قاله عمربن الخطّاب : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: «**ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه إلى الهدى ويردّه عن الردّى**»[١٩٤].

و قيل لعليّ (عليه السلام): ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثاً؟ فقال: «**إنّي كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتّ ابتدأني**»[١٩٥].

وعن ابن عمر: أنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم آخى بين أصحابه ، وجاء عليّ وعيناه تدمعان قال (صلى الله عليه وآله)لعليّ (عليه السلام) : «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[١٩٦].

وعن أبي ليلى الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب ; فإنّه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين**»[١٩٧].

---

(١٨٩) البقرة (٢): ٢٧٤. وراجع: ينابيع المودّة، ٩٢.
(١٩٠) المائدة: ٥٥. وراجع: تفسير الطبري، ج ٦، ص ١٥٦ والبيضاوي وغيرهما.
(١٩١) الاحزاب: ٣٣. وراجع: صحيح مسلم، فضائل الصحابة.
(١٩٢) آل عمران : ٦١، صحيح الترمذى، ج ٢، ص ٣٠٠.
(١٩٣) راجع: الكشّاف للزمخشري، والطبري في الرياض النضرة، ج ٢، ص ٢٠٧.
(١٩٤) الرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٦.
(١٩٥) طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٨، وحلية الأولياء، ج ١، ص ٦٨.
(١٩٦) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٥ الحديث ٣٧٢٠.

واعترف الخلفاء جميعاً بأنّ عليّاً أعلم الصحابة وأقضاهم، وأنّه لولا عليّ لهلكوا ، حتى صارت مقولة عمر مضرب الأمثال : ـ لولا علي لهلك عمر ـ[١٩٨].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب.

ولمّا بلغ معاوية مقتل عليّ (عليه السلام) قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[١٩٩].

وقال الشعبي: كان عليّ بن أبي طالب في هذه الأُمة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل: أحبّه قوم فكفروا في حبّه، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه[٢٠٠].

وكان أسخى الناس، وكان على الخُلُق الذي يحبّه الله في السخاء والجود، وما قال: «لا» لسائل قطّ[٢٠١].

وقال صعصعة بن صوحان لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم بويع: والله يا أميرالمؤمنين ، لقد زيّنتَ الخلافة وما زانتك ، ورفعتَها وما رفَعْتك، ولَهي إليك أحوج منها إليك.

وعن ابن شبرمة: أنّه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» غير علي بن أبي طالب[٢٠٢].

وقام القعقاع بن زرارة على قبره ، فقال: رضوان الله عليك يا أميرالمؤمنين ; فوالله لقدكانت حياتك مفتاح الخير، ولو أنّ الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم غمطوا النعمة ، وآثروا الدنيا[٢٠٣].

قبس من فضائل الإمام عليّ (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته

١ ـ الانقياد للحقّ

اتّسمت شخصيّة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسمة بارزة ، هي ملتقى صفاته جميعاً ، ومحور كلّ كمالاته، ألا وهي الانقياد للحقّ حيث كان وأنّى كان.

وتَمَثَّل انقياده للحقّ في الحقبة الأُولى من حياته بالطاعة المطلقة لأوامر الله ورسوله ، والتضحية الدائمة ، والتفاني المستمر في أهداف الرسالة وقيادتها المعصومة ، والتأسّي التام بالنبيّ الرائد، والتبنّي الكامل لجميع مشاريع هذه القيادة الرشيدة.

---

(١٩٧) الاصابة لابن حجر، ج ٤، ص ١٧١ الرقم ٩٩٤، ومجمع الزوائد، ج ١، ص ١٠٢.

(١٩٨) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٦، وتذكرة الخواص، ص ٨٧.

(١٩٩) الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٥.

(٢٠٠) العقد الفريد، ج ٢، ص ٢١٦.

(٢٠١) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص٧.

(٢٠٢) أعيان الشيعة، ج ٣، القسم ١، ص١٠٣.

(٢٠٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٣.

ولهذا استحقّ أن يكون خليفةً للرسول(صلى الله عليه وآله) ، ونائباً وفيّاً ، وأميناً مخلصاً ، في تحقيق أهداف الرسول(صلى الله عليه وآله) ومقاصد الرسالة; إذ تمثّلت كمالات الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)في شخص عليّ(عليه السلام) خير تمثيل.

٢ ـ عبادته (عليه السلام)

قال (عليه السلام): «**إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**»[٢٠٤].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي ، واصفاً عبادة الإمام (عليه السلام): كان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة وصوماً ، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة. وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبْسَط له نِطَعٌ[٢٠٥] بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه، والسهام تقع بين يديه ، وتمرّ على صِماخيهِ[٢٠٦] يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثَفِنَة البعير[٢٠٧] ، لطول سجوده!.

وأنت إذا تأمّلت دعواتِه ومناجاتِه، ووقفتَ على ما فيها ، من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته ، والاستخذاء[٢٠٨] له، عرفتَ ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلب خرجتْ، وعلى أيّ لسان جرت.

٣ ـ زهده (عليه السلام)

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلتُ على الإمام عليّ بالخورنق، وكان الفصل شتاء، وعليه خلق قطيفة ، وهو يرعد فيه ، فقلت: يا أميرالمؤمنين! إنّ الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال: «والله ما أرزؤكم[٢٠٩] شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي الّتي أخرجتُها من المدينة»[٢١٠].

وسُمع عليٌّ (عليه السلام)يقول على المنبر: «مَن يشتري منّي سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته» . فقام إليه رجلٌ فقال: أسلفك ثمن إزار[٢١١].

---

(٢٠٤) نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٣٧.
(٢٠٥) بساط من الجلد.
(٢٠٦) أُذنيه.
(٢٠٧) اشارة إلى غلظتها.
(٢٠٨) الخضوع والإنقياد.
(٢٠٩) أى: ما أصبت منكم.
(٢١٠) حلية الأولياء، ص ٨٢ ، والكامل في التأريخ، ج ٢، ص ٤٤٢.
(٢١١) المناقب (للخوارزمي) ، ص ٦٩ ، وكشف الغمة، ج ١، ص ٢٣٢.

وأتى أحدهم عليّاً بطعام نفيس حلو ، يقال له الفالوذج، فلم يأكله عليّ ، ونظر إليه وهو يقول: «والله إنّك لطيّب الريح، حسن اللون، طيّب الطعم، ولكن أكره أن أُعوّد نفسي ما لم تعتدْ»[٢١٢].

والمشهور أيضاً أَن عليّاً لم يبنِ آجرة على آجُرَّة ، ولالبنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة ، كما أنه أبى أن يسكن قصر الإمارة ، الّذي كان معدّاً له بالكوفة.

ووصف ابن أبي الحديد زهد الإمام (عليه السلام) قائلاً: ما شبِعَ من طعام قطّ ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً. وكان يقول : «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان»[٢١٣]

٤ ـ مروءته وحلمه (عليه السلام)

قال ابن أبي الحديد: وأمّا الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذَنْب، وأصفحَهم عن مسيء. وقد ظهر ذلك يوم الجمل; حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ وكان أعدى الناس له، وأشدَّهم بغضاً ـ فصفح عنه[٢١٤].

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يُتبَع مُوَلّ، ولا يُجهَزُ على جريح، ولا يُقتَل مستأسر، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن.

ولم يأخذ أثقالَهم، ولا سبى ذراريَّهم، ولا غَنِمَ شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلاّ الصفح والعفو.

ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ (عليه السلام)وأصحابه أن يشرعوا لهم شِرْبَ الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان. فلمّا رأى (عليه السلام)أنّه الموتُ لا محالَة تقدّم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حَمَلات كثيفة، حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذَريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم. فقال له أصحابه وشيعتُه: امنعهم الماء يا أميرالمؤمنين كما منعوك، ولا تَسقِهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي ، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم. افْسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك. فهذه إن نَسَبْتَها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلِقْ بمثلها أن تصدر عن مثله (عليه السلام)![٢١٥]

---

(٢١٢) تذكرة الخواص، ص ١١٥.

(٢١٣) شرح نهج البلاغة ، ج ١، ص ٢٦.

(٢١٤) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٢.

(٢١٥) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣.

٥ ـ فروسية الإمام وشجاعته

قال ابن أبي الحديد عن شجاعة الإمام (عليه السلام) : إنّه أنسى الناس فيها ذكر مَنْ كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماتُه في الحرب مشهورة ، يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة. وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله ، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية ، وفي الحديث: «كانَتْ ضَرَباته وتراً»[٢١٦].

ولمّا دعا (عليه السلام)معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن ؟ وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرِق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي![٢١٧]

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، قالت أُخت عمروبن عبدوَدّ ترثي أخاها:

لو كان قاتلُ عمرو غيرَ قاتِلِهِ *** بكيتُه أبداً ما دُمْتُ في الأبدِ[٢١٨]

لكنَّ قاتِلَهُ من لا نظير له *** وكان يُدعَى أبوه بيضة البلَدِ[٢١٩]

وقال ابن قتيبة: ما صارعَ أحداً قطّ إلاّ صرعه[٢٢٠]. وهو الّذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عُصبة من الناس ليقلِبوه فلم يقلبوه، وهو الّذي اقتلع هُبَلَ من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدّاً، وألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته (عليه السلام) بيده، بعد عجز الجيش كلّه عنها، وأنبط[٢٢١] الماء من تحتها[٢٢٢].

٦ . التورّع عن الظلم والبغي

كان عليّ (عليه السلام)ـ مع قوّته البالغة وشجاعته النادرة ـ يتورّع عن الظلم والبغي مهما كانت الظروف ; فقد أجمع المؤرخون على أن عليّاً (عليه السلام)كان يأنف القتال إلاّ إذا حُملَ عليه حملاً. لذا كان يسعى إلى تسوية الأُمور مع خصومه ومن يبادره بالعداوة بالطُرَف السليمة التي تحقن الدم ، وتحول دون النِزال. وكان يردّد على أسماع ابنه الحسن(عليه السلام): «لا تدعوَنّ إلى مبارزة»[٢٢٣].

---

(٢١٦) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠ ، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم.

(٢١٧) المصدر السابق.

(٢١٨) من أبيات ذكرها صاحب اللسان، ج ٨، ص ٣٩٥، وروايته:

لو كان قاتل عمرو غير قاتِله *** بكيتُه ما أقام الرُوح في جسدي

لكنّ قاتِلَه من لا يُعابُ بِهِ *** وكانَ يُدعى قديماً بيضة البَلَدِ

(٢١٩) بيضة البلد، يريد عليّ أبى طالب، أي أنّه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضة الّتي هي تريكة وحدها، ليس معها غيرها.

(٢٢٠) المعارف، ص ٢١٠.

(٢٢١) أنبط: فجّرَ.

(٢٢٢) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١.

(٢٢٣) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة ٢٣٣.

ولمّا كان قول الإمام لا يخرج إلاّ عن معدن صاف، فقد طالما عمل بوصيّته هذه ، وعفّ عن القتال إلاّ مكرَهاً. فمن ذلك: لما أخذ جنود الخوارج يعدّون العدّة ليحاربوه، ونصحه أحدهم بأن يبادرهم قبل أن يبادروه، أجاب قائلاً: «لا أُقاتلهم حتّى يقاتلوني»(٢٢٤).

٧ ـ الوفاء عند الإمام علي (عليه السلام)

ما كان لعليّ أن يختار الصداقة على العداوة لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء والحنان ، تزخر به نفسه ، ويطغى على جنانه.

فمن ذلك: ما رواه الثقات من المخبرين أنصاراً وأخصاماً، من أنّ الزبير وطلحة لمّا ألحّا في حربه ، وإنكار بيعته ، والتجنّي عليه في موقعة الجمل المشهورة، خرج عليّ (عليه السلام)إليهما حاسراً ، لا يحتمي بدرع ولا بسلاح، تدليلاً على نوايا السلم الّتي يُضمرها، ونادى: يا زبير! اخرج إليّ. فخرج الزبير إليه مدجّجاً بالسلاح. وسمعتْ عائشة ذلك فصاحت: واحرباه ، ذلك لأنّها لم يخالجها أقلّ شك في أن الزبير لا محالة مقتول ; فخصمُ عليّ مقضيّ عليه بالموت إذا نازله، مهما كان حظّه من الشجاعة عظيماً ، ومهما كانت خبرته بالقتال فائقة.

ولشدّ ما دهشتْ عائشة ومَنْ حولها ، وهم يرون عليّ بن أبي طالب يعانق الزبير! عانقه طويلاً ; لأنّ أسباب المودّة لا تنقطع في القلب الكبير!

أخذ عليّ(عليه السلام) يسأل الزبير بلهجة الصداقة القديمة: «ويحك يا زبير! ما الّذي أخرجَك»؟ قال: «دم عثمان!» قال: «قَتَلَ الله أولانا بدم عثمان». وجعلَ عليّ يذكِّره العهود والصداقات ، وأيام الأُخوّة السالفات! وربّما بكى عليّ في مثل هذا الموقف ، ولكن الزبير استمر في قتال الإمام حتّى صُرع. وكان مصرعه على كره من راعي المودّات، عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)(٢٢٥).

٨ ـ رفق عليّ (عليه السلام)

قال الإمام عليّ (عليه السلام)«والله لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة ، بما تحت أفلاكها ، على أن أعصي الله في نملة ، أسلبُها جُلبَ شعيرة ما فعلتُ. وإنّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقة في فم جرادة!»(٢٢٦)

أوَليس عليّ(عليه السلام) صاحب العهد الرائع إلى الأشتر النخعي ، عامله على مصر وأعمالها ، وفيه يقول: «ولا تكونَنّ عليهم سبعاً ضارياً ، تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق. أعطِهم من عفوك وصفحكَ مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه. ولا تندمنّ على عفو

---

(٢٢٤) أُنظر عبقريّة الإمام علىّ (عليه السلام) (لعبّاس محمود العقّاد)، ص ١٨.

(٢٢٥) انظر مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧٠، قادتنا، ج ٢ ص ١٧٦.

(٢٢٦) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

ولا تبجَحَنّ بعقوبة.» ثم يقول له: «وامنع من الاحتكار»[٢٢٧]. لقد كان تشديد عليّ(عليه السلام) في منع الاحتكار من الأسباب البعيدة التي أدّت إلى ما كان من أمره مع معاوية وأنصاره; فهؤلاء يريدون الملك والمال والمغانم لأنفسهم، وعليّ يريدها جميعاً للشعب.

وبلغ عليّ من الرفق بالناس وطلب العذر لهم عمّا يفعلون، أن حاربه أهل البصرة ، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وسبّوه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفعَ السيف عنهم ، وأدخلهم في أمانه. ومن ذلك أيضاً : أنّه أوصى خيراً بقاتله الأثيم ، ابن ملجم.

٩ ـ عدل عليّ (عليه السلام)

ليس غريباً أن يكون عليٌّ (عليه السلام) أعدل الناس، بل الغريب أن لايكون كذلك!

ومما يُحكى من عدله ، أنّه وجد درعه عند رجل مسيحي من عامّة الناس، فأقبل به إلى أحد القضاة ، واسمه شريح ; ليخاصمه ويقاضيه. ولمّا كان الرجلان أمام القاضي قال عليّ(عليه السلام): إنّها درعي ، ولم أبعْ ولم أهَبْ! فسأل القاضي الرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أميرالمؤمنين؟ فقال: ما الدرع إلاّ درعي ، وما أميرالمؤمنين عندي بكاذب!

وهنا التفت القاضي شريح إلى عليّ يسأله: هل من بيّنة تشهد أنَّ هذا الدرع لك؟ فضحك عليّ (عليه السلام)وقال: أصاب شريح; ما لي بيّنة! فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي، فأخذها ومشى ، وأميرالمؤمنين ينظر إليه! إلاّ أنّ الرجل لم يخطُ خطوات قلائل ، حتّى عاد يقول: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء(عليهم السلام)! أميرالمؤمنين يديننى إلى قاض يقضي عليه! ثم قال: الدرع ـ والله ـ درعك يا أميرالمؤمنين، وقد كنتُ كاذباً فيما ادّعيتُ. وبعد زمن رأى الناس هذا الرجل إلى جانب الإمام علي (عليه السلام) ، وهو من أصدق الجنود له ، وأشدّ الأبطال ، بأساً وبلاء في قتال الخوارج يوم النهروان[٢٢٨].

ووصايا الإمام (عليه السلام)ورسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد ، هو: العدل. وما تواطأ الناس عليه ـ أباعد وأقارب ـ إلاّ لأنّه ميزان العدالة ، الّذي لا يميل إلى قريب ، ولا يساير نافذاً ، ولا يجوز فيه إلاّ الحق. أمّا عثمان بن عفّان ، الذي وليّ أمر المسلمين قبله ، فقد أطلق أيدي الأقارب والأعوان والصحابة في كلّ مورد من موارد الجاه والثروة; منقاداً بذلك إلى آراء بطانة السوء ، وكان مروان أشدّهم تأثيراً عليه.

فلمّا صارت الخلافة إلى الإمام علي (عليه السلام) أبى إلاّ أن يعدل فيهم ، فعزل منهم من عزل، وأبعد عن السلطان والاحتكار من أبعد. كما حارب كلّ من تحدِّثه نفسه بأن يحوّل الرسالة عن مجاريها الطبيعية

---

(٢٢٧) نهج البلاغة، الكتاب، ٥٣.

(٢٢٨) تأريخ الخلفاء، ص ١٨٤، والكامل في التأريخ، ج ٣، ص ٤٠١.

العادلة ، لتصبّ في بيته مالاً وسلطاناً وجاهاً. وطالما ردّد على أسماع هؤلاء قوله الرائع: «**إنّي لعالم بما يصلحكم ، ويقيم أوَدَكم ، ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي!**»(٢٢٩).

١٠ ـ الكرم والسخاء عند الإمام علي (عليه السلام)

كان عليّ (عليه السلام)أسخى الناس وأجودهم كفّاً; إذ كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده ويبقى جائعاً. وفيه وفي أهل بيته (عليهم السلام)نزل قوله تعالى: (**ويُطعِمُون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً* إنّما نُطعمكم لوجه الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً**)(٢٣٠).

وروى المفسّرون أيضاً أنه لم يكن يملك إلاّ أربعة دراهم ، فتصدّق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانية ، فأُنزل فيه: (**الَّذين يُنفقون أموالهم باللّيلِ والنَّهارِ سِرّاً وعلانيةً**)(٢٣١).

وروي عنه أنّه كان يَسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتّى مَجَلَت يده، وكان يتصدّق بالأُجرة، ويشدُّ على بطنه حجَراً.

١١ ـ الصدق والإخلاص عند علي (عليه السلام)

بلغ به الصدق مبلغاً أضاع به الخلافة. ولو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله لما نال منه عدوّ ، ولا انقلب عليه صديق.

وقد اجتمع إليه مرّةً كبار المهاجرين; يريدون إقناعه بمسايرة معاوية ، إلى أن يستتب له الأمر فيقصيه حينئذ، فخالفهم جميعاً ; مترفّعاً عن الحيلة.

وقد جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته بالخلافة، وهو من ذوي الحُنْكة والحيلة والمداراة، فقال له: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وإنّ الرأي اليوم تحرزُ به ما في غد، وإن الضياع اليوم تُضيّعُ به ما في غد. أقرِرْ معاوية على عمله، وأقرِرْ ابن عامر على عمله، وأقرر العمّال على أعمالهم ، حتّى إذا أتتك طاعتهم وبيعة جنودهم استبدلتَ أو تركت.

فصمتَ عليّ (عليه السلام)غير طويل، ثمّ أعلن إباءَه عن الحيلة قائلا: «**لا أُداهن في ديني ، ولا أُعطي الدنيّة في أمري**»(٢٣٢).

ولمّا ظهرت حيلة معاوية أطلق الإمام عليّ هذه العبارة ، الّتي تصح أن تكون مثلا للخلق العظيم ; إذ يقول: «**والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهة الغدر لكنتُ من أدهى الناس**»(٢٣٣).

ومن قوله في التشديد على ضرورة الصدق مهما اختلفت الظروف: «**علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك**»(٢٣٤).

---

(٢٢٩) نهج البلاغة، الخطبة ٦٩.

٢٣٠. الإنسان : ٨ ـ ٩.

(٢٣١) البقرة : ٢٧٤.

(٢٣٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢٣٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

١٢ـ الثقة بالنفس عند الإمام علي (عليه السلام)

لقد اقترنت كلّ هذه الصفات النبيلة بالثقة بالنفس ، الّتي عُرف بها الإمام (عليه السلام) ، بل إن الثقة شيء ملازمٌ بالضرورة لهذه الخصائص. فالإمام يعمل وهو مطمئن إلى نُبل العمل وصراحة الحقّ فيه. وليس تصدّيه لفارس الجزيرة ، عمرو بن عبدودّ ـ والنبي وأصحابه يحذّرونه منه ـ إلاّ شاهداً على هذه الثقة بالحق والشجاعة الّذين تمتلئ بهما نفسه.

وأمّا خروجه إلى الصلاة دون أن يصطحب من يقيه خطر الأعداء ، وهم كثرٌ حواليه، حتّى أدركه ابن ملجم وضربه بالسيف المسموم أفلا يُعدّ شاهداً على الثقة بالحق الّذي تفيض به جوارحه وسيرته كلّها؟

وبهذه الثقة الرائعة يقول لسهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة، عندما علم أنّ قوماً من أهلها لحقوا بمعاوية: «أما بعد، فقدبلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلاتأسفْ على مايفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ; إنّهم ـ واللهِ ـ لم ينفروا من جور ، ولم يلحقوا بعدل!»[٢٣٥].

من تراث الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لا نكاد نجد تراثاً موسوعيّاً خصباً ومتكاملاً ومعروفاً ـ بعد تراث الرسول (صلى الله عليه وآله)ـ كالتراث الّذي خلّفه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ما عرف «**بنهج البلاغة**» أوّلاً، و«**غرر الحكم ودرر الكلم**» ثانياً.

والمعاجم الموضوعيّة لكلّ من هذين الكتابين النفيسين تقدّم لنا صورة مضيئة وناصعة عن موسوعيّة هذا التراث ، وعظمته ، وعُمقه ، وشموليّته لمختلف جوانب الحياة الفرديّة والاجتماعيّة. وقد اخترنا موضوعين مهمّين مرتبطين بالفرد والمجتمع من هذا التراث العظيم.

حقيقة السعادة والشقاء

١ . «الآخرة فوز السعداء».

٢ . «عند العرض على الله تتحقّق السعادة من الشقاء».

٣ . «حلاوة الآخرة تُذهِب مضاضة شقاء الدُّنيا».

مَن هو السعيد؟

١ . «السعيد مَنْ خافَ العِقاب فآمن، ورَجا الثواب فأحْسَنَ».

---

(٢٣٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٨.

(٢٣٥) نهج البلاغة، الكتاب، رقم ٧٠.

٢ . «كفى بالمرء سعادةً أن يوثق به في أُمور الدين والدُّنيا».

٣ . «ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين».

٤ . «ما سعد مَن شَقِي إخوانُه».

٥ . «السعيد من استهانَ بالمفقود».

موجبات السعادة

١ . التعقّل والمعرفة

أ ـ «مَن قاتَل جهلَه بعلمه فاز بالحظّ الأسعد».

ب ـ «من عرف الله سبحانه لم يَشْقَ أبداً».

٢ . اخلاص الطاعة لله

أ ـ «من أطاعَ الله لم يَشْقَ أبداً».

ب ـ «لا يسعد امرؤٌ إلاّ بطاعة الله سبحانه».

ج ـ «السعيد مَن أخلص الطاعة».

د ـ «بادر الطاعةَ تَسْعَدْ».

هـ ـ «لا يسعد أحد إلاّ بإقامة حدود الله».

و ـ «سهرُ الليل في طاعة الله ربيعُ الأولياء وروضة السعداء».

ز ـ «سهر العيون بذكر الله فرصة السعداء ونزهة الأولياء».

٣ . الجدّ في إصلاح النفس

«من أجْهَدَ نفسه في صلاحِها سعد».

«إنّ النفس ، الّتي تجهد في اقتناء الرغائب الباقية ، لَتُدْرِكُ طَلَبَها ، وتَسعَدُ في مُنْقَلَبِها».

٤ . الجهاد في سبيل الله

«الجهادُ عماد الدين ومنهاجُ السُّعداء».

٥ . العزوف عن الدنيا الفانية

«إنّ الدنيا تُعطى وتُرتَجَعُ... يَعرض عنها السُعَداء ، ويرغب فيها الأشقياء».

«إنّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم».

«اِعزف عن الدنيا تسعَد بمنقلبِك ، وتصلح مثواك».

«إن كنتم للنعيم طالبين فاعتقوا أنُفسَكم من دار الشقاء».

٦ . حُسْن الاستعداد للموت

«اِحذر الموت ، وأحسِن له الاستعداد تَسعَد بمنقلبك».

«في الموت راحةُ السُّعداء».

٧ . محاسبة النفس

«من حاسب نفسه سعد».

٨ . تدارك التضييع

«تدارك في آخر عمرِك ما أضعتَهُ في أوّله تسعد بمنقلبك».

٩ . مجالسة العلماء

«جالِس العلماءَ تَسْعَد».

١٠ . الإنفاق في سبيل الله

«الجوادُ في الدنيا محمود ، وفي الآخرة مسعود».

«إذا قدّمت مالك لآخرتك ، واستخلَفْتَ الله سبحانه على من خلَّفْتَه من بعدِك سعدتَ بما قدّمت ، وأحسْنَ الله لك الخلافة على من خلَّفْتَ».

أسعد الناس

«إنّ أحببت أن تكون أسعَدَ الناس فاعمل بما علمتَ».

«أسعدُ الناس بالخير العاملُ به».

«أسعدُ الناس العاقلُ المؤمن».

«إنّ أسعَدَ الناس من كان من نفسه بطاعة الله متقاضياً».

«أسعد الناس بالدنيا التارك لها، وأسعدُهم بالآخرة العامل لها».

«أسعدُ الناس من عرف فضلنا[٢٣٦]، وتقرّب إلى الله بنا، وأخلَص حبَّنا، وعمل بما إليه نَدَبْنا، وانتهى عمّا عنهُ نَهَيْنا، فذاك منّا ، وهو في دار المقامة معنا».

مَنْ هو الشقي؟

«من اعتمد على الدنيا فهو الشقيّ المحروم».

علامات الشقاء

«مِن الشقاء أن يصون المرءُ دنياه بدينه».

«مِن علامات الشقاء الإساءةُ إلى الأخيار».

«مِن علامة الشقاء غشّ الصديق».

---

(٢٣٦) أي أهل البيت(عليهم السلام) .

موجبات الشقاء

١ . «الحمق شقاء».

٢ . «من الشقاء فساد النيّة».

٣ . «من الشقاء احتقاب الحرام».

٤ . «لا يشقى امرؤٌ إلاّ بمعصية الله. (وإضاعة حدود الله)».

٥ . «من شقاء المرء أن يُفسِدَ الشكُّ يقينه».

٦ . «سبب الشقاء حبّ الدنيا».

٧ . «من كانت الدنيا همّه طال يوم القيامة شقاؤه».

٨ . «ثمرةُ الحسد شقاء الدنيا والآخرة».

٩ . «الحرص والشره يُكسبان الشقاء والمذلّة».

١٠ . «ظلم الفرد في الدنيا عنوان شقائه في الآخرة»[٢٣٧].

فلسفة الحكم ونظامه

أوّلاً ـ الحكم ضرورة اجتماعية

أ ـ «الإمامة نظام الأُمة».

ب ـ «لابدّ للناس من أمير، برٍّ أو فاجر».

ثانياً ـ فلسفة الحكم

١ . الحكم عرض زائل

أ ـ «الدولة كما تُقبلُ تُدبِرُ».

ب ـ «الملك المنتقل الزائل حقير يسير».

٢ . الحكم وسيلة لا هدف

«اللهمَّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسَةً في سُلطان ، ولاالتماسَ شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ، ونُظْهِرَ الإصلاحَ في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطَّلَة من حدودك».

---

(٢٣٧) أنظر غرر الحكم ودرر الكلم (للآمُدي) والمعجم المفهرس له.

٣ . الحكم مختبر الحياة

أ ـ «ستّة تختبر بها عقول الرجال: المصاحبة والمعاملة والولاية والعَزل والغِنى والفقر».

ب ـ «القدرة تُظهِرُ محمودَ الخِصالِ ومذمومَها».

ثالثاً ـ مهام الدولة الإسلامية

١ . تثقيف الأُمّة:

«على الإمام أن يعلِّم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان».

٢ . إقامة العدل:

أ ـ «العدل قوام الرعيّة».

ب ـ «العدلُ نظامُ الإمرة».

ج ـ «الرعيّة لا يُصلحها إلاّ العدل».

د ـ «في العدل الاقتداء بسنّة الله ، وثبات الدول».

٣ . حماية الدين:

أ ـ «كلّ دولة يحوطها الدين لا تُغْلَبُ».

ب ـ «الملوك حماةُ الدين».

ج ـ «من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كلّ شيء».

٤ . إقامة الحدود:

أ ـ «في حمل عباد الله على أحكام الله استيفاء الحقوق وكلّ الرفق».

ب ـ «ممّا حمله الله على الإمام: إقامة الحدود على مستحقّيها.

٥ . الاجتهاد في النصيحة:

«ليس على الإمام إلاّ ما حُمّل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النصيحة».

٦ . توفير الفيء وتحسين المعيشة:

أ ـ «أمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم».

ب ـ «أحسن الملوك حالاً من حَسُن عيشُ الناس في عيشه».

٧ . تربية الأُمّة:

«فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم... ، وتعليمكم كي لا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا».

٨ . الدفاع عن استقلال البلاد وكرامة الأُمّة:

جاء في تعليمات الإمام لولاته: «وتعاهَدْ ثغورَهم وأطراف بلادهم» وجاء أيضاً: «لابد للناس من أمير... يقاتل به العدوّ».

٩ . توفير الأمن الداخلي :

«لابدّ للناس من أمير... تأمن به السُبُل».

١٠ . إغاثة الملهوفين:

«زكاة السلطان إغاثة الملهوف».

١١ . الاهتمام بالعمران:

«فضيلة السلطان عمران البُلدان».

١٢ . الانتصار للمستضعفين:

«ويؤخذ للضعيف من القويّ حتّى يستريح بَرّ ، ويُستراح من فاجر».

رابعاً ـ عوامل ثبات الحكم وصفات الحاكم النموذجيّ

١ . تفهّم الأُمور:

أ ـ «يحتاج الإمام إلى قلب عَقول».

ب ـ «العقل منزّهٌ عن المنكَر ، آمِرٌ بالمعروف».

٢ . الانقياد للحق وتجسيده في العمل:

أ ـ «من اتّخذ الحقّ لجاماً اتّخذه الناس إماماً».

ب ـ «من ساس نفسه أدرك السياسة».

ج ـ «إذا نفذ حكمك في نفسك تداعت أنفس الناس إلى عدلك».

د ـ «أجلّ الأُمراء من لم يكن الهوى عليه أميراً».

هـ ـ «أعقل الملوك من ساس نفسه للرعيّة بما يُسقط عنه حجّتها، وساس الرعيّة بما تثبت حجّته عليها».

٣ . الشجاعة في تحقيق الحقّ وإقامة العدل:

«يحتاج الإمام إلى قلب عقول ، ولسان قؤول ، وجَنان على إقامة الحقّ صؤول».

٤ . حُسن النيّة:

«أفضل الملوك من حَسُنَ فعْله ونيّته ، وعدل في جنده ورعيّته».

٥ . سطوع البيان:

«يحتاج الإمام إلى... لسان قَؤول».

٦ . الإحسان إلى الرعيّة:

أ ـ «من أحسَنَ إلى رعيّته نشر الله عليه جناح رحمته ، وأدخله في مغفرته».

ب ـ «من أحسَنَ الكفاية استحقّ الولاية».

٧ . عموم العدل:

أ ـ «ملاك السياسة العدل».

ب ـ «من عدل نفذ حكمه».

ج ـ «من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه».

د ـ «من عمل بالعدل حصّن الله ملكه».

هـ ـ «من كثر عدله حُـمِدَت أيّامه».

و ـ «أفضل الملوك سجيّةً من عَمَّ الناس بِعَدْلِه».

٨ . عفّة النفس:

أ ـ «أفضل الملوك أعفّهم نفساً».

ب ـ «السيّد من لا يُصانع ولا يخادع ، ولا تغرّه المطامع».

٩ . الاقتصاد وتدبير المعيشة:

أ ـ «لن يهلك مَنْ اقتصد».

ب ـ «حُسن السياسة يستديم الرياسة».

ج ـ «حُسن التدبير وتجنّب التبذير من حُسن السياسة».

١٠ . الانصاف:

أ ـ «الإنصاف زَينُ الإمرة».

ب ـ «زكاة القدرة الإنصاف».

١١ . الرفق:

أ ـ «رأس السياسة استعمال الرفق».

ب ـ «نِعْمَ السياسة الرفق».

١٢ . الحلم:

أ ـ «الحلم رأس السياسة».

ب ـ «آلة الرئاسة سعة الصدر».

ج ـ «العفو زكاة القدرة».

د ـ «إضرب خادمك إذا عصى الله ، واعفُ عنه إذا عصاك».

هـ ـ «سياسة العدل في ثلاث: لين في حزم ، واستقصاء في عدل، وإفضال في قصد».

١٣ . الدفاع عن الدين:

«صيّر الدين حِصْنَ دولتك، والشكر حِرزَ نعمتك ; فكل دولة يحوطها الدينُ لا تُغْلَبُ ، وكلّ نعمة يُحرزها الشكر لا تُسْلَبُ».

١٤ . كثرة الورع:

«إستعِن على العدل بحُسن النيّة في الرعيّة ، وقلّة الطمع ، وكثرة الورع».

١٥ . الشعور بأنّ السلطة أمانة الله في عنقه:

أ ـ «إنّ السلطان لأمين الله في الأرض».

ب ـ «إنّ عملك ليس لك طُعمة».

١٦ . اليقظة:

أ ـ «من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحَفَظَة».

ب ـ «من أمارات الدولة التيقّظ لحراسة الأُمور».

١٧ . عدم الاغترار بالقدرة:

«ذو الشرف لا تبطره منزلة نالها وإن عظمت، والدنيّ تبطره أدنى منزلة».

١٨ . التكليف بما يُطاق:

«إذا أردت أن تُطاع فاسأل ما يُستطاع».

١٩ . التوزيع الصحيح للأعمال، وتحديد مسؤولية كلّ فرد:

«اِجعل لكل إنسان من خَدَمِك عملاً تأخذه به ; فإنّه أحرى أن لا يتواكلوا».

٢٠ . بذل المعروف:

أ ـ «من بذل معروفه استحقّ الرئاسة».

ب ـ «الجود رياسة».

ج ـ «من بذل جاهه استحمد».

د ـ «زين الرياسة الإفضال»[٢٣٨].

---

(٢٣٨) راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم (للآمدي)، القسم الرابع، ص ٣٢٧ ـ ٣٤٨.

الفصل الثالث

فاطمة الزهراء(عليها السلام) أُم الأئمة الطاهرين

نسبها الكريم

إنّ حلقة الوصل بين الرسالة والإمامة هي فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) ، أُم الأئمة المعصومين (عليهم السلام)وسيدة نساء العالمين.

أُمّها الطاهرة سيّدة نساء قريش ، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي. وهي أوّل امرأة تزوّجها رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وكانت من أهل بيت علم وشرف، وكفاها عظمة أنّها ولدت مثل فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، الصديقة الطاهرة المعصومة.

مولدها الشريف

قال الطبرسي في إعلام الورى: الأظهر في روايات أصحابنا أنّها ولدت سنة خمس من المبعث بمكّة في العشرين من جمادى الآخرة، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله)قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر(٢٣٩).

وروي عن جابر بن يزيد أنّه قال: سئل الباقر (عليه السلام): كم عاشت فاطمة (عليها السلام)بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: أربعة أشهر، وتوفّيت ولها ثلاث وعشرون سنة(٢٤٠).

وهذا قريب ممّا رواه غير الإمامية من أنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)،(٢٤١) فتكون ولادتها بعد المبعث بسنة.

وذكر الأُستاذ أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف النبيّ: أنّ جميع أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولدوا قبل الإسلام إلاّ فاطمة وإبراهيم (عليه السلام) ، فإنّهما ولدا في الإسلام(٢٤٢).

---

(٢٣٩) إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٠.

(٢٤٠) نحوه في مناقب ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢٤١) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٦١ و ١٦٣; الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٤; مقتل الخوارزمي، ص ٨٣; الإصابة، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٢٤٢) راجع إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٠ عن شرف النبي(صلى الله عليه وآله) .

أسماؤها وألقابها

روي عن الإمام جعفرالصادق (عليه السلام) أنّه قال: «لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عزّوجلّ: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء»(٢٤٣).

وعن الإمام الرضا (عليه السلام): أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) قال: «إنّما سمّيت ابنتي فاطمة ; لأنّ الله سبحانه فطمها وفطم من أحبّها من النار»(٢٤٤).

وسمّاها النبيّ (صلى الله عليه وآله)، البتول أيضاً(٢٤٥)، وقال لعائشة: «ياحميراء، إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّين، ولا تعتلّ كما تعتلّون»(٢٤٦).

وكانت يصبّ عليها من ماء الجنّة، وذلك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا أُسري به دخل الجنّة ، وأكل من فاكهتها وشرب من مائها ، فنزل من ليلته ، فوقع على خديجة فحملت بفاطمة ، فكان حمل فاطمة من ماء الجنّة(٢٤٧).

نشأتها

ولدت فاطمة من أكرم أبوين عرفهما التأريخ البشري; إذ لم يكن لأحد في تأريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار، الّتي غيّرت وجه التأريخ ، ودفعت بالإنسان أشواطاً بعيدةً نحو الأمام في بضع سنوات معدودات. كما لم يحدّث التأريخ عن أمٍّ كأمّها ، الّتي وهبت كلّ ما لديها لزوجها ، ولمبدئه العظيم مقابل ما أعطاها من هداية ونور.

وفي ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتول(عليها السلام) ونشأت في دار، يغمرهاحنان أبيها الّذي حمل عبء النبوّة وتحمّل ماتنوء به الجبال .

مراحل حياتها

١ . لقد عاشت الزهراء(عليها السلام) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها ، وحوصرت مع أبيها وأُمّها وسائر بني هاشم في الشِّعب المعروف، ولم تبلغ في بدء الحصار من العمر سوى سنتين.

---

(٢٤٣) أمالي الصدوق، ص ٤٧٤ والخصال، ج ٢، ص ٤١٤ ودلائل الإمامة، ص ١٠ وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص٢٠.

(٢٤٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٤٦ ومعاني الأخبار، ص ٦٤ وعلل الشرائع، ص ١٧٨.

(٢٤٥) علل الشرائع، ص ١٨١ ومناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٢٤٦) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٣٠ والمعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٠.

(٢٤٧) راجع ما رواه ابن عبّاس أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) في مناقب ابن المغازلي، ص ٣٥٧ و ٤٠٦، ومناقب الخوارزمي، ص ٦٤ وذخائر العقبى، ص ٣٦.

٢ . وما أن رُفع الحصار بعد سنوات ثلاث صعبة حتّى واجهت محنة وفاة أُمّها(عليها السلام)، ثمّ وفاة أبي طالب(عليه السلام)، وهي في بداية عامها السادس، فبقيت هي سلوة لأبيها ـ وهو يواجه الصعوبات والشدائد ـ تؤنسه في وحدته ، وتؤازره على طغاة قريش وعتاتهم.

٣ . وهاجرت هي والفواطم مع ابن عمّها عليّ (عليه السلام)إلى يثرب في الثامنة من عمرها ، وبقيت مع أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حتّى اقترنت بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فكوّنت أشرف بيت في الإسلام ; إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبويّة الطيبة ، والكوثر المعطاء لعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله)الميامين.

٤ . لقد قدّمت الزهراء (عليها السلام) أروع مثل للزوجة وللأُمومة في أحرج لحظات التأريخ الإسلاميّ ; حيث كان الإسلام يريد أن يختطّ طريق الخلود والعُلى في ظل بيئة جاهليّة وأعراف قَبَليّة ترفض إنسانيّة المرأة ، وتعدّ البنت عاراً. لذا كان على مثل الزهراء(عليها السلام) ـ وهي بنت الرسالة ووليدة النهضة الإلهية الفريدة ـ أن تضرب بسلوكها الفردي والزوجي والاجتماعي مثلاً حقيقيّاً وعمليّاً ، يجسّد مفاهيم الرسالة وقيمها تجسيداً واقعيّاً.

وقد أثبتت الزهراء(عليها السلام) للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل ، الّذي استطاع أن يكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة وإبداعه العجيب ; اذ كانت تتمتع بأوفر حظّ من العظمة والكرامة ، وأوفى نصيب من الجلالة والبهاء.

وانجبت الزهراء البتول لعليّ المرتضى (عليه السلام) وليدين عظيمين هما سيّدا شباب أهل الجنّة وابنا رسول الله: «الحسن والحسين» ، الإمامان الطاهران، كما أنجبت السيدتين الكريمتين: زينب الكبرى وأُمّ كلثوم ، المجاهدتين الصابرتين.

٥ ـ وأسقطت خامس أبنائها «المحسن» بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها ، بيت الرسالة والإمامة. وصدقت نبوءة القرآن حين قال: (**إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر**) ; فهي كوثر الرسالة الذي أعطاه الله لرسوله(صلى الله عليه وآله) ، غير أنّه كان يحتاج إلى تضحيات كبرى يقدّمها الرسول(صلى الله عليه وآله) فداءً لشجرة الرسالة الباسقة ; ليندحر شانئوه الذين خططوا لإجهاض الرسالة ورموزها منذ بزوغها.

وفاتها وغسلها

توفّيت (صلوات الله عليها) في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة، وبقيت بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) خمسة وتسعين يوماً[٢٤٨]. وروي: أربعة أشهر ، كما روي أربعون يوماً ، وروي أيضاً خمسة وسبعون يوماً، كما روي ستّة أو ثمانية أشهر[٢٤٩].

---

(٢٤٨) الذريّة الطاهرة (للدولابي)، ص ١٥١، ١٩٩ وكشف الغمّة، ج ١، ص ٥٠٣.

(٢٤٩) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٥٧ والإصابة، ج٤ ص٣٧٩ وجلاءالعيون، ج١، ص٢١٦.

وتولّى الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) غسلها[٢٥٠] ، كما روي: أنّه أعانه على غسلها أسماء بنت عميس، وكانت قد أوصت فاطمة أن لا يغسّلها إذا ماتت إلاّ أسماء وعليّ (صلوات الله وسلامه عليه)[٢٥١].

دفنها وموضع قبرها

وصلّى عليها أميرالمؤمنين، والحسن والحسين (عليهم السلام)، وعمّار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم في جوف الليل.

ودفنها أميرالمؤمنين (عليه السلام) سرّاً ; بوصيّة منها في ذلك[٢٥٢].

واختلف في موضع قبرها ، فمن قائل : إنّها دفنت في البقيع[٢٥٣]. وقائل : إنّها دفنت في بيتها ، فلمّا زادت بنوأُميّة في المسجد صارت في المسجد[٢٥٤]. وقائل : إنّها دفنت فيما بين القبر والمنبر[٢٥٥]، ولعلّه إلى هذا أشار النبي (صلى الله عليه وآله)بقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»[٢٥٦].

إلاّ أنّ الطبرسي قال: والقول الأوّل بعيد، والقولان الآخران أشبه وأقرب إلى الصواب، فمن استعمل الاحتياط في زيارتها زارها في المواضع الثلاثة[٢٥٧].

انطباعات عن شخصيّة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة أعظم نبيّ(صلى الله عليه وآله)، وزوجة أشرف إمام (عليه السلام)، وأُم السبطين ، الحسن والحسين ، سيدّي شباب أهل الجنّة.

إنّها الوجه المشرق الوضّاء للرسالة الخاتمة، والوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة ، والمنبت الطيّب لعترة رسول الله (عليهم السلام) ، وهي كذلك سيد نساء العالمين جميعاً.

---

(٢٥٠) الكافي، ج ١، ص ٣٨٢، وعلل الشرائع، ص ١٨٤ و دلائل الإمامة، ص ٤٦ وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص ٩٨ والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٩.

(٢٥١) كشف الغمة، ج ١، ص ٥٠٠ ومستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٦٣ والاستيعاب، ج ٤ ص ٣٧٩.

(٢٥٢) انظر روضة الواعظين، ص ١٥٢، وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص ٩٨، ومناقب ابن شهرآشوب، ج ٣، ص ٣٦٣، وصحيح البخاري، ج ٥، ص ١٧٧، وصحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٠، وطبقات ابن سعد، ج ٨، ص ٢٢٩، ومصنّف عبدالرزّاق، ج ٥، ص ٤٢٧، وسنن البيهقي،ج ٦، ص ٣٠٠، وتأريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٨، ومستدرك الحاكم، ج ٣، ١٦٢، والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٩، وأُسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٤.

(٢٥٣) تاج المواليد، ص ٩٩ ومناقب ابن شهرآشوب، ج ٣، ٣٥٧ وكشف الغمة، ج ١، ص ٥٠١.

(٢٥٤) الكافي، ج ١، ص ٣٨٣ والفقيه، ج ١، ص ١٤٨ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٣١١ ومعاني الأخبار، ج١، ص ٢٦٨ وذخائر العقبى، ص ٥٠٤.

(٢٥٥) معانى الأخبار، ج ١، ص ٢٦٨ وروضة الواعظين، ص ١٥٢.

(٢٥٦) الكافي، ج ٤، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٥; الفقيه، ج ٢، ص ٣٣٩; التهذيب للطوسي، ج ٦، ص ٧; الموّطأ، ج ١، ص ٩٧; صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٧; صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠١٠; مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٣٦، ٣٧٦، ٤٣٨، ٤٦٦، ٥٣٣ وج ٣، ص ٤ و ج ٤، ص ٣٩، ٤٠; صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٧١٨، ٧١٩; سنن النسائي، ج ٢، ص ٣٥، وفي جميعها إلاّ الفقيه: «بيتي» بدل قبري.

(٢٥٧) إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٣.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة ; إذ وُلِدت قبل الهجرة ، وتوفيت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)بعدّة أشهر.

وقد حفلت آيات الذكر الحكيم خلال عقدين من تأريخ الرسالة المشرق بمكرمات الزهراء وفضائل أبيها وبعلها وبنيها (عليهم السلام)الذين قدّموا أروع أمثلة الجهاد والصبر والإخلاص والتضحية في سبيل الله.

وأمّا النبي العظيم(صلى الله عليه وآله) فقد أشاد بعظيم منزلتها ، وبما بلغته من موقع رياديّ في خطّ الرسالة ، محتذياً (صلوات الله عليه) خُطى القرآن الكريم فيما صرّح به من فضائل ومكرمات لأهل بيت الوحي (عليهم السلام) بشكل عام ، ولمهجة قلب المصطفى (صلى الله عليه وآله)بشكل خاص[٢٥٨].

١ . الزهراء (عليها السلام) **عند سيّد المرسلين** (صلى الله عليه وآله)

قال (صلى الله عليه وآله) : **«إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ، ويرضى لرضاها»**[٢٥٩].

قال (صلى الله عليه وآله) : **«فاطمة بضعة منّي ; مَنْ آذاها فقد آذاني ، ومن أحبّها فقد أحبّني»**[٢٦٠].

قال (صلى الله عليه وآله) : **«فاطمة قلبي وروحي الّتي بين جنبيَّ»**[٢٦١].

قال (صلى الله عليه وآله) : **«فاطمة سيّدة نساء العالمين»**[٢٦٢].

لقد تواترت مثل هذه الشهادات في كتب الحديث والسيرة[٢٦٣] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)الّذي لا ينطق عن الهوى[٢٦٤]، ولا يتأثّر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ولمّا كان النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) قد ذاب في دعوته وكان للناس في ذلك أُسوة ، أصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره كلّه مَعْلَماً من معالِم الدين ، ومصدراً للتشريع ، ومصباحاً للهداية ، وسبيلاً للنجاة.

---

(٢٥٨) راجع ما ورد في تفسير سورة الكوثر ، وآية التطهير ، وآية المودّة في القربى ، وآية المباهلة ، وسورة الدهر من نصوص نبويّة حول الزهراء وأهل بيت الرسالة في كتاب أعلام الهداية ، ج٣ ; لتقف من خلال نصوص الوحي على عظيم منزلتها عند الله سبحانه و تعالى.

(٢٥٩) أنظر كنزالعمّال، ج ٦، ص ٢١٩ ومستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٣ وميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٧٢.

(٢٦٠) أنظر الصواعق المحرقة، ص ١٠٧، ١٣٨; صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق; كنز العمّال، ج ٦، ص ٢٢; خصائص النسائي، ص ٣٥; صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة; صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣١٩.

(٢٦١) راجع فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٦.

(٢٦٢) رواه أبوداود الطيالسي في مسنده، ج ٦، في أحاديث النساء وأبونعيم في حلية الأولياء، ج٢، ص ٢٩، والطحاوي في مشكل الآثار، ج ١، ص ٤٨ وشرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ٩، ص ١٩٣ والعوالم، ج١١، ص ٤٦، ٤٩.

(٢٦٣) أنظر كنز العمّال، ج ٧، ص ٩٢ ومسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٦ و٣٢٣ ومستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٧، ١٥١ وصحيح البخاري كتاب الاستئذان، وصحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣٠٦، وحلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٢ والاستيعاب. ج ٢، ص ٧٢٠، ٧٥٠.

(٢٦٤) كما أشارت إلى ذلك سورة النجم: ٣.

إنّ هذه الشهادات من خاتم الرسل(صلى الله عليه وآله) أوسِمَةٌ للزهراء(عليها السلام)، تزداد تألّقاً كلّما مرّ الزمن ، لاسيّما إذا لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه وآله)لها: «**يا فاطمة اعملي لنفسك ; فإنّـي لا أُغني عنكِ من الله شيئاً**»(٢٦٥).

وقوله (صلى الله عليه وآله): «**كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمّد**»(٢٦٦).

وقوله (صلى الله عليه وآله): «**إنّما فاطمة شجنة منّـي، يقبضني مايقبضها ، ويبسطني مايبسطها**(٢٦٧). **وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غيرنسبي وسببي وصهري ...**»(٢٦٨).

وروي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج ذات يوم ، وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام)وقال: «**من عَرَفَ هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد ، وهي بضعة منّـي، وهي قلبي الّذي بين جنبيّ ; فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله**»(٢٦٩).

وقال (صلى الله عليه وآله) مرة أخرى: «**فاطمة أعزّ الناس عليّ**»(٢٧٠).

وهذه النصوص خير شاهد على عصمتها بعد آية التطهير، بل تخطّ لنا طريقاً واعياً لما تستقبله الرسالة من أحداث حيث إنّها لا تغضب إلاّ لله.

٢ . الزهراء (عليها السلام) **عند أهل البيت** (عليهم السلام)**والصحابة والتابعين**

عن الإمام عليّ بن الحسين ، زين العابدين (عليه السلام)انه قال: «**لم يولد للرسول** (صلى الله عليه وآله)**من خديجة على فطرة الإسلام إلاّ فاطمة**»(٢٧١).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «**والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم**»(٢٧٢).

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام): «**إنّما سمّيت فاطمة ; لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها**»(٢٧٣).

وعن ابن عباس: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم ، وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال:

---

(٢٦٥) فاطمة الزهراء وتر في غمد، من مقدّمة السيّد موسى الصدر.

(٢٦٦) رواه صاحب الفصول المهمّة عن مسلم والترمذي، ص ١٢٣ وراجع تفسير الوصول، ج ٢، ص ١٥٩ وشرح ثلاثيّات مسند أحمد، ج ٢، ص ٥١١.

(٢٦٧) الشجنة، الشعبة من كلّ شيء، والشجنة ايضاً كالغصن يكون من الشجرة ، وراجع مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٥٤ وكنزالعمّال، ج ١٢، ص ١١١، الحديث ٣٤٢٤.

(٢٦٨) انظر مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٢٣ و٣٢٢ والمستدرك، ج ٣، ص ٥٨.

(٢٦٩) راجع الفصول المهمّة، ص ١٢٨ ورواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي، ص ١٣٣.

(٢٧٠) أمالي الطوسي، ج ١، ص ٢٤ والمختصر، ص ١٣٦.

(٢٧١) روضة الكافي، ص ٥٣٦.

(٢٧٢) كشف الغمة، ج ٢، ص ٩٩.

(٢٧٣) بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٦٥.

«اللهمَّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ ; فأحبب من أحبّهم وأبغض من أبغَضهم ، ووالِ من والاهم وعادِ من عاداهم، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهَّرين من كلّ رجس ، معصومين من كلّ ذنب ، وأيّدهم بروح القدس منك».

وعن أُمّ المؤمنين ، أُمّ سلمة أنّها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعن أُمّ المؤمنين ، عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلاّ أن يكون الّذي أولدها[٢٧٤] ، وكانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام ، فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها ، فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها ، وكان يختصّها بسرّه ، ويرجع إليها في أمره[٢٧٥].

قال ابن الصبّاغ المالكي: ... وهي بنت من أُنزل عليه (**سبحان الّذي أسرى**)[٢٧٦]، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد[٢٧٧].

وقال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني: من ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول ... كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة ، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[٢٧٨].

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي: وأكرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه... حتّى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد ، فقال لمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «**إنّها سيّدة نساء العالمين ، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف ! غضّوا أبصاركم ; لتعبر فاطمة بنت محمّد**» وهذا من الأحاديث الصحيحة ، وليس من الأخبار المستضعفة... وكم قال لا مرّة: «**يؤذيني ما يؤذيها ، ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي ; يريبني ما رابها**»[٢٧٩].

---

(٢٧٤) كشف الغمّة، ج ٢، ص ٩٧، ٩٩.

(٢٧٥) أهل البيت (لتوفيق أبوعلم)، ص ١٤٤.

(٢٧٦) الإسراء : ١.

(٢٧٧) الفصول المهمّة، ص ١٤٣، طبعة بيروت.

(٢٧٨) حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٩. طبعة بيروت.

(٢٧٩) شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٩٣.

قبس من فضائل الزهراء (عليها السلام) ومظاهر شخصيّتها

انّها ابنة نبيّ ، حرّر العقول ، ووقف بذوي العقول فوق الأجيال، كما أنّها زوجة إمام كان ركناً من أركان الحق ، وامتداداً لأعظم نبيّ في تأريخ الإنسان.

لقد حازت فاطمة كمال العقل وجمال الروح وصفاء الضمير ، ورسمت لنا ملامح الطريق الوعر الذي سلكته الرسالة بمواقفها وتراثها فكانت هي ركناً من أركان الرسالة ، ولذا فلا يمكن فهم تأريخ الرسالة بصورة دقيقة من دون فهم تأريخها.

وقد مثّلت الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء وقّاد وعلم واسع، وكفاها فخراً أنّها تربّت في مدرسة النبوّة ، وتخرّجت من معهد الرسالة ، وتلقّت عن أبيها ، الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله)ما تلقّاه عن ربّ العالمين(٢٨٠).

لقد سمعت فاطمة القرآنَ الكريم من فم النبيّ المصطفى(صلى الله عليه وآله) ومن صوت عليّ (عليه السلام)المرتضى، فعبدت ربّها بعد أن وعت أحكامه وفرائضه وسننه وعياً لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف والمكرمات.

ومن هنا نعرف السرّ في ما صرّحت به عائشة ، من أنّها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحبّ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة، وقد علّلت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلاّ أن يكون الّذي أولدها (صلى الله عليه وآله)(٢٨١).

وهكذا صارت الزهراء البتول صورة الإنسانية الكاملة ، الّتي يتخشّع بتقديسها المؤمنون.

علمها ومعرفتها

لم تكتف الزهراء فاطمة(عليها السلام) بما هيّأ لها بيت الوحي من معارف ، ولم تقتصر على الاستنارة العلمية ، الّتي كانت تهيّئها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلّ جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبعلها باب مدينة علم النبي أن تنهل من العلوم ما استطاعت. كما كانت ترسل ولديها ، الحسن والحسين إلى مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله) بشكل مستمر ، ثم تستنطقهما بعد العودة إليها. وهكذا كانت تحرص على طلب العلم ، كما كانت تحرص على تربية ولديها تربيةً فُضلى. ولقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين ، بالرغم من كثرة واجباتها البيتية.

إن هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم ونشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث ، ومن حَمَلة السنّة المطهّرة حتّى أصبح كتابها الكبير ، الّذي كانت تعتزّ به أشدّ الاعتزاز يُعرف باسم «مصحف فاطمة».

---

(٢٨٠) انظر أهل البيت (توفيق أبوعلم)، ١١٦.

(٢٨١) المصدر السابق.

ولا ننسى أنّ أحد أسمائها قد كان هو «المحدَّثة» ، وبذلك تكون شقيقة لمريم في تحديث الملائكة لها. وهذا مصدر آخر لعلمها الذي انتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين(عليهم السلام) يتوارثونه كابراً عن كابر.

ويكفيك دليلاً على ذلك ، وعلى سموّها فكراً ، وكمالها علماً ما جادت به قريحتها من خطبتين مهمّتين[٢٨٢] ، ألقتهما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله): إحداهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والأُخرى في بيتها. وقد تضمّنتا مضامين رائعة ، تعبّر عن عمق فكرها وأصالته ، واتّساع ثقافتها ، وقوّة منطقها ، وصدق نبوءاتها فيما ستنتهي إليه الأُمّة بعد انحرافها عقيب وفاة أبيها. أضف إلى ذلك رفعة أدبها ، وعظيم جهادها في ذات الله وفي سبيل الحق تعالى.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيت ، اتّقوا الله وعلّمهم الله[٢٨٣] ، وهكذا فطمها الله بالعلم فسمّيت فاطمة، كما انقطعت عن النظير فسمّيت بالبتول.

مكارم أخلاقها

لقد كانت فاطمة (عليها السلام) كريمة الخليقة ، شريفة الملكة ، نبيلة النفس، جليلة الحس ، سريعة الفهم، غرّاء المكارم، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها مادّي الخيلاء، ولا يثني أعطافها الزهو والكبرياء[٢٨٤].

لقد كانت ذات رحابة صدر ، وسعة أناة ، ووقار وسكينة ، ورفق ورزانة ، وعفّة وصيانة.

كان لا يجري لسانها بغير الحق ، كما لا تنطق إلاّ بالصدق. لا تذكر أحداً بسوء ، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز. تحفظ السر ، وتفي بالوعد، وتصدق النصح ، وتقبل العذر ، وتتجاوز عن الإساءة، وكثيراً ما أقالت العثرة ، وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح.

لقد كانت عَزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في ذاتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف. لا يميل بها هواها; لأنّها من أهل بيت الرسالة ، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكانت إذا كلّمَت إنساناً ، أو خطبت في الرجال ، يكون بينها وبينهم ستر ، يحجبها عنهم عفّةً وصيانةً.

وكانت قانعة بحالها ، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر ، مستمسكة بما قاله لها أبوها: **«يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا ; لتفوزي بنعيم الأبد»**[٢٨٥].

---

(٢٨٢) أُنظر الخطبتين في الإحتجاج للطبرسي.

(٢٨٣) اشارة إلى قوله تعالى: (اتقوا الله ويعلمكم الله)(بقره : ٢٨٢.

(٢٨٤) أنظر أهل البيت، ص ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢٨٥) الدّر المنثور، ج ٦، ص ٢٦١.

فكانت راضية بالعسير من العيش ، صابرة على شظف الحياة[٢٨٦]، قانعة باليسير من الحلال، راضيةً مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي غنيّة بنفسها كما قال أبوها (صلى الله عليه وآله): «**إنّما الغنى غنى النفس**»[٢٨٧].

إنّها السيّدة (البتول) الّتي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها ، وعزفت عن زخارفها وغرورها ، وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤوليّاتها ، وهي تعاني شظف العيش ، ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء(عليها السلام) الآخرة ، فلم تحفل بمباهج الدنيا ، وهي ترى إعراض أبيها (صلى الله عليه وآله)عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعُرف عنها عظيم صبرها على البلاء ، وكبير شكرها عند الرخاء ، ورضاها بواقع القضاء حتّى روت عن أبيها (صلى الله عليه وآله): «**ان الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، وإن رضي اصطفاه**»[٢٨٨].

جودها وإيثارها

لقد كانت الزهراء خير من يؤثِر على نفسه اقتداءً بأبيها ، حتّى عُرف عنها إيثارها بقميص عرسها ليلة زفافها(عليها السلام) ، وكفى بما جاء في سورة الدهر شاهداً على عظيم إيثارها ، وجميل سخائها.

روى جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه: صلّى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة العصر ، فلمّا انفتل (و اتمّ صلاته) جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب ، عليه سمل[٢٨٩] قد تهلهل وأخلق، ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً. فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستحثه الخبر[٢٩٠]، فقال الشيخ: يا نبي الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فأكسني، وفقير فأرشني.

فقال (صلى الله عليه وآله) : «**ما أجد لك شيئاً، ولكن الدال على الخير كفاعله. انطلق إلى منزل مَنْ يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه. انطلق إلى حجرة فاطمة**». وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، الّذي ينفرد به لنفسه من أزواجه. وقال أيضاً: «يا بلال، قم فقف به على منزل فاطمة».

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل ، الروح الأمين ، بالتنزيل من عند ربّ العالمين. فقالت فاطمة: «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟».

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيّد البشير من شقّة، وأنا ـ يا بنت محمّد ـ عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمكِ الله.

---

(٢٨٦) مصاعب الحياة.

(٢٨٧) نهج الفصاحة، الكلمة ٢٣٨٢.

(٢٨٨) أنظر أهل البيت، ص ١٣٧.

(٢٨٩) السَمِل: الثوب الخَلقِ، وتهلُّل الثوب: تخريقه.

(٢٩٠) يسأله بجدّ.

وكان لفاطمة وعلي (عليه السلام) في تلك الحال ـ وكذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ ثلاثة أيام ، ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)ذلك من شأنهما. فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ ، كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: «خذ أيّها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه». قال الأعرابي: يا بنت محمد ، شكوت إليكِ الجوع فناولتيني جلد كبش. ما أصنع به، مع ما أجد من السَغَب (والجوع)؟

فلمّا سمعت هذا من قوله عمدت إلى عقد كان في عنقها ، أهدته لها فاطمة بنت عمّها ، حمزة بن عبدالمطّلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي ، وقالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه».

فأخذ الأعرابي العقد ، وانطلق إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والنبي جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد فقالت: «بعه».

قال: فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: «كيف لايعوّضك به ما هو خير منه؟! وقد أعطتك فاطمة بنت محمد ، سيّدة بنات آدم».

فقام عمّار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟.

قال(صلى الله عليه وآله): «اشتره يا عمّار، فلو اشتركَ فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار».

فقال عمّار: بكم العقدُ يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية ، أستر بها عورتي وأُصلّي بها لربّي، ودينار يبلّغني أهلي. وكان عمّار قد باع سهمه الّذي نفله رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خيبر ولم يبق شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ، ومئتا درهم هجرية ، وبردة يمانية ، وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال، يا رجل. وانطلق به عمّار فوفاه فأضمن له. وعاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**أشَبِعتَ واكتسيت؟**» قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمّي.

قال: «فاجز فاطمة بصنيعها». فقال الأعرابي: **اللهمَّ إنّك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات، اللهمَّ أعطِ فاطمة مالا عين رأت ولا أُذن سمعت».**

فأمّن النبي على دعائه، وأقبل على أصحابه، فقال: «**إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك : أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها ولولا علي لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما ، سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنّة».**

وكان بازائه المقداد وعمّار وسلمان. فقال: «وأزيدكم؟».

قالوا: نعم يارسول الله. فقال (صلى الله عليه وآله) : «**أتاني الروح ـ يعني جبرئيل**(عليه السلام) **ـ انها إذا هي قُبضت ودفنت، يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربي. فيقولان فمن نبيك؟ فتقول: أبي، فمن وليّكِ؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري.**

ألا وأزيدكم من فضلها؟ إن الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة ، يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها. فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي ، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار علياً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما».

فعمد عمار إلى العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية ، وكان له عبد ابتاعه من ذلك السهم الّذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك ، وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأخبره بقول عمّار، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «انطلق إلى فاطمة ، فادفع إليها العقد وأنت لها». فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله). فأخذت فاطمة (عليها السلام)العقد وأعتقت المملوك ، فضحك الغلام ، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟».

قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد : أشبع جائعاً ، وكسا عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه[٢٩١].

إيمانها وتعبّدها لله تعالى

إنّ الإيمان بالله هو رمز الإنسان الكامل ، والتعبّد لله تعالى وسُلَّم الوصول إلى قِمَم الكمال.

وقد حاز الأنبياء والأولياء مقاعد الصدق في دار الكرامة ، بما اكتسبوا من درجات الإيمان ، وبما اجتهدوا في الدنيا ، لاكتساب الصالحات ، وإخلاص العبادة لله سبحانه.

وقد شهد القرآن الكريم ـ كما جاء في سورة الإنسان (الدهر) ـ على كمال إخلاص الزهراء(عليها السلام) ، وخشيتها لله سبحانه ، وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر ، إيماناً صاغ منها مثالاً يُحتذى به كما شهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لها قائلاً: «**إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها ، ففرغت لطاعة الله**»[٢٩٢] ، و«إنّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله ، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّوجلّ لملائكته: يا ملائكتي ، انظروا إلى أمتي فاطمة ، سيّدة إمائي ، قائمة بين يديّ ، ترتعد فرائصها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنّي قد آمنتُ شيعتها من النار»[٢٩٣].

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام): «رأيت أُمّي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات ، وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه ، لِمَ لا تدعينَ لنفسكِ كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنـيّ! الجار ثم الدار»[٢٩٤].

---

(٢٩١) أهل البيت، ص ١٣٨.

(٢٩٢) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٤٦، ٥٦ ـ ٥٨ والمشاش، رأس العظيم اللين.

(٢٩٣) المصدر السابق.

(٢٩٤) أمالي الصدوق، المجلس ٢٤، ص ١٠٠.

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء. كما كانت لا تنام الليل في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ، وكانت تحثّ جميع من في بيتها على إحياء الليل بالعبادة والدعاء.

وقال الحسن البصري: ماكان في هذه الأُمّة أعبد من فاطمة: كانت تقوم حتّى تورّمت قدماها[٢٩٥]. وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[٢٩٦].

وهل خرجت فاطمة(عليها السلام) في حياتها كلّها عن المحراب؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعّل ، وفي تربية أولادها. وهي في قيامها بالخدمات العامّة كانت تطيع الله وتعبده أيضاً. كما أنّها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله ، مؤثرة على نفسها ولو كان بها خصاصة.

حنانها وشفقتها وتدبيرها

لمست الزهراء (عليها السلام) من أبيها حبّه ومودّته وحنانه وشفقته ، فكانت نعم البرّة به (صلى الله عليه وآله): أخلصت له في حبّها وولائها ووفائها له، فآثرتْه على نفسها. وكانت تتولّى تدبير بيت أبيها (صلى الله عليه وآله) ، وتقوم بإدارته، فتنجز ما يصلحه، وتبعث فيه الهدوء والراحة له. كما كانت تسارع إلى كلّ ما يرضي أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله): تسكب له الماء ليغتسل ، وتهيّئ له طعامه ، وتغسل ثيابه، فضلاً عن اشتراكها مع النساء لحمل الطعام والشراب ، وسقاية الجرحى ومداواتهم.

وفي غزوة أُحُد داوَتْ جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع ; اذ أخذت قطعة حصير ، فأحرقته حتّى صار رماداً ، ثم ذرّته على الجرح ، فاستمسك الدم.

وجاءته في حفر الخندق بكسرة من خبز ، فرفعتها إليه فقال: «ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنيّ ، جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنيّة ، أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام»[٢٩٧].

وقد استطاعت الزهراء(عليها السلام) أن تملأ الفراغ العاطفي ، الّذي عاشه الرسول (صلى الله عليه وآله)بعد فقده أبويه وزوجته الكريمة ، خديجة الكبرى ، في أقسى ظروف الدعوة والجهاد في سبيل الله.

ومن هنا نفهم مغزى ما تكرّر على لسانه (صلى الله عليه وآله) من أن «**فاطمة أُمُّ أبيها**»[٢٩٨].

كان يعاملها معاملة الأم: يقبّل يدها ، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة ، كما كان يودّعها ، وينطلق من عندها في كلّ رحلاته وغزواته ، فكان يتزوّد من هذا المنبع الصافي عاطفةً وبركةً لسفره ورحلته.

كما كان يكثر التردّد عليها ، فتقابله فاطمة (عليها السلام) كما تقابل الأُم ولدها ، فترعاه وتحتضنه وتخفّف آلامه ، كما كانت تخدمه وتطيعه.

---

(٢٩٥) عدّة الداعي، ص ١٣٩.

(٢٩٦) المصدر السابق.

(٢٩٧) عوالم العلوم (سيّدة النساء) ، ج ١، ص ٢٤٤ عن مجمع الزوائد، ج ١، ص ٣١٢.

(٢٩٨) راجع أُسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٠ والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٨٠.

جهادها المتواصل

ولدت فاطمة في حدّة الصراع بين الإسلام والجاهليّة ، وفتحت عينيها والمسلمون في شدّة الجهاد مع الوثنيّة الجائرة. لقد فرضت قريش الحصار على رسول الله (صلى الله عليه وآله)وبني هاشم جميعاً ، فدخل الرسول(صلى الله عليه وآله) مع زوجته المجاهدة وابنته الطاهرة الشِعب ، وحاصرتهم قريش ثلاث سنين ، وأذاقتهم فيها ألوان الحرمان ، وشظف العيش ، إلاّ أنهم جاهدوا في الله ; دفاعاً عن الحقّ وتضحية من أجل المبدأ.

ومرّت سنون الحصار صعبة ثقيلة ، وخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) منها منتصراً ، وشاء الله أن يختار خديجة لجواره ، في ذلك العام ، كما توفّي فيه أبوطالب ، عمّ الرسول(صلى الله عليه وآله) وحامي الدعوة ، وناصر الإسلام ، وأخذ الحزن والأسى بقلب الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد فَقده أحبَّ الناس إلى قلبه وأعزّهم عليه. وهكذا رُزئت فاطمة(عليها السلام)وهي لم تشبع بعدُ من حنان الأُمومة، وشاطرت أباها المأساة والألم، بالرغم من أنّها قد فقدت أُمّها ، مصدر الحنان الثرّ، وكان الرسول يحاول دائماً أن يعوّض لها من حبّه ما فقدته من حنان أمّها الكبير.

ولقد صبّت قريش كلّ حقدها وأذاها على الرسول(صلى الله عليه وآله) ، بعد وفاة عمّه وحاميه، وكانت الزهراء(عليها السلام) ترى بأُمّ عينيها ما يقوم به سفهاء قريش وطغاتهم من انتقاصهم للرسول وايذائه، وهو يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور.

أمّا الرسول(صلى الله عليه وآله) فكان يحاول أن يخفّف عنها عبء الألم ، ويحثّها على الصبر قائلاً: «**لا تبكي يا بنيّة; فإنّ الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته**»[٢٩٩] وهكذا كان يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهادية عالية ، ويملأ قلبها بالصبر والثقة بالنصر.

وهاجرت الزهراء(عليها السلام) بعد هجرة أبيها إلى المدينة مِن جوّ مكّة المرعب ، مع ابن عمّها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، الّذي استهان بكبرياء قريش وغرورها ، والتحق بالرسول (صلى الله عليه وآله)في قُبا ، بعد أن تورّمت قدماه من المشي.

وانتقلت الزهراء(عليها السلام) إلى بيت زوجها المتواضع في المدينة، بعد أن أرسى أبوها(صلى الله عليه وآله)دعائم دولته المباركة، وشاركته في جهاده صابرة ، على قساوة الحياة ، ومصاعب الجهاد في سبيل الله ، وهي تحاول أن تقدّم صورة نموذجية لحياة عائلية جديدة.

كما لعبت الزهراء(عليها السلام) دوراً بارزاً وكبيراً في نصرة الحقّ ، والدفاع عن وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ، حينما وقفت ، صارخة بشكل لا مثيل له ، ضد الانحراف ، وإلى جانب وليّها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أحرج أيّام حياته ، لتوكّد أن الجبهة الداخلية في حياة عليّ(عليه السلام) صامدة ، لا تشعر بالضعف ، ولكنّها تترك تقدير الظروف وانتخاب الموقف لقائدها وزوجها الإمام، ليقرّر ما هو الأنسب بالظروف.

---

(٢٩٩) سيرة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ص ٢٩٥.

لقد كانت الزهراء(عليها السلام) تأتي إلى قبور الشهداء في منطقة أُحُدُ كلَّ غداة سبت ، وتترحّم عليهم وتستغفر لهم.

إنّ هذه الممارسات تفصح عن مدى تقدير فاطمة(عليها السلام) للجهاد وللشهادة ، وتعبّر بوضوح عن قيم حياتها العملية ، الّتي بدأت بالجهاد واعتمدت عليه وانتهت به لتصل إلى درجة الشهادة[٣٠٠].

من تراث الزهراء فاطمة (عليها السلام)

١ . عن فاطمة بنت رسول الله: أنَّها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبسط ثوباً وقال لها: **اجلسي عليه، ثمّ دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثمّ دخل الحسين فقال له: اجلس معهما، ثمّ دخل عليٌّ فقال له: اجلس معهم، ثمّ أخذ بمجامع الثوب فضمَّه علينا، ثمّ قال: اللّهمّ هم منّي وأنا منهم، اللّهمّ ارض عنهم كما أنّي عنهم راض**[٣٠١].

٢ . عن محمّد بن عمر الكناسي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليّ عن فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله)قالت:«**خرج علينا رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **فقال: إنَّ الله عزّوجلّ باهى بكم، فغفر لكم عامّة، وغفر لعليّ خاصّة، وإنّي رسول الله إليكم ، غيرهائب لقومي ومحاب لقرابتي. هذا جبرئيل** (عليه السلام)**يخبرني: إنَّ السعيد كلَّ السعيد حقَّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد وفاتي**»[٣٠٢].

٣ . عن عليّ عن فاطمة (عليهما السلام) قالت: «**قال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله)**: يا فاطمة، من صلّى عليك غفر الله له، وألحقه بي حيث كنت من الجنّة**»[٣٠٣].

٤ . عن زينب ابنة عليّ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: **قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله)**لعليّ: أما إنّك يا عليُّ وشيعتك في الجنّة**[٣٠٤].

٥ . وقالت سلام الله عليها: **إنّ رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **قال لها: أما ترضين أنّي زوَّجتك أوَّل المسلمين إسلاماً، وأعظمهم علماً؟ فإنّك سيّدة نساء العالمين كما سادت مريم نساءَ قومها**[٣٠٥].

٦ . عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال: سُئلت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الأئمة فقالت: «**كان رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **يقول لعليّ** (عليه السلام) **يا عليُّ أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليُّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليُّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا**

---

(٣٠٠) أنظر: فاطمة الزهراء وترٌ في غمد، من مقدّمة السيّد موسى الصدر.

(٣٠١) دلائل الإمامة، ٢ و ٣، وح٣٤ قد تقدّم في الفصل السابق تحت الرقم ١٦ من طريق العامّة.

(٣٠٢)) «أسنى المطالب» لشمس الدين الجزريّ، ٧٠.

(٣٠٣) كشف الغمّة، ج ١، ص ٤٧٢.

(٣٠٤) دلائل الإمامة، ٢ و ٣، ومثله في احقاق الحق، ج ٧، ص ٣٠٧، وينابيع المودَّة، ٢٥٧.

(٣٠٥) «أسنى المطالب» للعلاّمة الوصّاني اليمنّي، مخطوط.

مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فاذا مضى محمّد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهديُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمَّة الحق، وألسنة الصدق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم»[٣٠٦].

٧ . وإلى مقاصد التشريع الاسلامي أشارت(عليها السلام) بقولها: «**جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاةَ تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشييداً للدين، والعدْلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصّبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام مِنْسأة في العمر و منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة**».

٨ . وسألت الزهراء أباها (صلى الله عليه وآله) فقالت: «**يا أبتاه! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟**» قال: «**يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال و النساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره**».

٩ . وقالت: **قال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله)**: ايّاكِ والبخل; فإنّه عاهة لاتكون في كريم. اياك والبخل، فإنّه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار. وعليكِ بالسخاء; فإنّ السخاء شجرة من شجر الجنّة، أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده الغصن إلى الجنَّة**[٣٠٧].

١٠ . وقالت (عليها السلام): «**البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنّة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار**»[٣٠٨].

١١ . وقالت (عليها السلام): «**من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله إليه أفضل مصلحته**»[٣٠٩].

١٢ . وسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة: ما هي؟ قالوا: عورةٌ. قال: فمتى تكون أدنى من ربِّها؟ فلم يدروا. فلمّا سمعت فاطمة (صلى الله عليه وآله) ذلك قالت: «**أدنى ما تكون من ربَّها أن تلزم قعربيتها**»، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «**إنَّ فاطمة بضعة منّي**»[٣١٠].

---

(٣٠٦) راجع كفاية الأثر، ١٩٣ ـ ٢٠٠.

(٣٠٧) أهل البيت لتوفيق أبو علم، ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣٠٨) تفسير الإمام، ٣٥٤، والمراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقيّةً منهم.

(٣٠٩) بحارالانوار، ٧١ ج، ص ١٨٤.

١٣ . وقالت (عليها السلام) في وصف ما هو خير للنساء: «**خير لهنَّ ألاّ يرين الرجال ولا يرونهنَّ**»[٣١١].

١٤ . وعن عليِّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السلام): «**أنَّ فاطمة بنت رسول الله** (صلى الله عليه وآله)**استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيُّ** (صلى الله عليه وآله)**: لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح، فقال النبيُّ** (صلى الله عليه وآله)**: أشهد أنّك بضعة منّي**»[٣١٢].

---

(٣١٠) بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٩٢.

(٣١١) حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٠.

(٣١٢) ملحقات إحقاق الحق، ج ١٠، ص ٢٥٨.

الفصل الرابع

ا لسبط الأكبر ا لإمام ا لحسن ا لمجتبى(عليه السلام)

النسب المُشرق

الامام الحسن(عليه السلام) حفيد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وسبطه الأكبر ، وأحد سيّديّ شباب أهل الجنّة ، وأحد اثنين انحصرت بهما ذرّية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأحد الأربعة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وأحد الثقلين الذين أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)بالتمسّك بهما. وهو أيضاً ثاني الأئمة الاثني عشر ، الذين استخلفهم خاتم المرسلين على أمته من بعده وأبوه سيّد الوصيّين علي ، أميرالمؤمنين وأمّه سيّدة نساء العالمين ، فاطمة الطهر البتول; فما أشرفه من نسب.

تاريخ الولادة

لمّا حان وقت ولادة الزهراء (عليها السلام) ـ في النصف من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة للهجرة ـ النبوية المباركة ـ بعث إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله)أسماء بنت عميس وأُمّ أيمن ، فقرأتا عليها آية الكرسي والمعوّذتين.

ولمّا أُذيع نبأ الولادة غمرت موجات السرور والفرح قلب النبي (صلى الله عليه وآله) ، فسارع إلى بيت ابنته ليهنئها بمولودها الجديد ، ويبارك لأخيه وابن عمّه أميرالمؤمنين، ويفيض على وليدهما من مكرمات نفسه.

ونادى أسماء قائلاً: «يا أسماء: هاتيني ابني...». فدفعته إليه وهو في خرقة صفراء ، فرماها النبيّ وقال: «**ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا المولود في خرقة صفراء؟!**». وقام (صلى الله عليه وآله)فسرّأه، وألباه بريقه[٣١٣] ، وضمّه إلى صدره، ورفع يديه بالدعاء له قائلاً: «**اللهمَّ إنّي أُعيذه بك، وذريّته من الشيطان الرجيم...**»[٣١٤].

وأجرى النبي (صلى الله عليه وآله) السنة الإسلامية على مولوده المبارك وهي كما يلي:

---

(٣١٣) سرّأه: قطع سرّته، وألباه بريقه، مأخوذ من اللباء، وهو أول اللبن عند الولادة، والمراد أنّه (صلى الله عليه وآله)أطعمه بريقه كما يطعم الصبيّ اللباء.

(٣١٤) دائرة المعارف (للبستاني)، ج ٧، ص ٣٨.

١ . أذّن (صلى الله عليه وآله) في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى[٣١٥] ; إذ «إنّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم»[٣١٦].

٢ . وسأل الرسول(صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام)، عن تسميته لوليده، فأجابه قائلا: «ما كنت لأسبقك يا رسول الله».

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : «ما كنت لأسبق ربّي».

وإذا بالوحي يناجي الرسول، ويحمل له «التسمية» من الحق تعالى إذ يقول له جبرائيل : سمّه «حسناً»[٣١٧].

٣ . وانطوت سبعة أيام على ولادة سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فاتّجه إلى بيت فاطمة(عليها السلام) ; ليقوم ببعض التكريم والاحتفاء ، فجاء بأقصى ما عنده من البر والتوسعة ، فعقّ عنه بكبش واحد[٣١٨] ، وأعطى القابلة منه الفخذ ، وصار فعله هذا سنّة لأُمّته من بعده.

٤ . وحلق رأسه، وتصدّق بوزنه فضّة على المساكين[٣١٩] ، وطلى رأسه بالخَلوق[٣٢٠].

٥ . ختنه في اليوم السابع من ولادته[٣٢١] ; فإنّ ختان الطفل في ذلك الوقت أطيب له وأطهر[٣٢٢].

٦ . وكنّاه النبي (صلى الله عليه وآله) بأبي محمّد[٣٢٣] ، ولا كنية له غيرها[٣٢٤].

٧ . ولقب الإمام الحسن(عليه السلام) بالسبط، والزكي، والمجتبى، والسيّد ، والتقيّ.

---

(٣١٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٩١ وصحيح الترمذي، ج١، ص ٢٨٦ وقيل: إنّه لم يفعل ذلك بنفسه، وانّما أوعز إلى أسماء بنت عميس وأُمّ سلمة أن تفعلا ذلك به ساعة الولادة. ذكره الشبلنجي في نورالأبصار، ص ١٠٧.

(٣١٦) حياة الإمام الحسن بن عليّ (عليه السلام)، ج ١، ص ٦١.

(٣١٧) تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠ وجاء فيه أنّ أمين الوحي جبرئيل هبط على النبي (صلى الله عليه وآله)فقال له: إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: «عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدك فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون فسأله (صلى الله عليه وآله): وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ فقال : شبّر، فقال له (صلى الله عليه وآله): إنّ لساني عربيّ فقال: سمّه الحسن» ففعل ذلك.

(٣١٨) تأريخ الخميس، ج١،ص ٤٧٠ ومشكل الآثار،ج ١، ص ٤٥٦،وحلية الأولياء،ج٧،ص١١٦.

(٣١٩) تأريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠، ونور الأبصار، ص ١٠٧ وصحيح الترمذي، ج ١، ص ٢٨٦ وجاء فيها أنّ زنة شعره كانت درهماً أو بعض درهم.

(٣٢٠) الخلوق، طيب مركّب من زعفران وغيره، وفي بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٦٨ أنّ أهل الجاهلية كانوا يطلون رأس الصبيّ بالدم، فقال (صلى الله عليه وآله) : «الدم من فعل الجاهلية»، ونهى أسماء عن فعل ذلك.

(٣٢١) نور الأبصار، ص ١٠٨.

(٣٢٢) أنظر جواهر الكلام، كتاب النكاح، إذ روي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «طهّروا أولادكم يوم السابع فإنّه أطيب وأطهر، وأسرع لنبات اللحم، وأنّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوماً».

(٣٢٣) أُسد الغابة، ج ٢، ص ٩.

(٣٢٤) الكنية، هي الّتي تصدّر بأب أو أُمّ، وهي من سنن الولادة فعن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام): «إنّا لنكّني أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم».

ملامحه

كانت ملامحه تحاكي ملامح جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ; فقد حدّث أنس بن مالك قائلاً: لم يكن أحد أشبه بالنبيّ من الحسن بن عليّ[٣٢٥].

وكما شابه جدّه في صورته وملامحه ، فقد شابهه في سموّ أخلاقه ، الّتي امتاز بها على سائر النبيّين(عليهم السلام)[٣٢٦].

واتّفق الرواة على أنّ الحسن (عليه السلام) قد ورث من جدّه العظيم أخلاقه الكريمة، فلم يؤثَر عنه أنّه قابل مسيئاً بإساءَتِه، أو جازى مذنباً بذنبه، وإنّما كان يَسَعَهم بعظيم أخلاقه، ويغدِق عليهم بالبرّ والمعروف.

مراحل حياته

عاش الإمام الحسن (عليه السلام) ٤٧ سنة، قضى ما يزيد على سبع سنين منها مع جدّه (صلى الله عليه وآله) ، وثلاثة عقود مع أبيه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله). بينما قضى عقداً واحداً بعد أبيه (عليه السلام). وبهذا يمكن أن نقسّم مراحل حياته إلى مايلي:

١ . حياته في ظل جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله). (٣ هـ ـ ١١ هـ)

٢ . حياته في ظلّ إمامة أبيه المرتضى(عليه السلام). (١١ هـ ـ ٤٠ هـ)

٣ . حياته بعد أبيه(عليه السلام). (٤٠ هـ ـ ٥٠ هـ)

نشأته

١ . لقد نشأ الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في أحضان جدّه رسول الله ، وتغذّى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته ، وظلّ معه في رعايته ، حتّى اختار الله لنبيّه دار خلده ، بعد أن ورّثه هديه وأدبه وهيبته وسؤدده ، وأهَّله للإمامة الّتي كانت تنتظره بعد أبيه ، وقد صرّح بها جدّه في أكثر من مناسبة حينما قال: «**الحسن والحسين إمامان ، قاما أو قعدا ، اللهمّ إنّي أُحبّهما ، فأحبّ من يحبّهما**»[٣٢٧].

---

(٣٢٥) فضائل الأصحاب، ١٦٦، وفي صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣٠٧ عن علي (عليه السلام) قال: «الحسن أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه بالنبي (صلى الله عليه وآله) ما كان أسفل من ذلك»، وفي الإصابة عن البهي قال: تذاكرنا من أشبه النبي (صلى الله عليه وآله) من أهله؟ فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال: أنا أُحدّثكم بأشبه أهله به، وأحبّهم إليه: الحسن بن عليّ، ورواه الهيثمي في مجمعه، ج ٩، ص ١٧٥.

(٣٢٦) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٠. وعن الغزالي في احياء العلوم ، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال للحسن: «أشبهت خلقي و خُلقي».

(٣٢٧) راجع المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٣، ص ٣٨١ ـ ٣٨٥.

٢ . وبقي الإمام المجتبى(عليه السلام) بعد جدّه في رعاية أُمّه الزهراء، الصدّيقة الطاهرة ، وأبيه سيّد الوصيّين. الاّ أنّه ما لبث أن طوى الصفحة الثانية من حياته برحيل أُمّه الزهراء (عليها السلام).

٣ . وأشرف الإمام على دور الشباب في خلافة عمر ، وانصرف مع أبيه إلى تعليم الناس ، وحلّ مشاكلهم.

٤ . لقد وقف الإمام الحسن الزكي إلى جانب أبيه (عليه السلام) في عهد عثمان ، وهو يضع حدّاً للفساد ، الّذي كان ينتشر في جسم الأُمّة والدولة الإسلامية آنذاك.

٥ . لقد كان الحسن بن عليّ (السبط) إلى جانب أبيه (عليه السلام) في كلّ ما يقول ويفعل، واشترك معه في جميع حروبه ، وكان يتمنّى على أبيه أن يسمح له بمواصلة القتال ، وخوض المعارك عندما يتأزّم الموقف، بينما كان أبوه شديد الحرص عليه ، وعلى أخيه الحسين(عليهما السلام) خشية أن ينقطع بقتلهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٣٢٨] ، وبقي الحسن (عليه السلام)إلى جانب أبيه أميرالمؤمنين إلى آخر لحظة ، وكان يعاني ما يعانيه الإمام علي(عليه السلام)من أهل العراق ، ويتألّم لآلامه ، وهو يرى معاوية الطليق يبثّ دعاته، ويغري القادة من جيش أبيه بالأموال والمناصب ، حتّى فرّق أكثرهم ، وأصبح الإمام علي بن أبى طالب(عليه السلام) يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل[٣٢٩]. حتّى استُشهد الامام (عليه السلام) ، وورث خليفته ووصيّه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) تلك الأعاصير والتحدّيات.

انطباعات عن شخصيّة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)

١ . الإمام المجتبى في آيات الذكر الحكيم

لم تتّفق كلمة المسلمين في شيء كاتّفاقهم على فضل أهل البيت(عليهم السلام) ، وعلوّ مقامهم العلمي والروحي ، وانطوائهم على جميع الكمالات الّتي أراد الله للإنسانية أن تتحلّى بها.

والإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) هو أحد أهل البيت ، المطهّرين من الرجس بلاريب[٣٣٠]، وهو ابن رسول الله بنصّ آية المباهلة.

وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث بمداليله العميقة حينما قال:

---

(٣٢٨) حياة الإمام الحسن بن عليّ: ج ١، ص ٤٩٧.

(٣٢٩) راجع نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.

(٣٣٠) الاحزاب: ٣٣.

(فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)[٣٣١].

روى جمهور المحدّثين بطرق مستفيضة أنّها نزلت في أهل البيت، وهم: رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)، والأبناء هما الحسنان.

كما تضمّن الحديث المستفيض عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنّهم خير أهل الأرض ، وأكرمهم على الله ، ولهذا السبب أرد أن يباهل بهم. واعترف أسقف نجران بذلك قائلاً:

أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله[٣٣٢].

وهكذا دلّت الحادثة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم ، وسموّ مكانتهم ، وأفضليّتهم ، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحد من العالمين.

ولم ينصّ القرآن الكريم على عصمة أحد ـ غير النبي (صلى الله عليه وآله) من المسلمين ـ سوى أهل البيت الّذين طهّرهم الله من الرجس تطهيراً[٣٣٣]. ولم يختلف المسلمون في دخول عليّ والزهراء والحسنين(عليهم السلام) في ما تضمنته الآية المباركة[٣٣٤].

ومن هنا نفهم السبب في وجوب مودّتهم (عليهم السلام) ، وضرورة الالتزام بخطّهم دون من سواهم.

كما ذكرَ ابن عباس بأنّ آية المودّة في القربى حينما نزلت ، سأل بعض المسلمين رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن مصداق القرابة الّتي أوجبها على المسلمين فأجاب قائلاً: «إنّهم علي وفاطمة وابناهما»[٣٣٥].

وأشار القرآن الحكيم إلى أسباب هذا التفضيل في سورة الإنسان ، الّتي نزلت لبيان ما انطوى عليه أهل البيت(عليهم السلام) من الإخلاص في الطاعة والعبادة لله بقوله تعالى: **(إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً* إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً* فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً)**[٣٣٦].

روى جمهور المفسّرين والمحدّثين أن هذه السورة المباركة نزلت في أهل البيت ، بعدما مرض الحسنان ونذر الإمام والزهراء(عليها السلام) صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن برئا. فوفوا بنذورهم ، وجسّدوا فيه أروع أنواع الإيثار حتّى نزل قوله تعالى: **(إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها**

---

(٣٣١) آل عمران: ٦١.

(٣٣٢) نور الأبصار، ١٠٠، وراجع تفسير الجلالين، وروح البيان، والكشاف والبيضاوي، والرازي، وصحيح الترمذي، ج ٢، ص ١٦٦، وسنن البيهقي، ج ٧، ص ٦٣، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد، ج ١، ص ٨٥، ومصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٠١.

(٣٣٣) الأحزاب : ٣٣.

(٣٣٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، تفسير النيسابوري، وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٣٣ وخصائص النسائي، ص ٤، ومسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٧، وسنن البيهقي، ج ٢، ص ١٥٠، ومستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٤١٦، وأُسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢١.

(٣٣٥) راجع تفسير الكبير والدّر المنثور، ج ٧ وتفسير الطبري، ج ٥، ص ١٦.

(٣٣٦) الإنسان : ٩ ـ ١٢.

عباد الله يفجّرونها تفجيراً* يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً...)[٣٣٧] فشكر الله سعيهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم في الآخرة من مقام شامخ ، وبما حباهم من موقع ريادي للمسلمين في الدنيا ، حتّى يرث الأرض ومن عليها.

٢ . مكانة الإمام المجتبى لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله)

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين(عليهما السلام) بأوصاف تنبئ عن عظيم منزلتهما لديه، فقد قال (صلى الله عليه وآله):

١ . الحسن والحسين ريحانتاي[٣٣٨] **من الدنيا ، والحسن والحسين ريحانتاى من هذه الأُمّة**[٣٣٩].

٢ . الحسن و الحسين خير أهل الأرض[٣٤٠].

٣ . الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٣٤١].

٤ . الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا[٣٤٢].

٥ . وهما من (أهل البيت) ومن العترة الّتي لا تفترق عن القرآن إلى يوم القيامة ، فلن تضلّ أُمّةٌ تمسّكت بهما[٣٤٣].

٦ . وَمَثَلُ أهل البيت كمثل سفينة نوح : من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق[٣٤٤].

٧ . وهما ممّن قال عنهم جدّهم(صلى الله عليه وآله): «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف**»[٣٤٥].

٨ . وعن أنس أن رسول الله سُئِل: أيّ أهل بيتك أحبُّ إليك؟ قال: «الحسن والحسين». وكان يقول لفاطمة(عليها السلام): «أدعي لي إبنيّ» ، فيشمّهما ويضمّهما إليه![٣٤٦]

٣ . مكانة الإمام المجتبى (عليه السلام) **لدى معاصريه**

١ . سأل معاوية جلساءه: مَنْ أكرم الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّةً وخالاً وخالةً؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن بن علي وقال: هذا، أبوه عليّ بن أبي طالب ، وأُمّه فاطمة ابنة محمّد ،

---

(٣٣٧) الإنسان : ٥ ـ ٧.

(٣٣٨) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

(٣٣٩) سنن الترمذي، ص ٥٣٩.

(٣٤٠) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦٢.

(٣٤١) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٦ والترمذي، ص ٥٣٩.

(٣٤٢) المناقب لابن شهرآشوب، ج٣،ص ١٦٣نقلاعن مسندأحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه.

(٣٤٣) جامع الترمذي، ص ٥٤١ ومستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٩.

(٣٤٤) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٣٤٥) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٤٩.

(٣٤٦) سنن الترمذي، ص ٥٤٠.

وجدّه رسول الله ، وجدّته خديجة ، وعمّه جعفر ، وعمّته هالة بنت أبي طالب ، وخاله القاسم بن محمّد ، وخالته زينب بنت محمّد [٣٤٧].

٢ . وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت الحسن إلاّ فاضت عيناي ; وذلك أنّي رأيت رسول الله يدخل فَمهُ في فمِهِ ، ثم يقول: «**اللهمَّ إنّي أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه**»، يقولها ثلاث مرّات[٣٤٨]. وقال: لاأزال أُحبّ هذا الرجل ـ يعني الحسن ـ بعدما رأيت رسول الله يصنع به ما يصنع[٣٤٩].

٣ . وحينما بادر مروان بن الحكم ـ وهو من ألدّ أعدائه ـ إلى حمل جثمانه الطاهر ، استغرب منه الحسين(عليه السلام) قائلاً له: «أتحمل جثمانه ، وكنت تجرّعه الغصص»؟! فأجابه مروان: كنت أفعل ذلك بمن كان يوازي حلمه الجبال[٣٥٠].

٤ . وقال عنه أبو الأسود الدؤلي: وإنّه لهو المهذّب، قد أصبح من صريح العرب في غرّ لبابها ، وكريم محتدها ، وطيب عنصرها[٣٥١].

٥ . وقال عمرو بن إسحاق: ما تكلّم أحد أحبّ إليّ أن لا يسكت من الحسن بن علىّ، وما سمعت منه كلمة فحش قطّ[٣٥٢].

٦ . وقال عبدالله بن الزبير: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي : في هيبته وسموّ منزلته[٣٥٣].

٤ . مكانة الإمام المجتبى (عليه السلام) **لدى العلماء والمؤرّخين**

١ . عن محمد بن إسحاق : ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن; كان يبسط له على باب داره ، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق ، فما يمرّ أحد من خلق الله ; إجلالاً له. فإذا علم قام ودخل بيته ، فمرّ النّاس. ولقد رأيته في طريق مكّة ماشياً ، فما من خلق الله أحد رآه إلاّ نزل ومشى ، وحتّى رأيت سعد بن أبيوقّاص يمشي[٣٥٤].

٢ . قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني ـ وهو من أعلام القرن الخامس ـ عن الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام): هو سيّد الشباب ، والمصلح بين الأقارب والأحباب، شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبيبه،

---

(٣٤٧) أنظر العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٣.
(٣٤٨) أنظر مختصر تأريخ دمشق (لابن عساكر)، ج ٧، ص ١٠.
(٣٤٩) أنظر نور الأبصار، ص ١٧١.
(٣٥٠) أنظر تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٨.
(٣٥١) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ٢، ص ٢٤٧.
(٣٥٢) أنظر بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٣٥٨.
(٣٥٣) أنظر البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٧.
(٣٥٤) أنظر المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٤٨.

سليل الهدى وحليف أهل التقى، خامس أهل الكساء وابن سيّدة النساء ، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٣٥٥].

٣ . وقال ابن عبدالبرّ : لا أسود ممّن سمّـاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيّداً. وكان رحمة الله عليه حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا ، رغبة فيما عندالله وقال: «والله ما أحببت ـ منذ علمت ما ينفعني وما يضرّني ـ أن آلي أمر أُمّة محمّد (صلى الله عليه وآله) على أن يهراق في ذلك محجمة دم»[٣٥٦].

٤ . وقال ابن الأثير عنه: سيّد شباب أهل الجنّة ، وريحانة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهو خامس أهل الكساء[٣٥٧].

٥ . وقال سبط ابن الجوزي: كان من كبار الأجواد، وله الخاطر الوقّاد وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبّه حبّاً شديداً[٣٥٨].

٦ . وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي: وقد كان الصدّيق يجلّه ويعظّمه ويكرمه ويحبّه ويتفدّاه ، وكذلك عمربن الخطّاب... وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من النعم عليه[٣٥٩].

٧ . وقال الحافظ ابن عساكر الشافعي : سبط رسول الله ، وريحانته ، وأحد سيِّدَي شباب أهل الجنّة...[٣٦٠].

٨ . وقال الحافظ السيوطي: سبط رسول الله ، وريحانته وآخر الخلفاء بنصّه[٣٦١].

٩ . وقال محمدبن طلحة الشافعي: كان الله قدرزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد مايعانيه، ومنحه النظرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه[٣٦٢].

١٠ . وقال عبدالقادر أحمد اليوسف: إنّ الحسن بن علي وابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن تلاه من الأئمة المعصومين(عليهم السلام)يعتبرون أنفسهم أحقّ من غيرهم، لا بل هم المكلّفون بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بنشر الإسلام ، والمحافظة على السنن ، والشرائع المحمدية ; لما لهم من وشائج القربى ، ونقاوة النفس ، وتفهّم التنزيل[٣٦٣].

---

(٣٥٥) راجع أخبار إصبهان، ج ١، ص ٤٤، طبعة ليدن، سنة ١٩٣١.

(٣٥٦) الاستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥، واعلم أنّ الملك والحكم إذا كان لإقامة حكم الله في الأرض فلايكون تركه زهداً وورعاً. وإنّما ترك الإمام القتال لانّ مسؤوليّة الإمام الشرعية في تلك الظروف كانت تتطلب ذلك.

(٣٥٧) عن أُسد الغابة ، ج٢ ، ص٩.

(٣٥٨) تذكرة الخواصّ ، ص ١١١.

(٣٥٩) البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٣٧.

(٣٦٠) مختصر تأريخ دمشق ، ج ٧ ، ص ٥.

(٣٦١) تأريخ الخلفاء ، ص ١٨٨.

(٣٦٢) مطالب السؤول ، ص ٦٥ ،

(٣٦٣) الحسن بن عليّ (لعبد القادر أحمد اليوسف)، ص ٤٢.

قبس من فضائل الإمام المجتبى (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته

عبادته

١ . روى المفضّل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه: أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب كان أعبد الناس في زمانه ، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجَّ ماشياً، وربّما مشى حافياً.

وكان إذا ذكر الموت بكى ، وإذا ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنشور بكى ، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى ، وإذا ذكر العرض على الله ـ تعالى ذكره ـ شهق شهقة يغشى عليه منها. وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّوجلّ. وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم[٣٦٤] ، وسأل الله الجنّة ، وتعوّذ به من النار.

وكان لايقرأ من كتاب الله عزّوجلّ **(يا أيّها الذين آمنوا)** إلاّقال: لبيّك اللهمَّ لبيّك. ولم يُرَ في شيء من أحواله إلاّ ذاكراً لله سبحانه. كان أصدق الناس لهجةً ، وأفصحهم منطقاً...[٣٦٥].

٢ . لقد كان (عليه السلام) إذا توضّأ ارتعدت مفاصله ، واصفرّ لونه. فقيل له في ذلك ، فقال: **«حقٌّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه ، وترتعد مفاصله».**

٣ . وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ، وقال: **«ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»**[٣٦٦].

٤ . وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتّى تطلع الشمس ، وإن زحزح[٣٦٧].

٥ . وعن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : **«إنّ الحسن** (عليه السلام) **قال: إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه»**[٣٦٨].

٦ . وعن علي بن جذعان: أنّ الحسن بن علي (عليه السلام) خرج من ماله مرّتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات[٣٦٩].

ادعيته

للإمام المجتبى (عليه السلام) أدعية تتضمّن مجموعة من المعارف ، وتحمل أدب التقديس لله تعالى ، والخضوع له ، والتذلّل بين يديه، ونشير إلى نموذج منها:

---

(٣٦٤) السليم، مَن لسعته العقرب.

(٣٦٥) راجع الأمالي للصدوق، ص ١٥٠ وبحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣١.

(٣٦٦) عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٠، وبحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩.

(٣٦٧) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩، وأخبار إصبهان، ج ١، ص ٤٤.

(٣٦٨) المناقب، ج ٣، ص ١٨٠ وبحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩.

(٣٦٩) المصدر السابق.

قال (عليه السلام) : «**اللهمَّ إنّك الخَلَفُ من جميع خَلقِك ، وليس في خلقِكَ خَلَفٌ مثلُكَ. إلهي من أحسنَ فبرحمتكَ، ومن أساء فبخطيئته، فلا الّذي أحسنَ استغنى عن رَفدك ومعونتك، ولا الّذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك. إلهي بك عرفتك ، وبك اهتديتُ إلى أمرك، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنت، فيا مَن هو هكذا ولا هكذا غيره ، صلِّ على محمّد وآل محمد ، وارزقني الإخلاص في عملي ، والسعة في رزقي. اللهمَّ اجعل خير عملي آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيّامي يوم ألقاك. إلهي أطعتك ولك المنّة عليَّ في أحبّ الأشياء إليك: الإيمان بك ، والتصديق برسولك ; ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك والتكذيب برسولك; فاغفر لي ما بينهما يا أرحم الراحمين**»[٣٧٠].

وعن ابن كثير: أنّ الحسن كان يقرأ كلّ ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب ، يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش[٣٧١].

لقد تغذّى الإمام الحسن (عليه السلام) من لباب المعرفة وجوهر الإيمان ، فكان من أشدّ الناس إيماناً ، ومن أكثرهم إخلاصاً وطاعةً لله[٣٧٢].

حلمه

وروى المبرّد وابن عائشة أن شاميّاً رأى الحسن (عليه السلام) راكباً ، فجعل يلعنه والحسن لا يردّ. فلمّا فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) ، فسلّم عليه وضحك وقال: «أيّها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت; فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنيناك ، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعودَ عليك ; لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى ، ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، والله أعلم حيث يجعل رسالته. كنتَ أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ...[٣٧٣].

كرمه

وروي أنّ جارية حيّته بباقة من ريحان ، فقال (عليه السلام) لها: «أنت حرّة لوجه الله» ، فلامه أنس على ذلك، فأجابه (عليه السلام) : «أدّبنا الله تعالى فقال: **(وإذا حييتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها)** ، وكان أحسن منها إعتاقها»[٣٧٤].

---

(٣٧٠) مهج الدعوات، ص ١٤٤.

(٣٧١) راجع البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤٢، طبعة دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨ هـ.

(٣٧٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣٧٣) العوالم (الإمام الحسن)، ص ١٢١، نقلا عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٤.

(٣٧٤) راجع المناقب، ج ٢، ص ١٨، والآية ٨٦ من سورة النساء.

ومن مكارم أخلاقه أنّه ما اشترى من أحد حائطاً ثمّ افتقر البائع إلاّ ردّه عليه وأردفه بالثمن معه.

وجاءه فقير يشكو حاله ، ولم يكن عنده شيء في ذلك اليوم ، فعزّ عليه الأمر واستحيى من ردّه ، فقال (عليه السلام) له: «إنّي أدلّك على شيء يحصل لك منه الخير». فقال الفقير: يا بن رسول الله، ماهو؟ قال (عليه السلام) : «اذهب إلى الخليفة ; فإنّ ابنته قد توفيت وانقطع عليها ، وما سمع من أحد تعزية بليغة ، فعزِّهِ بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير». قال: يا بن رسول الله حفّظني إيّاها.

قال (عليه السلام) قل له: «**الحمد لله الّذي سترها بجلوسك على قبرها ، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك**».

وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة ، فعزّاه بها فذهب عنه حزنه ، وأمر له بجائزة ثم قال له: أكلامك هذا؟

فقال: لا ، وإنّما هو كلام الإمام الحسن.

قال الخليفة: صدقت ، فإنّه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة أُخرى.

لقد كان (عليه السلام) يمنح الفقراء بِرّه قبل أن يبوحوا بحوائجهم ، ويذكروا مديحهم ; لئلا يظهر عليهم ذلّ السؤال[٣٧٥].

حلمه وعفوه

لقد عُرف الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) بعظيم حلمه ، حتّى قال عنه مروان بن الحكم ـ وهو ألدّ أعدائه ـ بأنّ حلمه كان يوازي الجبال.

وأدلّ دليل على عظيم حلمه هو صلحه مع معاوية ، الّذي نازع عليّاً (عليه السلام)حقّه ، وتسلّق من خلال ذلك إلى منصب القيادة والحكم.

وتحمّل بعد الصلح أشدّ أنواع التأنيب من خيرة أصحابه ، فكان يواجههم بعفوه وأناته ، ويتحمّل منهم أنواع الجفاء في ذات الله صابراً محتسباً.

ولم تُسمع منه قطّ كلمة فيها مكروه إلاّ مرّة واحدة ، فإنّه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض ، فقال له الحسن (عليه السلام): «ليس لعمرو عندنا إلاّ ما يُرغم أنفه»[٣٧٦].

وشتم مروان بن الحكم الحسن بن علي (عليه السلام) ، فلمّا فرغ قال الحسن: «إنّي والله لا أمحو عنك شيئاً ، ولكن مهّدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك ، والله أشدّ نقمةً منّي».

وروي أنّ غلاماً له (عليه السلام) جنى جنايةً توجب العقاب ، فأمر به أن يُضرب فقال: يا مولاي **(والعافين عن الناس)**[٣٧٧] . قال: «عفوت عنك». قال: يا مولاي **(والله يحب المحسنين)**[٣٧٨]. قال: «أنت حرٌّ لوجه الله ، ولك ضعف ما كنت أعطيك»[٣٧٩].

---

(٣٧٥) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٢٤.

(٣٧٦) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤٤.

(٣٧٧) آل عمران ، ١٣٤.

كرمه و جوده

إنّ السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعي الخير ، وبذل الإحسان بداعي الإحسان ، وقد تجلّت هذه الصفة الرفيعة بأسمى معانيها في الإمام أبي محمد الحسن المجتبى (عليه السلام)حتّى لقّب بكريم أهل البيت(عليهم السلام).

لقد كان لا يعرف للمال قيمة سوى ما يردّ به جوع جائع ، أو يكسو به عارياً ، أو يغيث به ملهوفاً ، أو يفي به دَيْنَ غارم.

وقد كانت له جِفان واسعة أعدّها للضيوف.

وقيل له: لأيّ شيء لا نراك تردّ سائلاً؟ فأجاب: «**إنّي لله سائل ، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردَّ سائلاً، وإنّ الله عوّدني عادةً أن يفيض نعمه عليَّ، وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة**»[٣٨٠].

واجتاز (عليه السلام) يوماً على غلام أسود ، بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ، ويدفع لكلب كان عنده لقمة أُخرى، فقال له الإمام: «ما حملك على ذلك؟» فقال الغلام: إنّي لأستحي أن آكل ولا أطعمه.

وهنا رأى الإمام فيه خصلة حميدة ، فأحبّ أن يجازيه على جميل صنعه ، فقال له: «لا تبرح من مكانك». ثم انطلق فاشتراه من مولاه ، واشترى الحائط (البستان) الّذي هو فيه ، وأعتقه وملّكه إيّاه[٣٨١].

تواضعه و زهده

إنّ التواضع دليل على كمال النفس وسموّها وشرفها، والتواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعةً وعظمةً. وقد حذا الإمام الحسن (عليه السلام)حذو جدّه وأبيه في أخلاقه الكريمة. وقد سجّل التاريخ بوادر كثيرة تشير إلى سموّ هذا الخلق الرفيع عند الإمام (عليه السلام). لذا نشير إلى شيء منها:

١ . اجتاز الإمام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على الأرض كُسَيْرات ، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يابن بنت رسول الله إلى الغذاء. فنزل (عليه السلام)وقال: «إن الله لا يحبّ المستكبرين» ، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم[٣٨٢].

٢ . ومرّ (عليه السلام) على صِبْيان يتناولون الطعام ، فدعوه لمشاركتهم ، فأجابهم إلى ذلك ، ثم حملهم إلى منزله فمنحهم بِرّه ومعروفه ، وقال: «اليد لهم ، لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعموني ، ونحن نجد ما أعطيناهم»[٣٨٣].

---

(٣٧٨) آل عمران : ١٣٤.

(٣٧٩) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٥٢.

(٣٨٠) أُنظر أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٩ والطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢٣.

(٣٨١) راجع البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٨.

(٣٨٢) عوالم العلوم (الإمام الحسن)، ص ١٢٣ عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٧.

(٣٨٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج١، ص ٣١٣ عن الصبان على هامش نور الأبصار، ص ١٧٦.

٣ . ومن مظاهر زهده ما حدّث به مدرك بن زياد أنّه قال: كنّا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عبّاس والحسن والحسين ، فطافوا في تلك البساتين ، ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقي، فقال الحسن: «يا مدرك هل عندك غذاء؟» فقلت له: نعم. ثم انطلقت فجئته بخبز وشيء من الملح مع طاقتين من بَقل فأكل منه، وقال: «يا مدرك ما أطيب هذا!».

وجيء بعد ذلك بالطعام وكان في منتهى الحُسن ، فالتفت (عليه السلام) إلى مدرك ، وأمره بأن يجمع الغلمان ، ويقدّم لهم الطعام ، فدعاهم مدرك، فأكلوا منه ، ولم يأكل الإمام منه شيئاً ، فقال له مدرك: لماذا لا تأكل منه؟ فقال (عليه السلام) : «إنّ ذاك الطعام أحبّ عندي»[٣٨٤].

من تراث الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)

١ . العلم والعقل

١ . «تعلّموا العلم ; فإنّكم صغار في القوم، وكبارهم غداً ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب»[٣٨٥].

٢ . «حُسن السؤال نصف العلم»[٣٨٦].

٣ . «علّم الناس وتعلَّمْ عِلَم غيرك ، فتكون قد أتقنت علمك ، وعلمتَ ما لم تَعلم»[٣٨٧].

٤ . «اليقين معاذ السلامة».

٥ . «أُوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكّر ; فإنّ التفكّر أبوكلّ خير وأُمّه»[٣٨٨].

٦ . «العقل حفظ القلب كلّ ما استرعيته»[٣٨٩].

٧ . «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً».

٨ . «لا يغشّ العقل من استنصحه».

٢ . القرآن الكريم

١ . «... كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل عليه في كلّ شيء لا يخطئنا تأويله، بل نتيقّن حقائقه ، فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأُولي الأمر مقرونة...».

---

(٣٨٤) مختصر تأريخ دمشق، ج ٧، ص ٢١.

(٣٨٥) أنظر الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ المالكي)، ص ١٤٢.

(٣٨٦) نور الأبصار، ص ١١٠.

(٣٨٧) أنظر الانثى عشريّة، ص ٣٧.

(٣٨٨) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٤٣ و ٣٤٦.

(٣٨٩) الإمام الحسن بن عليّ (عليه السلام)، ج ١، ص ٣٤٣ و ٣٤٦.

٢ . «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور ; فليُجِلْ جال بضوئه ... فإنّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[٣٩٠].

٣ . «... هذا القرآن فاتّخذوه إماماً. وإنّ أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم عنه مَنْ لم يعمل به وإن كان يقرؤه»[٣٩١].

٤ . جاء رجل إلى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ليسأل عن تفسير قوله تعالى: **(وشاهد ومشهود)**[٣٩٢] ، فرأى ثلاثة أشخاص قد احتفّ بكل واحد منهم جمع من الناس ، يحدّثهم عمّا سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله). فسأل أحدهم، فقال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. ثم سأل الآخر فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. ثم سأل الثالث فأجابه: الشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمشهود يوم القيامة لقوله تعالى: **(يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)**[٣٩٣]، وقوله تعالى عن يوم القيامة **(ذلك يومٌ مشهود)**[٣٩٤].

فسأل عن الأوّل فقيل له: عبدالله بن عبّاس، وسأل عن الثاني فقيل له: عبدالله بن عمر، وسأل عن الثالث فقيل له: الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام).

٣ . الحديث النبوي

لقد اهتمّ الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) اهتماماً بليغاً بنشر حديث الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)وسيرته ومكارم أخلاقه ; إذ كان بنواُميّة يسعون لتضييع سيرة هذا الرسول العظيم ، والتعتيم على جدارة أهل بيته لقيادة الأُمة من بعده.

ونختار من الأحاديث التي رواها عن جدّه (صلى الله عليه وآله) ما يلي:

١ . «حيثما كنتم فصلّوا عليَّ ; فإنّ صلاتكم تبلغني».

٢ . «يا مسلم ، اضمن لي ثلاثاً أضمن لك الجنّة: إن أنت عملت بما افتُرِض عليك في القرآن فأنت أعبد الناس، وإن قنعت بما رُزِقت فأنت أغنى الناس، وإن اجتنبتَ ما حرّم الله فأنت أورع الناس...».

٣ . «إن من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم...».

٤ . «من صلّى الفجر ، فجلس في مصلاّه إلى طلوع الشمس ، ستره الله من النار».

---

(٣٩٠) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ عن كشف الغمّة وإرشاد القلوب.

(٣٩١) المصدر السابق.

(٣٩٢) البروج : ٣، أُنظر تفسير في مجمع البيان.

(٣٩٣) الأحزاب : ٤٥.

(٣٩٤) هود : ١٠٣.

٥ . جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعها إبناها ، فسألته فأعطاها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحد منهما تمرةً فأكلاها ، ثم نظرا إلى أُمّهما فشقّت التمرة اثنتين ، فأعطت كل واحدة منهما شقّ تمرة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**رحمها الله برحمتها ابنيها**»[٣٩٥].

٤ . ولاية أهل البيت(عليهم السلام)

١ . قال(عليه السلام): «**... واعلموا علماً يقيناً ، أ نّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف ، ورأيتم الفرية على الله ، ورأيتم كيف يهوي من يهوي، ولا يجهلنّكم الذين لا يعلمون.**

والتمسوا ذلك عند أهله ; فإنّهم خاصّة نور يُستضاء بهم ، وأئمّة يُقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل ، وهم الذين أخبركم حلمهم عن علمهم، وحكمُ منطقهم عن صَمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سابقة ، ومضى فيهم من الله حكم ، إن في ذلك لذكرى للذاكرين»[٣٩٦].

٢ . وخطب (عليه السلام) فتحدّث عن فلسفة التشريع ، وعن ارتباط الأحكام بولاية أهل البيت(عليهم السلام) ، ثمّ قال:

«**ولولا محمّد** (صلى الله عليه وآله) **وأوصياؤه كنتم حيارى ، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخلون داراً إلاّ من بابها**».

وبعد أن استدلّ(عليه السلام) على كمال الدين وإتمام النعمة ، وأشار إلى حقوق أولياء الله ودور أداءها في سلامة الحياة ونمائها ، وأنّ البخيل هو من يبخل بالمودّة بالقربى... قال: «سمعت جدّي (صلى الله عليه وآله)يقول: **خُلقتُ أنا من نور الله ، وخُلق أهل بيتي من نوري ، وخلق محبّوهم من نورهم، وسائر الناس من الناس**»[٣٩٧].

من غرر حكمه

١ . قال الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) في التقوى والحثّ عليها: «**إنّ الله لم يخلقكم عبثاً ، وليس بتاركم سدىً ، كتب آجالكم ، وقسّم بينكم معائشكم ; ليعرف كلّ ذي منزلة منزلته، وأنّ ما قدّر له أصابه ، وما صرف عنه فلن يصيبه. قد كفاكم مؤونة الدنيا ، وفرّغكم لعبادته ، وحثّكم على الشكر ، وافترض عليكم الذكر ، وأوصاكم بالتقوى ، وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كلّ توبة ، ورأس كلّ حكمة، وشرف كلّ عمل.**

---

(٣٩٥) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٦١ و ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٣٩٦) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٦٠ عن تحف العقول.

(٣٩٧) المصدر نفسه.

بالتقوى فاز من فاز من المتّقين، قال الله تبارك وتعالى: (إنّ للمتّقين مفازا)[٣٩٨] وقال: (وينجّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم[٣٩٩] يحزنون).

فاتقوا عباد الله ، واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ، ويسدّده في أمره ، ويهيّئ له من رشده ، ويفلحه بحجّته ، ويبيّض وجهه ، ويعطيه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»[٤٠٠].

٢ . وجاءه رجل من الأثرياء فقال له: يابن رسول الله! إنّي أخاف من الموت. فقال له(عليه السلام): **«ذاك لأ نّك أخّرت مالك، ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به»[٤٠١].**

٣ . وقال(عليه السلام) عن طلب الرزق: **«لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ، ولا تشكل على القدر إشكال المستسلم; فإنّ ابتغاء الفضل من السُنّة ، والإجمال في الطلب من العفّة ، وليست العفّة بدافعة رزقاً ، ولا الحرص بجالب فضلاً; فإنّ الرزق مقسوم ، واستعمال الحرص استعمال المآثم»[٤٠٢].**

٤ . وقال في الحثّ على الالتزام بالمساجد: **«من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرة، وكلمة تدل على هدىً ، أو تردعه عن ردىً، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً»[٤٠٣].**

٥ . وحدّد السياسة تحديداً جامعاً ودقيقاً بقوله(عليه السلام): **«هي أن ترعى حقوق الله ، وحقوق الأحياء ، وحقوق الأموات. فأمّا حقوق الله: فأداء ما طلب ، والاجتناب عمّا نهى. وأمّا حقوق الأحياء: فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ، ولا تتأخّر عن خدمة أُمتك ، وأن تخلص لوليّ الأمر ما أخلص لأُمّته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السويّ. وأمّا حقوق الأموات: فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساويهم; فإنّ لهم ربّاً يحاسبهم»[٤٠٤].**

٦ . «إنّ من طلب العبادة تزكّى لها».

٧ . «المصائب مفاتيح الأجر».

٨ . «النعمة محنة ، فإن شكرت كانت كنزاً ، وإن كفرت كانت نقمة».

٩ . «أشدّ من المصيبة سوء الخُلق».

١٠ . «من تذكّر بُعد السفر اعتدّ».

١١ . «العار أهون من النار».

---

(٣٩٨) النبأ : ٣١.

(٣٩٩) الزمر : ٦١.

(٤٠٠) تحف العقول، ص ٥٥.

(٤٠١) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤٠٢) تحف العقول، ص ٥٥.

(٤٠٣) عيون الأخبار (لابن قتيبة)، ج ٣، ص ٣.

(٤٠٤) حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٥١، ٣٦٧ ـ ٣٧٠.

١٢ . «خير المال ما وُقي به العرض».

١٣ . «المسؤول حرٌّ حتى يعد ، ومسترَقٌ بالوعد حتى ينجز».

١٤ . «فضح الموتُ الدنيا. اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به ، بمنزلة ما لم يخطر ببالك».

١٥ . «فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها»[٤٠٥].

(٤٠٥) المصدر نفسه.

الفصل الخامس

سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام)

النسب الوضيء

الامام الحسين(عليه السلام) حفيد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وسبطه الثاني ، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، وثالث الأئمة الاثني عشر وخامس أصحاب الكساء ، وأبو الأئمة التسعة المهديين عليهم صلوات الله أجمعين.

إنّه ثمرة شجرة النبوة والإمامة ، شجرة الحقّ والعدالة في الأرض.

أبوه باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأُمّهُ سيّدة نساء العالمين ، فاطمة الزهراء(عليها السلام) ، وهو من أهل البيت الذين طهّرهم ربّهم من الرجس تطهيراً.

الولادة المباركة

رأت السيّدة أُمّ الفضل بنت الحارث ـ وهي لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطّلب[٤٠٦] ـ في منامها رؤيا غريبة لم تهتدِ إلى تأويلها، فهرعت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)قائلةً له:

إنّي رأيت حلماً منكراً : كأنّ قطعة من جسدك قُطعت، ووُضعت في حجري... فقال لها: «خيراً رأيتِ: تلد فاطمة ـ إن شاء الله ـ غلاماً ، فيكون في حجرك...».

ومضت الأيام سريعة ، فوضعت سيّدة النساء فاطمة ولدها الحسين ، فكان في حجر أُمّ الفضل كما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله)[٤٠٧].

وروي أنّ الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) حين بُشّر بولادة سبطه الثاني أسرع إلى بيت بضعته فاطمة(عليها السلام) ، وهو مثقل الخُطا قد ساد عليه الحزن والأسى ، فنادى بصوت خافت حزين: «يا أسماء ، هلّمي ابني».

فناولته سبطه، فاحتضنه النبي(صلى الله عليه وآله)، وجعل يقبّله ، ثمّ انفجر بالبكاء ، فذهلت أسماء وقالت: «فداك أبي وأُمّي ، مِمَ بكاؤك؟!».

فأجابها النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع: «من ابني هذا».

---

(٤٠٦) وهي أوّل امرأة أسلمت بمكّة بعد السيّدة خديجة بنت خويلد، وكانت أثيرة عند النبيّ (صلى الله عليه وآله)فكان يزورها، ويقيم في بيتها. روت عنه أحاديث كثيرة، راجع ترجمتها في الاستيعاب والإصابة، ج ٤، ص ٤٦٤.

(٤٠٧) مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٧.

وأخذتها الحيرة ، فلم تدرك معنى هذه الظاهرة ، فانطلقت تقول: «إنّه ولد الساعة».

فأجابها الرسول(صلى الله عليه وآله) بصوت يعلوه الحُزن قائلاً: «**تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي...**»[٤٠٨].

ثم نهض مثقلا بالهمّ وهو يقول لأسماء: «لا تخبري فاطمة ; فإنّها حديثة عهد بالولادة...»[٤٠٩].

تاريخ الولادة

المشهور أنّه ولد في السنة الرابعة من الهجرة في مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)، والمعروف أنّه ولد في الثالث من شعبان المعظّم. وأجرى النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه أكثر المراسيم الشرعية لوليده المبارك كما أجراها لسبطه الحسن(عليه السلام)[٤١٠]. وسمّاه حسيناً كما سمّى أخاه حسناً[٤١١]. ولم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين حتى تسمّي أبناءَها بهما، وإنّما سمّاهما النبي (صلى الله عليه وآله)بهما بوحي من السماء[٤١٢].

وتولّى النبي (صلى الله عليه وآله) رعاية الحسين(عليه السلام) رعاية خاصّة، واهتمّ به اهتماماً بالغاً ، فمزج روحه بروحه، وعواطفه بعواطفه، حتّى كان يضع إبهامه في فمه.

وروي أ نّه أخذه بعد ولادته ، فجعل لسانه في فمه ليغذّيه بريق النبوّة ، وهو يقول له:

«**إيهاً حسين، إيهاً حسين، أبى الله إلاّ ما يريد، هي فيك وفي ولدك...**»[٤١٣].

ملامحه

لقد كانت ملامح الحسين(عليه السلام) تحاكي ملامح جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، كما كان يحاكيه في أخلاقه الّتي امتاز بها على سائر النبيين(عليهم السلام).

وقد وصف هيبته بعض شَرَطة ابن زياد بقوله: لقد شَغَلنا نور وجهه، وجمال هيبته عن الفكرة في قتله.

ولمّا جيء برأسه الشريف إلى الطاغية ابن زياد بُهر بنور وجهه ، فقال: ما رأيت مثل هذا حسناً! فانبرى إليه أنس بن مالك منكراً عليه ذلك بقوله: أما إنّه كان أشبههم برسول الله[٤١٤].

---

(٤٠٨) مسند الإمام زيد، ص ٤٦٨ وفى أمالي الصدوق، ص ١٢٠: إنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) أخذ الحسين بعد ولادته، ودفعه إلى صفية بنت عبدالمطّلب ، وهو يبكى ويقول: «لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بُني» قالها ثلاثاً. قالت: فداك أبي وأمّي، ومَن يقتله؟ قال: «تقتله الفئة الباغية من بني أُميّة».

(٤٠٩) كشف الغمة، ج ٢، ص ٢١٦، روى علي(عليه السلام) «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من وُلد له مولود فليؤذّن في أُذنه اليمنى، وليقم في اليسرى ; فإنّ ذلك عصمة له من الشيطان الرجيم. وقد أمرني بذلك في الحسن والحسين، وأن يقرأ مع الأذان والإقامة فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص والمعوّذتين». جاء ذلك في دعائم الإسلام ج ١، ص ١٧٨.

(٤١٠) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٣٨.

(٤١١) أُسد الغابة، ج ٢، ص ١١ وفي تأريخ الخلفاء، ص ١٨٨: روى عرمان بن سليمان قال: الحسن و الحسين اسمان من أسماء أهل الجنّة، ما سمعت العرب بهما في الجاهلية.

(٤١٢) المناقب، ج ٣، ص ٥٠.

(٤١٣) أنساب الأشراف (للبلاذري)، ج١، ق١. وهي اشارة إلى الإمامة الّتي استمرّت في ولد الحسين(عليه السلام).

ألقابه وكناه

لقد تجلّت بعض ملامح شخصية الحسين(عليه السلام) في ألقابه الشريفه وهي:

الشهيد، الطيب، سيد شباب أهل الجنّة، السبط[٤١٥]، الرشيد، الوفي، المبارك، التابع لمرضاة الله،[٤١٦] الدليل على ذات الله، المطهّر، البرّ، أحد الكاظمين[٤١٧].

وكان يُكنّى بأبي عبدالله[٤١٨]. وقد ذكر غير واحد من المؤرّخين أنّه لا كُنية له غيرها[٤١٩]، وقيل: إنّه كان يكنّى بأبي علي[٤٢٠]، وكنّاه الناس من بعد شهادته بأبي الشهداء ، وأبي الأحرار.

نقش خاتمه

كان له خاتمان : أحدهما من عقيق، وقدنقش عليه: «**إنّ الله بالغ أمره**»، وأمّا الثاني ـ وهو الذي سلب منه يوم عاشوراء ـ فقد كتب عليه: «**لا إله إلاّ الله عُدّةُ لقاء الله**».[٤٢١]

مراحل حياته

عاش الحسين(عليه السلام) في ظلّ جدّه سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله) ما يزيد على ست سنوات ، ومع أُمّهِ فاطمة(عليها السلام)ما يقرب من سبع سنوات، كما أ نّه قضى ما يزيد على ستة وثلاثين عاماً مع أبيه المرتضى ، وأمضى ما يناهز ستة وأربعين عاماً مع أخيه الحسن المجتبى(عليهما السلام).

وتفرّد بالإمامة ومسؤولية هداية الأُمّة بعد جدّه وأبيه وأخيه بما يقرب من عشر سنوات ، وهو يقارع ظلم الأمويين باللسان والبيان، حتى بدت الحقيقة للقريب والبعيد أنّ آل أبي سفيان إنّما يتستّرون بستار الإسلام ، وهم أعداء الإسلام القُدامى، لا يردعهم دين ولا ضمير. فوقف كالجبل الراسخ أمام عُتوّ يزيد وبطانته واستهتارهم بالقيم الإسلامية ، وسجَّل بدمه الطاهر ودماء عترته وصحبه الميامين أعلى مراتب التضحية والفداء في سبيل المبدأ الحق ، وإحياء شريعة جدّه المصطفى ، وصدّق نبوءة جدّه(صلى الله عليه وآله)حين قال : «**حسين منّي وأنا من حسين**[٤٢٢]».

---

(٤١٤) حياة الإمام الحسين بن على(عليه السلام)، ج ١، ص ٣٨ عن تحفة الأزهار وزلال الأنهار.

(٤١٥) نور الأبصار، ص ١١٤ وجوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١١٦.

(٤١٦) دلائل الإمامة، ص٧٣.

(٤١٧) الإرشاد، ص ١٠٣.

(٤١٨) الفصول المهمة، ص ١٧٦ ونور الأبصار، ص ١٥٢.

(٤١٩) المناقب، ج ٤، ص ٧١٧ وأنساب الأشراف ج ١، ق ١.

(٤٢٠) دلائل الإمامة، ص ٧٦.

(٤٢١) كشف الغمة، ج ٣، ص٦.

(٤٢٢) أنظر سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥١، رقم ١٤٤ وأمالي المرتضى، ج ١، ص ٢١٩.

فسلامٌ عليه يوم ولد ، ويوم استشهد ، ويوم يُبعثُ حيّاً.

انطباعات عن شخصية الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام)

١ . قال عمر بن الخطاب للحسين (عليه السلام) : إنّما أنبت ما ترى في رؤوسنا ، الله ثم أنتم[٤٢٣].

٢ . قال عثمان بن عفّان في الحسن والحسين: فُطموا العلم فطماً ، وحازوا الخير والحكمة[٤٢٤].

٣ . كان(عليه السلام) في جنازة فأعيا وقعد في الطريق ، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال له: «يا أبا هريرة ، وأنت تفعل هذا؟»

فقال له: دعني، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم[٤٢٥].

٤ . أخذ عبدالله بن عباس بركاب الحسن والحسين(عليهما السلام) ، فعوتب في ذلك، وقيل له: أنت أسنّ منهما. فقال: إنّ هذين ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أفليس من سعادتي أن آخذ بركابهما؟![٤٢٦].

وقال له معاوية بعد وفاة الحسن(عليه السلام): يابن عبّاس، أصبحت سيّد قومك. فقال: أمّا ما أبقى الله أبا عبدالله الحسين فلا[٤٢٧].

٥ . قال أبو برزة الأسلمي ليزيد حينما رآه ينكت ثغر الحسين(عليه السلام): أتنكت بقضيبك ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذاً، لربّما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرشفه... أما إنّك ـ يا يزيد ـ تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد شفيعه[٤٢٨].

٦ . قال معاوية لعبدالله بن جعفر: أنت سيّد بني هاشم ، فأجابه: سيد بني هاشم حسن وحسين[٤٢٩].

وكتب عبدالله بن جعفر للحسين (عليه السلام): إن هلكت اليوم طفئ نور الإسلام ; فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين[٤٣٠].

٧ . وسأل رجل عبدالله بن عمر عن دم البعوض يكون في الثوب: أفيصلّي فيه؟ فقال: ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)! ، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[٤٣١].

---

(٤٢٣) الإصابة، ج ١، ص ٣٣٣ وقال: سنده صحيح .

(٤٢٤) الخصال، ص ١٣٦.

(٤٢٥) المصدر نفسه.

(٤٢٦) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٢.

(٤٢٧) حياة الإمام الحسين (للقرشي) ج ٢، ص ٥٠٠.

(٤٢٨) الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص ١٩٨.

(٤٢٩) الحسن بن علي (لكامل سليمان)، ص ١٧٣.

(٤٣٠) البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٦٧.

(٤٣١) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣١٤.

٨ . قال محمد بن الحنفية: إنّ الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) رحماً، كان إماماً فقيهاً[٤٣٢].

٩ . مرّ الحسين(عليه السلام) بعمرو بن العاص وهو جالس في ظل الكعبة، فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل الأرض، وإلى أهل السماء اليوم[٤٣٣].

١٠ . قال معاوية لابنه يزيد : وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، ووالله ما أرى للعيب فيه موضعاً[٤٣٤].

١١ . ومن خطبة ليزيد بن مسعود النهشلي(رحمه الله): وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر ; لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته... يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير... فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة[٤٣٥].

١٢ . قال ابن سيرين: لم تبكِ السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلاّ على الحسين (عليه السلام). ولمّا قتل اسودّت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رؤيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر، ومكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنّها علقة[٤٣٦].

قبس من فضائل الإمام الحسين(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

لقد تجلّت في شخصية الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام) مجموعة من صفات الكمال ، نشير إلى بعض منها:

١ . قوة الإرادة

لقد وقف السبط الشهيد في وجه الحكم الأُموي ، فأعلن رفضه لبيعة يزيد، وانطلق مع قلّة الناصر إلى ساحات الجهاد ; ليرفع كلمة الحقّ، ويدحض كلمة الباطل، وقد حشدت عليه الدولة الأُموية جيوشها الهائلة، فلم يهتمّ بها، إذ أعلن عن عزمه وارادته بكلمته الخالدة:

«إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما...»[٤٣٧].

وانطلق مع الأُسرة الكريمة من أهل بيته وأصحابه إلى ميدان الشرف والمجد ; ليرفع راية الإسلام، ويحقّق للأُمّة الإسلامية أعظم الانتصارات ، حتى استشهد سلام الله عليه، وهو من أقوى الناس إرادة، وأمضاهم عزيمة وتصميماً، غير مكترث بما عاناه من الكوارث التي تذهل العقول وتحيّر الألباب.

---

(٤٣٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٤٠.
(٤٣٣) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٢.
(٤٣٤) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨٣، ٥٩٠.
(٤٣٥) المصدر نفسه.
(٤٣٦) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٣٩.
(٤٣٧) الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، ص ١١٢.

٢ . الإباء عن الضيم

من أكثر ألقابه انتشاراً بين الناس هو أبوالضيم ; فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة ; اذ هو الذي رفع شعار الكرامة ، ورسم طريق الشرف والعزّة، حتى قال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: سيّد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنيّة. عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذلّ، وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أ نّه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك(٤٣٨).

وكانت كلماته يوم الطفّ من أروع ما أُثر من الكلام العربي في تصوير العزّة والمنعة والاعتداد بالنفس:

١ . **«ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعّي قد ركز بين اثنتين : بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة. يأبى الله ذلك** [لنا] **ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...»**(٤٣٩).

٢ ـ **«والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون...»**(٤٤٠).

٣ . الشجاعة

لم يشهد التاريخ أشجع، ولا أربط جأشاً، ولا أقوى جناناً ، من الإمام الحسين(عليه السلام)، ; فقد وقف يوم الطف موقفاً حيّر فيه الألباب، وأذهل فيه العقول، وأخذت الأجيال تتحدّث بإعجاب وإكبار عن بسالته.

وقد بُهر أعداؤه بقوّة بأسه; اذ لم يضعف أمام تلك النكبات المذهلة التي أخذت تتواكب عليه، بل كان يزداد انطلاقاً وبشراً كلّما ازداد الموقف بلاءً ومحنة; فإنّه بعدما فقد جميع أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره، وكان عدده ـ فيما يقال ـ ثلاثين ألفاً، فحمل عليهم وحده ، وقد ملك الخوف والرعب قلوبهم ، فكانوا ينهزمون أمامه كالمِعزى إذا شدّ عليها الذئب، وبقي صامداً كالجبل يتلقّى الطعنات من كلّ جانب، وهو ماض في أمره استبسالاً واستخفافاً بالمنية.

لقد تحدّى أبو الأحرار ـ ببسالته النادرة ـ الطبيعة البشرية، فسخر من الموت ، وقد قال لأصحابه حينما تواترت عليه سهام الأعداء:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابدّ منه; فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم...»(٤٤١).

---

(٤٣٨) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١، ص ٣٠٢.

(٤٣٩) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨ وإثبات الوصيّة للمسعودي، ص ١٤٢.

(٤٤٠) الكامل في التأريخ، ج ٣، ص ٢٨٧ وإعلام الورى، ج ١، ص ٤٥٩.

(٤٤١) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٣ واللهوف، ص ٦٥.

٤ . الصراحة

الصراحة في القول والجرأة في العمل هما ثمرة الشجاعة، والحسين(عليه السلام)قد عُرف بهذه الصراحة وتلك الجرأة ; إذ لم يسلك طريقاً فيه أيّ التواء، وإنّما سلك الطريق الواضح الذي يتجاوب مع ضميره الحيّ، مبتعداً عن المنعطفات التي لا يقرّها دينه وخلقه. ومن نماذج صراحته: أنّ الوليد ـ حاكم يثرب ـ دعاه في غلس الليل، وأحاطه علماً بهلاك معاوية، وطلب منه البيعة ليزيد مكتفياً بها سرّاً، فامتنع(عليه السلام)وصارحه قائلاً:

«يا أمير ، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدِن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»(٤٤٢).

٥ . الصلابة في الحقّ

لقد تبنّى الإمام(عليه السلام) الحق بجميع مراتبه ومجالاته، واندفع إلى ساحات النضال ; ليقيم الحقّ في ربوع الأرض.

لقد رأى الإمام(عليه السلام) أنّ الأُمة قد غمرتها الأباطيل، ولم ينفعها النُصح بالكلام ، فانبرى إلى ميادين التضحية والفداء ليرفع راية الحقّ. وقد أعلن(عليه السلام)هذا الهدف لمشرق في خطابه الذي ألقاه أمام أصحابه بمكّة قائلاً:

«ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتُناهى عنه. ليرغب المؤمن في لقاء الله...»(٤٤٣).

٦ . الصبر

لقد تميّز سيّد الشهداء(عليه السلام) بالصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيام، فقد تجرّع مرارة الصبر منذ أن كان طفلاً; فرزئ بجده وأُمّه، وشاهد الأحداث الرهيبة التي جرت على أبيه بعد وفاة جدّه. وعانى من المحن والخطوب ما جعله يتجرّع مرارة الصبر في عهد أخيه، وهو ينظر إلى خذلان جيشه له، وغدرهم به، حتى أُرغم على الصلح. وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه، حتى اغتاله معاوية بالسمّ. و حين أراد أن يواري جثمانه الطاهر بجوار جدّه منعته بنو أميّة ، فكان ذلك من أشقّ المحن عليه.

ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها ، أنّه كان يرى انتقاض مبادئ الإسلام، وما ينسب إلى جدّه (صلى الله عليه وآله) من الأحاديث المنكرة التي تتنافى مع شريعة الله ، وهو يحاول أن يقاومها بكل ما أُوتي من قوّة.

ومن الدواهي التي عاناها ، أنّه كان يسمع سبّ بني أميّة لأبيه المرتضى(عليه السلام) ، وانتقاصه على المنابر علناً، وقيام الطاغية زياد بإبادة شيعتهم واستئصال محبيهم.

---

(٤٤٢) أنساب الأشراف، ج ١، ق١.

(٤٤٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١ وينابيع المودة، ص ٤٠٦.

وقد تواكبت عليه المحن الشاقّة في العاشر من المحرّم سنة ٦١ هجرية ، فلم يكد ينتهي من محنة حتى أحاطت به مجموعة من الرزايا والآلام، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أبنائه وأهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم ، فيخاطبهم بكلّ طمأنينة وثبات:

«صبراً يا أهل بيتي، صبراً يا بني عمومتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم»[٤٤٤].

وحين رأى عقيلة بني هاشم قد أذهلها المُصاب، ومزّق الأسى قلبها، سارع إليها، وأمرها بالصبر والرضا بما قسم الله.

ومن أهوال تلك الكوارث التي صبر الإمام عليها ، أنّه كان يرى أطفاله وعياله، وهم يضجّون من ألم العطش، ويستغيثون به ، فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة، ويخبرهم بالعاقبة المشرقة التي تنتظرهم بعد هذه المحن.

وقد صبر على ملاقاة الأعداء الذين مُلِئَت الأرض بجموعهم المتدفّقة ، وهو وحيدٌ يتلقّى الضرب والطعن من جميع الأطراف، قد تفتّت كبده من العطش وهو غير مكترث بذلك كلّه.

لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطفّ من أندر ما عرفته الإنسانية حتى قال المؤرخ الأربلي: شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر[٤٤٥].

الحلم

من أسمى صفات أبي الشهداء(عليه السلام) حلمه ; فقد كان ـ فيما أجمع عليه الرواة ـ لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنّما يغدق عليه ببرّه ومعروفه، شأنه في ذلك شأن جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله. وقد عرف بهذه الظاهرة وشاعت عنه، حتى استغلّها بعض مواليه ، فكان يعمد إلى اقتراف الإساءة إليه ; لينعم بصلته وإحسانه.

التواضع

جُبل الإمام الحسين(عليه السلام) على التواضع والابتعاد عن الأنانية والكبرياء، وقد ورث هذه الصفة الكريمة من جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي أقام أُصول الفضائل ومعالي الأخلاق في الأرض.

الرأفة والعطف

لقد كان الامام الحسين (عليه السلام) شديد الرأفة بالناس، يمد يده لكلّ ذي حاجة، ويسعف كلّ ذي لهفة، ويجير كلّ من استجار به. وقد فزع مروان إليه وإلى أخيه وهو من ألدّ أعدائهم بعد واقعة الجمل حين أُخذ أسيراً، وطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما، فكلّما الإمام عليّاً(عليه السلام)في شأنه وقالا له: «يبايعك يا أمير المؤمنين».

---

(٤٤٤) الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، ص ٢٢٩.

(٤٤٥) كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٠.

فقال(عليه السلام) : «أولم يبايعني بَعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنّها كفّ يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسّبته. أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبُش الأربعة، وستلقى الأُمّة من ولده يوماً أحمر»(٤٤٦). وما زالا يلطفان به حتى عفا عنه. إلاّ أنّ مروان تنكّر لهذا المعروف ، وقابل السبطين (عليهما السلام) بكلّ ما يملك من وسائل الشر والمكروه.

الجود والسخاء

كان الحسين(عليه السلام) ملاذاً للفقراء والمحرومين، وملجأ لمن جارت عليه الأيّام، وكان يُثلج قلوب الوافدين إليه بهباته وعطاياه.

قال كمال الدين بن طلحة: وقد اشتهر النقل عنه أنّه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم ، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقلّ أن وصله مال إلاّ فرّقه، وهذه سجية الجواد وشِنْشِنة(٤٤٧) الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المتلّوة شاهدة له بصنعة الكرم، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم(٤٤٨).

وذكر المؤرّخون أنّه كان يحمل في ظلام الليل الجراب ، يملؤه طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين ، حتى أَثَّر ذلك في ظهره(٤٤٩). وكان يُحمل إليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يهب عامتّه. وقد عرف معاوية فيه هذه الظاهرة فأرسل إليه بهدايا وألطاف ، كما أرسل إلى غيره من شخصيات يثرب ، وأخذ يحدّث جلساءَه بما يفعله كلّ واحد منهم بتلك الألطاف ، فقال في الحسين(عليه السلام): أما الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفّين ، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن.

وبعث رقيباً يرى ما يفعله القوم فكان كما أخبر ، فقال معاوية: أنا ابن هند، أنا أعلم بقريش من قريش(٤٥٠).

وقصده أعرابي فسلّم عليه وسأله حاجته، وقال: سمعت جدّك يقول: «إذا سألتم حاجة فاسألوها من أربعة: إما عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح». فأمّا العرب فشُرِّفت بجدّك، وأمّا الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأمّا القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إليَّ فانظروا إلى الحسن والحسين».

فقال له الحسين(عليه السلام) : «ما حاجتك؟». فكتبها الأعرابي على الأرض.

---

(٤٤٦) نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

(٤٤٧) ـ أى الخلق والطبيعة أو العادة.

(٤٤٨) مطالب السؤول، ص ٧٣.

(٤٤٩) ـ ريحانة الرسول: ص ٧١.

(٤٥٠) عيون الأخبار، ج ٣، ص ٤٠.

فقال له الحسين(عليه السلام) : «سمعت أبي عليّاً يقول: المعروف بقدر المعرفة. فأسألك عن ثلاث مسائل إن أجبت عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي ، وإن أجبت عن الثلاث فلك كلّ ما عندي، وقد حملت إليَّ صرة من العراق».

قال الأعرابي: سل ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فقال الإمام الحسين(عليه السلام) : «أيّ الأعمال أفضل؟». فأجابه: الإيمان بالله.

فقال له(عليه السلام) : «ما نجاة العبد من الهلكة؟». فقال: الثقة بالله.

فسأله(عليه السلام) : «ما يزين المرء؟». فأجابه: علم معه حلم.

فقال له(عليه السلام) : «فإن أخطأه ذلك؟». فأجابه: مال معه كرم.

فقال له(عليه السلام) : «فإن أخطأه ذلك؟» فأجابه: فقر معه صبر.

فقال له(عليه السلام) : «فإن أخطأه ذلك؟». فأجابه: صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الإمام ورمى إليه بالصرّة[٤٥١].

عبادته وتقواه

اتجه الإمام الحسين(عليه السلام) نحو الله مغموراً بحبّ الله والانقطاع اليه والخوف منه. لقد عمل بكلّ ما يقرّبه إلى الله ، فكان كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير[٤٥٢].

ونشير هنا الى بعض ما أُثر عنه من عبادته:

خوفه من الله: كان الإمام(عليه السلام) في طليعة العارفين بالله، وكان عظيم الخوف منه ، شديد الحذر من مخالفته ، حتى قال له بعض أصحابه: ما أعظم خوفك من ربك! فقال(عليه السلام) : «**لا يأمن يوم القيامة إلاّ من خاف الله في الدنيا...**»[٤٥٣].

كثرة صلاته وصومه : كان(عليه السلام) مشغولاً بالصلاة والصوم[٤٥٤] في عامة أوقاته، حتّى كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ـ كما حدّث بذلك ولده زين العابدين (عليه السلام) [٤٥٥] ـ وكان يختم القرآن الكريم في شهر رمضان[٤٥٦].

وتحدّث ابن الزبير عن عبادة الإمام فقال: أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صومه[٤٥٧].

---

(٤٥١) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ٣، ص ٢٦٨، تأريخ ابن عساكر، ج ٤،ص ٣٢٣.

(٤٥٢) تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦٣.

(٤٥٣) ريحانة الرسول، ص ٥٨.

(٤٥٤) تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦٣.

(٤٥٥) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤٥٦) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٩٣.

(٤٥٧) تأريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٧٣.

حجّه: كان الحسين(عليه السلام) كثير الحج ; فقد حج خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه[٤٥٨] ، وكانت نجائبه تُقاد بين يديه[٤٥٩] ، وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً:

«إلهي أنعمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدّة بترك الصبر. إلهي ما يكون من الكريم إلاّ الكرم...»[٤٦٠].

صدقاته: كان(عليه السلام) كثير البِر والصدقة، وقد ورث أرضاً وأشياء ، فتصدّق بها قبل أن يقبضها[٤٦١] ، وكان يحمل الطعام في ظلام الليل إلى مساكين أهل المدينة[٤٦٢] ، لم يبتغِ بذلك إلاّ الأجر من الله والتقرّب إليه.

مواهبه العلمية

لم يدان الإمام الحسين(عليه السلام) أحد في فضله وعلمه ; فقد فاق غيره بملكاته ومواهبه العلمية. وقد انتهل ـ وهو في سنّه المبكرة ـ من نمير علوم جدّه(صلى الله عليه وآله) التي أضاءت آفاق هذا الكون، كما ارتوى من علوم أبيه أميرالمؤمنين(عليه السلام) باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله)، أعلم الأُمّة والصحابة، وأفقههم بشؤون الدين. قال حبر الأُمّة عبدالله بن عباس: الحسين من بيت النبوّة ، وهم ورثة العلم[٤٦٣].

لقد كان الإمام الحسين(عليه السلام) من مراجع الفتيا في العالم الإسلامي، وقد رجع إليه أكابر الصحابة في مسائل الدين، وكان ممّن سأله عبدالله بن الزبير ، فقد استفتاه قائلاً:

يا أبا عبدالله ما تقول في فكاك الأسير؟ على من هو؟ فأجابه(عليه السلام) : **«على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم...»**.

وسأله ثانياً: يا أبا عبدالله متى يجب عطاء الصبي؟ فأجابه(عليه السلام) : **«إذا استهلّ وجب له عطاؤه ورزقه»**.

وسأله ثالثاً عن الشرب قائماً، فدعا(عليه السلام) بلقمة (ناقة) له ، فحُلبت فشرب قائماً وناوله[٤٦٤].

وكان مجلسه مجلس علم ووقار، قد ازدان بأهل العلم من الصحابة، وهم يأخذون عنه ما يلقيه عليهم من الأدب والحكمة، ويسجّلون ما يروون عنه من أحاديث جدّه (صلى الله عليه وآله) ، حتّى روي: أنّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويحتفّون به، وكأنّ على رؤوسهم الطير، يسمعون منه العلم الواسع والحديث

---

(٤٥٨) تأريخ ابن عساكر، ج ١٣، ص ٢٥٤.
(٤٥٩) صفوة الصفوة، ج ١، ص ٣٢١.
(٤٦٠) الكواكب الدرية، ج ١، ص ٥٨.
(٤٦١) دعائم الاسلام، ج ٢، ص ٣٣٧.
(٤٦٢) تذكرة الخواصّ، ص ٢٦٤.
(٤٦٣) حياة الإمام الحسين بن عليّ(عليه السلام)، ج ١، ص ١٣٥.
(٤٦٤) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢، ص ٢٨٣.

الصادق[٤٦٥]. وكان مجلسه في جامع جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وله حلقة خاصة به. وقد سأل رجل من قريش معاوية: أين يجد الحسين؟ فقال له: إذا دخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبدالله[٤٦٦].

لقد كان الإمام الحسين(عليه السلام) من أعلام النهضة الفكرية والعلمية في عصره، وقد ساهم بشكل فاعل في نشر العلوم الإسلامية، وإشاعة المعارف والآداب بين الناس، وقد انتهل من نمير علومه حشد كبير من الصحابة وأبنائهم.

من تراث الإمام الحسين(عليه السلام)

لقد منح الله الإمام الحسين(عليه السلام) الحكمة وفصل الخطاب ، فكانت الحِكَم والمواعظ تتدفّق على لسانه، وفيما يلي بعض حكَمه القصار:

١ . **«العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يثق بمن يخاف غدره، ولا يرجو من لا يوثق برجائه»**[٤٦٧].

٢ . وقال لابنه علي(عليه السلام): **«أي بنيّ ، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله عزّوجل»**[٤٦٨].

٣ . **«ما أخذ الله طاقة أحد إلاّ وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلاّ وضع عنه كلفته»**[٤٦٩].

٤ . **«إيّاك وما تعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كلّ يوم يسيء ويعتذر»**[٤٧٠].

٥ . **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ; فإنّ الكذب ريبة، والصدق طمأنينة»**[٤٧١].

٦ . **«اللهمَّ لا تستدرجني بالإحسان، ولا تؤدّبني بالبلاء»**[٤٧٢].

٧ . **«خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع: العقل، والدين ، والأدب، والحياء، وحسن الخلق»**[٤٧٣].

٨ . **«من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لما يحذر»**[٤٧٤].

---

(٤٦٥) حياة الإمام الحسين بن عليّ(عليه السلام)، ج ١، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٤٦٦) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٤٦٧) ريحانة الرسول(صلى الله عليه وآله)، ص ٥٥.

(٤٦٨) تحف العقول، ص ٤٦.

(٤٦٩) المصدر نفسه

(٤٧٠) تحف العقول، ص ٢٤٨.

(٤٧١) حياة الإمام الحسين بن عليّ(عليه السلام)، ج ١، ص ١٨١ عن أنساب الأشراف.

(٤٧٢) كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤٧٣) ريحانة الرسول(صلى الله عليه وآله)، ص ٥٥.

(٤٧٤) تحف العقول، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

٩ . **«من دلائل علامات القبول: الجلوس إلى أهل العقول، ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر، ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر»**[٤٧٥].

١٠ . **«إنّ المؤمن اتّخذ الله عصمته، وقوله مرآته، فمرّة ينظر في نعت المؤمنين، وتارة ينظر في وصف المتجبّرين، فهو منه في لطائف ومن نفسه في تعارف، ومن فطنته في يقين، ومن قدسه على تمكين»**[٤٧٦].

١١ . **«إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد أن لا يعرفك...»**[٤٧٧].

١٢ . وقال(عليه السلام) لرجل اغتاب عنده رجلاً: **«يا هذا كفّ عن الغيبة ; فإنّها إدام كلاب النار»**[٤٧٨].

١٣ . تكلّم رجل عنده فقال: إنّ المعروف إذا أُسدي إلى غير أهله ضاع ، فقال(عليه السلام): **«ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البَرّ والفاجر...»**[٤٧٩].

١٤ . وسأله رجل عن تفسير قوله تعالى: **(وأمّا بنعمة ربّك فحدّث)**[٤٨٠] ، فقال(عليه السلام): **«أمره أن يحدِّث بما أنعم الله به عليه في دينه»**[٤٨١].

١٥ . **«موتٌ في عزّ خيرٌ من حياة في ذلّ»**[٤٨٢].

١٦ . **«البكاء من خشية الله نجاة من النار»**[٤٨٣].

١٧ . **«من أحجم عن الرأي وأعيت له الحيل كان الرفق مفتاحه»**[٤٨٤].

١٨ . **«من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم»**[٤٨٥].

١٩ . **«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيّها الناس من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلاّ أهل المعروف...»**[٤٨٦].

٢٠ . **«ما من أعمال هذه الأُمّة من صباح إلاّ ويعرض على الله عزّوجلّ»**[٤٨٧].

٢١ . قال رجل للحسين بن علي(عليهما السلام) : يا بن رسول أنا من شيعتكم. قال(عليه السلام) : **«إتّق الله ، ولا تدّعينّ شيئاً يقول الله لك : كذبت وفجرت في دعواك; إنّ شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلّ غشٍّ وغلٍّ ودغل. ولكن قل أنا من مواليكم ومن محبّيكم»**[٤٨٨].

---

(٤٧٥) المصدر نفسه.
(٤٧٦) المصدر نفسه.
(٤٧٧) ريحانة الرسول، ص ٥٥.
(٤٧٨) تحف العقول، ص ٢٤٥.
(٤٧٩) المصدر نفسه.
(٤٨٠) الضحى ، ١١.
(٤٨١) تحف العقول، ص ٢٤٦.
(٤٨٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ(عليه السلام)، ج ١، ص ١٨٣.
(٤٨٣) المصد نفسه.
(٤٨٤) تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٣.
(٤٨٥) حياة الإمام الحسين بن عليّ(عليه السلام)، ج ١، ص ١٨٣.
(٤٨٦) المصدر نفسه.
(٤٨٧) المصدر نفسه.

٢٢ . وقال(عليه السلام) : «**من أحبّنا ، لم يحبّنا لقرابة بيننا وبينه ولا لمعروف أسديناه إليه، إنّما أحبّنا لله ورسوله ، جاء معنا يوم القيامة كهاتين**» وقرن بين سبّابتيه[٤٨٩].

٢٣ . «**لا ينبغي لنفس مؤمنة ترى من يعصي الله فلا تنكر عليه**»[٤٩٠].

٢٤ . كتب رجل إلى الإمام الحسين(عليه السلام) : يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة ، فكتب إليه(عليه السلام): «**بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد ، فإنّه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أُمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام**»[٤٩١].

٢٥ . قال(عليه السلام) : «**الصدق عِزّ، والكذب عجز، والسرّ أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صداقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشحُّ فقر، والسخاء غنىً، والرفق لبّ**»[٤٩٢].

٢٦ . «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»[٤٩٣].

٢٧ . «**شرّ خصال الملوك الجبن من الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء**»[٤٩٤].

٢٨ . «**إيّاك أن تكون ممّن يخاف على العباد من ذنوبهم ، ويأمن العقوبة من ذنبه; فإنّ الله تبارك وتعالى لا يُخدع عن جنّته ، ولا ينال ما عنده إلاّ بطاعته إن شاء الله**»[٤٩٥].

٢٩ . «وُجد لوح تحت حائط مدينة من المدائن مكتوب فيه: **أنا الله لا إله إلاّ أنا، ومحمد نبيي. عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! وعجبت لمن اختبر الدنيا كيف يطمئنّ إليها؟! وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب؟!**»[٤٩٦].

---

(٤٨٨) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٢ وبحارالأنوار، ج ٦٨، ص ١٥٦.
(٤٨٩) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١٢٧.
(٤٩٠) كنز العمّال، ج ٣، ص ٨٥، الحديث ٥٦١٤.
(٤٩١) أمالي الصدوق، ص ١٦٧.
(٤٩٢) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٦.
(٤٩٣) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٩٤ ومكارم الأخلاق، ص ٢٨٤.
(٤٩٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٩.
(٤٩٥) تحف العقول، ص ١٧٠.
(٤٩٦) عيون أخبار الرضا(عليه السلام)، ج ٢، ص ٤٨.

الفصل السادس

زين العابدين الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام)

النسب المشرق

رابع أئمّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . جدّه أميرالمؤمنين ، إمام المتّقين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وجدّته فاطمة الزهراء ، بضعة رسول الله الأمين (صلى الله عليه وآله) وسيّدة نساء العالمين(عليهم السلام).

وأبوه سيّد شباب أهل الجنّة ، وسبط الرسول العظيم ، وريحانته الذي استشهد في كربلاء ، دفاعاً عن كرامة الإسلام وعزّة المسلمين.

وأُمّه ابنة يزدجرد ، آخر ملوك الفرس، وقد أجابت نداء ربّها أيّام نفاسها ، ولم تلد سواه.

ولادته ورحيله

ولد في الخامس من شعبان سنة ٣٨ وقيل: ٣٦ هـ ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ عن عمريناهز سبعاً وخمسين سنة. فعاش مع جدّه سنتين ، ومع عمّه الحسن اثنتي عشرة سنة ، ومع أبيه الحسين ثلاثاً وعشرين سنة، كما عاش بعدأبيه أربعاً وثلاثين سنة تقريباً، وهي مدّة إمامته(عليه السلام).

ودفن في المدينة في بقيع الغرقد إلى جانب عمّه الإمام الحسن السبط(عليه السلام).

كناه وألقابه ونقش خاتمه

كُنّي بأبي محمد ، وأبي الحسن ، وأبي عبدالله.

ولُقّب بزين العابدين ، وذي الثفنات ، وسيّد العابدين ، وقدوة الزاهدين ، والسجّاد ، وسيّد المتّقين ، والأمين ، والزكي ، وزين الصالحين ، ومنار القانتين ، والبكّاء، واشتهر **بالسجّاد وزين العابدين**.

كان نقش خاتمه: **لكلّ غمٍّ حسبي الله**، وفي آخر: **القوّة لله جميعاً**، وفي ثالث: **العزّة لله**، وفي رابع: **الحمد لله العليّ**، وفي خامس: **خزي وشقي قاتل الحسين**، وفي سادس: **إنّ الله بالغ أمره**، وفي سابع: **علمت فاعمل**[٤٩٧].

---

(٤٩٧) أنظر الإرشاد، وإعلام الورى، وحياة الإمام زين العابدين، ج ١، ص ٢١ ـ ٤٣.

مراحل حياته

تنقسم حياة هذا الإمام العظيم إلى مرحلتين:

تبدأ الأُولى بالولادة ، وتنتهي باستشهاد أبيه يوم عاشوراء ، سنة ٦١هـ. وتبلغ ٢٣ عاماً. وتبدأ الثانية من يوم عاشوراء، وتنتهي باستشهاده سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ. وتبلغ ٣٣ عاماً.

لقد سلك الامام (عليه السلام)الطريقة المثلى في القيادة السياسية والاجتماعية والفكرية في أصعب الظروف التي مرّت بها الأُمّة الإسلامية خلال الحكم الأُموي (السفياني والمرواني) طوال مدّة إمامته المباركة.

برز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين ، ومناراً في العلم، ومرجعاً في الحلال والحرام ، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته.

ولم تكن ثقة الأُمّة بالإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها ـ مقصورة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها ; بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين.

ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان يستنجد بالإمام زين العابدين(عليه السلام)لحلّ مشكلة استقلال النقد الإسلامي من الروم بعد تهديد الملك الروماني له ; إذلالاً للمسلمين.

لقد قام الإمام(عليه السلام) بنشاط فكري ثقافي لتأصيل الشخصية الإسلامية من خلال زرع بذور الاجتهاد ، كما أنّه جعل من الدعاء أساساً لعلاج الانسياق مع ملذّات الحياة ، فكانت الصحيفة السجادية تعبيراً صادقاً وبليغاً عن عمل اجتماعي وتربوي عظيم ، قد فرضته طبيعة المرحلة التي عاشها الإمام(عليه السلام)[٤٩٨].

وقد ربّى الإمام زين العابدين(عليه السلام) أجيالاً واعية لخط الإسلام المحمّدي الخالص الذي يمثّله الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام). وتولّى هؤلاء مهمّة الحفاظ على هذا الخطّ ، والدفاع عنه ، وتعميق وجوده في المجتمع الذي أخذ ينحرف بالتدريج عمّا خطّطه له الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله).

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين(عليه السلام)

١ . قال سفيان بن عيينة للزهري: لقيت علي بن الحسين؟ قال: نعم، لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه، وما علمت له صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية[٤٩٩].

---

(٤٩٨) انظر مقدّمة الصحيفة السجادية، التي كتبها الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.(قدس سره)

(٤٩٩) علل الشرائع، ص ٨٨ ومسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٤١ وبحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٤.

٢ . وعن سفيان أيضاً: ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين، وقال أبو حازم: ما رأيت أفقه منه[٥٠٠].

٣ . وقال الزهريّ: ما رأيت قرشيّاً (هاشمياً) أفضل منه[٥٠١].

٤ . وقال سعيد بن المسيّب: هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله[٥٠٢].

٥ . وقال: ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين، وما رأيته قطّ إلاّ مقتّ نفسي، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط[٥٠٣].

٦ . وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين(عليه السلام): إنّ أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحبّ الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد[٥٠٤].

٧ . وقال أيضاً لمّا أتاه نعي الإمام(عليه السلام): ذهب سراج الدنيا ، وجمال الإسلام ، وزين العابدين[٥٠٥].

٨ . وقال له عبد الملك بن مروان: لقد أُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك[٥٠٦].

٩ . وقال جابر بن عبدالله الأنصاري: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين[٥٠٧].

١٠ . وعن ابن سعد في طبقاته: كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عليّاً رفيعاً ورعاً[٥٠٨].

١١ . وقال الواقدي: كان علي بن الحسين من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عزّوجلّ[٥٠٩].

١٢ . وقال الشيخ المفيد: كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً[٥١٠].

قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قدس سره): وقد كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام ، وولاء روحي عميق له. وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي ، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه ، حينما حجّ هشام بن عبد الملك وطاف وأراد أن يستلم فلم يقدر على استلام الحجر الأسود من الزحام ، فنُصب له منبر فجلس عليه ينتظر، ثم أقبل زين العابدين وأخذ يطوف ، فكان إذا بلغ موضع الحجر انفرجت الجماهير وتنحّى الناس حتى يستلمه ; لعظيم معرفتها

---

(٥٠٠) عن تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي، ص ٣٣١، طبعة مكتبة نينوى الحديثة. طهران.

(٥٠١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٠٥.

(٥٠٢) أعيان الشيعة، مناقبه وفضائله.

(٥٠٣) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٦.

(٥٠٤) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣ ـ ٤ وقريب منه ما جاء في محاضرات الأُدباء للراغب الإصفهاني، ج١، ص ١٦٦.

(٥٠٥) تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٨.

(٥٠٦) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٧٥.

(٥٠٧) حياة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام)، ج ١، ص ٣٤.

(٥٠٨) الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٥٠٩) البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٤.

(٥١٠) الإرشاد (للمفيد)، ص ٢٥٤، منشورات مكتبة بصيرتي.

بقدره ، وحبّها له على اختلاف بلدانهم وانشعاباتهم. وقد سجّل الفرزدق هذا الموقف في قصيدة رائعة مشهورة[٥١١]، مطلعها:

ياسائلي أين حلّ الجود والكرمُ *** عندي بيانٌ إذاطلاّبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته *** والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم *** هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها *** إلى مكارم هذا ينتهي الكَرَمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله *** بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولُك: من هذا؟ بضائره *** العُرب تعرف من أنكرتَ والعَجَمُ

إلى أن يقول:

من معشر حبّهم دينٌ وبغضُهُمُ *** كفر وقُرْبُهُمُ منجىً ومعتصم
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرُهُمُ *** في كلّ فرض ومختومٌ به الكَلِمُ[٥١٢]

قبس من فضائل الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته

كان الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام)أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأورعهم وأعبدهم وأكرمهم وأحلمهم وأصبرهم وأفصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأكثرهم صدقةً وأرأفهم بالفقراء وأنصحهم للمسلمين، وكان معظَّماً مهيباً عند القريب والبعيد والصديق والعدوّ[٥١٣].

وإليك صوراً من جميل صفاته ، ومظاهر شخصيّته الفذّة(عليه السلام):

١ . حلمه

كان الإمام من أعظم الناس حلماً ، وأكظمهم للغيظ. فمن صور حلمه التي رواها المؤرّخون:

أ : كانت له جارية تسكب على يديه الماء، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إنّ الله عزّوجلّ يقول: (**والكاظمين الغيظ**)فأسرع الإمام قائلاً: «كظمتُ غيظي» ، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله فراحت تطلب منه المزيد قائلة: (**والعافين عن الناس**) ، فقال

---

(٥١١) راجع الصحيفة السجّاديّة، مقدمّة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر.

(٥١٢) انظر أعيان الشيعة، سيرة عليّ بن الحسين(عليها السلام) ونهاية الأدب، ج ٢١ ، ص٣٢٧ ـ ٣٣١ وزهرالآداب، ج١، ص١٠٣ وشرح العيون (لابن نباته)، ص٣٩٠ وتأريخ دمشق، ج٣٦، ص١٦١.

(٥١٣) راجع أعيان الشيعة، سيرة عليّ بن الحسين(عليه السلام).

الإمام(عليه السلام): «عفا الله عنكِ» ، ثم قالت: **(والله يحبّ المحسنين)** ، فقال لها(عليه السلام): «اذهبي فأنتِ حرّة»[٥١٤].

ب : سبّه لئيمٌ، فأشاح(عليه السلام) بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعني. وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أُغضي...» ، وتركه الإمام ، ولم يقابله بالمثل[٥١٥].

ج : ومن عظيم حلمه أن رجلاً افترى عليه، وبالغ في سبّه، فقال(عليه السلام) له: «إن كُنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...»[٥١٦].

٢ . سخاؤه

وأجمع المؤرّخون على أنّه كان من أسخى الناس ، وأنداهم كفّاً ، وأبرّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نماذج كثيرة من فيض جوده، منها:

أ : مرض محمد بن أُسامة فعاده الإمام ، ولما استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء. فقال له الإمام: «ما يبكيك؟» فقال: عليّ دَيْن. فقال له الإمام: «كم هو؟» فأجاب: خمسة عشر ألف دينار. فقال له الإمام: «هي عليّ». ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له[٥١٧].

ب : ومن كرمه وسخائه أنّه كان يطعم الناس إطعاماً عامّاً في كلّ يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر وفي داره[٥١٨].

ج : وكان يعول مئة بيت في السرّ[٥١٩].

٣ . حنوّه على الفقراء

أ : كان(عليه السلام) يحتفي بالفقراء ويرعى عواطفهم ومشاعرهم ، فكان إذا أعطى سائلاً قبّله ; حتى لا يُرى عليه أثر الذل والحاجة[٥٢٠]. وكان إذا قصده سائل رحّب به ، وقال له: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة»[٥٢١].

ب : وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والمساكين الذين لا حيلة لهم، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي الى كل باب من أبوابهم فيناولهم إيّاه[٥٢٢].

---

(٥١٤) تأريخ دمشق، ج ٣٦، ص ١٥٥ ونهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٢٦ والآية ١٣٤ من سورة آل عمران.
(٥١٥) البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٥.
(٥١٦) صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٤.
(٥١٧) راجع البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٥ وسير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٣٩.
(٥١٨) حياة الإمام زين العابدين، ج ١، ص ٨٤.
(٥١٩) بحارالأنوار ، ج٤٦ ، ص٨٨.
(٥٢٠) حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٧.
(٥٢١) صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٣.
(٥٢٢) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٢.

ج : وقال أبوحمزة الثمالي: صلّيت مع علي بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته نهض إلى منزله و أنا معه ، فدعا مولاة له تسمّى سكينة، فقال لها: «لا يعبر على بابي سائل إلاّ أطعمتموه ; فإنّ اليوم جمعة».

فقال له أبو حمزة: ليس كلّ من يسأل مستحقّاً.

فقال(عليه السلام) : «أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقّاً فلا نطعمه ونردّه ، فينزل بنا ـ أهل البيت ـ ما نزل بيعقوب وآله. أطعموهم أطعموهم.

إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل منه هو وعياله ، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً مستحقّاً ، له عندالله منزلة ، اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه: اطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، وهم يسمعونه، قد جهلوا حقّه، ولم يصدقوا قوله، فلمّا يئس منهم وغشيه الليل مضى على وجهه ، وبات طاوياً يشكو جوعه إلى الله، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وعندهم فضلة من طعامهم. فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت عبدي وبلواي عليك، وعلى ولدك.

يا يعقوب ، أحب أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقرّبهم إليه، وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ.

أما رحمت عبدي المجتهد في عبادته، القانع بالسرّ من ظاهر الدنيا؟!

أما وعزّتي ، لأُنزلنّ بك بلواي، ولأجعلنك وولدك غرضاً للمصائب».

فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟

قال(عليه السلام): «في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآله شباعاً ، وبات السائل الفقير طاوياً جائعاً»[٥٢٣].

٤ . عزتّه وإباؤه

لقد ورث الإمام زين العابدين(عليه السلام) العزّة والإباء من أبيه الحسين سيّد الشهداء(عليه السلام)الذي تحدّى طغاة عصره قائلاً: «**والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**»[٥٢٤].

وقد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة في قوله(عليه السلام): «**ما أُحب أنّ لي ببذل نفسي حمر النعم**»[٥٢٥].

وقال(عليه السلام) في عزّة النفس: «**من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا**»[٥٢٦].

---

(٥٢٣) دار السلام، ج ٢، ص ١٤١.

(٥٢٤) حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) : دراسة وتحليل، ص ٨٠.

(٥٢٥) الخصال، ص ٢٤.

(٥٢٦) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٣٥.

ويقول المؤرّخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حقّ ، وكان الإمام(عليه السلام)بمكّة وكان الوليد بن عبد الملك حينئذ قد تربّع على كرسي الخلافة ، وقد حضر موسم الحجّ فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة في دنيا العزّ والإباء: «**أفي حرم الله عزّوجلّ أسأل غير الله عزّوجلّ؟! إنّي آنف أن أسأل الدنيا من خالقها ، فكيف أسأل مخلوقاً مثلي؟!**»(٥٢٧).

ومن عزّته أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله(صلى الله عليه وآله) درهماً قطّ(٥٢٨).

٥ . زهده

لقد اشتهر في عصره(عليه السلام) أنّه كان من أزهد الناس كما نصّ الزهري على ذلك.

وحين رأى(عليه السلام) سائلاً يبكي تألّم له ، وراح يقول: «**لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها**»(٥٢٩).

قال سعيدبن المسيّب: كان علي بن الحسين(عليه السلام) يعظ الناس ، ويزهّدهم في الدنيا ، ويرغّبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وحفظ عنه وكتب ، وكان يقول:

«أيُّها الناس اتّقوا الله ، واعلموا أنّكم إليه تُرجعون... يابن آدم ، إنّ أجلك أسرع شيء إليك ، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك ، وقبض الملك روحك ، وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك ، واقتحم عليك فيه ملكان: ناكر ونكير ; لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتقوا الله عباد الله. واعلموا أنّ الله عزّوجلّ لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وأهلها ; ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته. وايم الله ، لقد ضرب لكم فيه الأمثال ، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوّة إلاّ بالله، فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركونَ من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان ; فإنّها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل. فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، وقبل الإذن من الله في خرابها... جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا ، الراغبين لآجل ثواب الآخرة ، فإنّما نحن به وله...»(٥٣٠).

٦ . عبادته وإنابته إلى الله

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيّد الساجدين يشير بوضوح إلى عنصر الإنابة إلى الله ، والانقطاع إليه في حياته وسيرته.

---

(٥٢٧) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٤.

(٥٢٨) مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٥٢٩) الفصول المهمّة، ص ١٩٢.

(٥٣٠) راجع الكافي، ج ٨، ص ٧٢ ـ ٧٦ وتحف العقول، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢.

على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هي الدليل الآخر على هذه الحقيقة.

ونظرة سريعة الى عناوين الأدعية في هذه الصحيفة تكشف لنا عمق توجّه الإمام إلى الله تعالى، فما من مجال إلاّ وللإمام فيه دعاء وابتهال.

لقد ذاب الإمام في محبّة الله وأخلص له أعظم الإخلاص ، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته وحالاته.

وممّا رواه المؤرّخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثريّ ، فخاطبه الإمام(عليه السلام) قائلاً: «ما يُقعدك على باب هذا المترف الجبّار؟».

فقال الرجل: البلاء[٥٣١].

فقال له الامام (عليه السلام) : «قم فارشدك إلى باب خير من بابه ، وإلى ربٍّ خيرلك منه...».

ونهض معه الرجل فأخذه إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعلّمه ما يعمله من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصنه الحريز[٥٣٢].

٧ ـ صدقاته

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين(عليه السلام) في حياته الصدقة على الفقراء ; لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان(عليه السلام) يحثّ على الصدقة ; وذلك لما يترتّب عليها من الأجر الجزيل ، فقد قال: «**ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلاّ أُستجيب له**»[٥٣٣].

ونعرض إلى بعض أمثلة صدقاته:

كان(عليه السلام) يلبس في الشتاء الخَزَّ. فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء[٥٣٤] ، وكان يقول: «إنّي لأستحي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه».

كان يتصدّق باللوز والسكّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: **(لن تنالوا البِرّ حتى تنفِقوا ممّا تُحبّون)**[٥٣٥].

وروي أنّه كان يعجبه العنب ، وكان صائماً فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار ، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه. فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدّمته إلى الإمام، فطرق سائل آخر الباب،

---

(٥٣١) أي الفقر والبؤس.

(٥٣٢) حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام): ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٥٣٣) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٩٦.

(٥٣٤) تأريخ دمشق، ج ٣٦، ص ١٦١.

(٥٣٥) ناسخ التواريخ، ج ١، ص ٦٧.

فأمر(عليه السلام) بدفع العنقود إليه. فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه[٥٣٦].

وقاسم الإمام الفقراء والمساكين أمواله مرّتين ، فأخذ قسماً له وتصدّق بالقسم الآخر عليهم[٥٣٧].

وكان أحبّ شيء عند الإمام(عليه السلام) الصدقة في السرّ ; لئلاّ يعرفه أحد ، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول: «إنّها تطفئ غضب الربّ»[٥٣٨].

وكان له ابن عم فكان يأتيه الامام (عليه السلام) بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير ، فيقول له العلوي: إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه ، فيسمع الإمام ذلك ويغضي عنه، ولا يعرّفه بنفسه. ولمّا توفي(عليه السلام) وفقد العلويّ تلك الصلة علم أنّ الذي كان يوصله هو الإمام علي بن الحسين(عليه السلام)، فكان يأتي قبره باكياً ومعتذراً منه[٥٣٩].

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات علي بن الحسين(عليه السلام)[٥٤٠].

ولم يكن الإمام(عليه السلام) يبتغي في برّه وإحسانه إلى الفقراء إلاّ وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة.

قال الزهريّ: رأيت علي بن الحسين في ليلة باردة وهو يحمل على ظهره دقيقاً ، فقلت له: يابن رسول الله ، ما هذا؟ فأجابه(عليه السلام) : «أُريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز». فقال: هذا غلامي يحمله عنك. فامتنع الإمام من إجابته ، وتضرّع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه إلاّ أنّ الإمام أصرَّ على ما ذهب إليه ، وقال له:

«ولكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسّن ورودي على ما أردُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك».

وانصرف الزهري عن الإمام، وبعد أيّام التقاه، وقد ظنَّ أنّه كان على جناح سفر ولم يع مراده، فقال له: يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثراً. فأجابه الإمام(عليه السلام): «يا زهري ليس ما ظننت، ولكنّه الموت وله استعدّ. إنّما الاستعداد للموت: تجنّب الحرام وبذل الندى في الخير»[٥٤١].

---

(٥٣٦) المحاسن، ص ٥٤٧ وفروع الكافى، ج ٦، ص ٣٥٠.

٥٣٧. انظر خلاصة تهذيب الكمال، ص٢٣١والحلية، ج٣،ص١٤٠ وجمهرة الأولياء، ج٢ ، ص٧١.

(٥٣٨) انظر تذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ٧٥ وأخبار الدول، ص ١١٠ ونهاية الارب، ج ٢١، ص ٣٢٦.

(٥٣٩) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٠٠.

(٥٤٠) صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٤ والاتحاف بحبّ الأشراف، ص ٤٩.

(٥٤١) علل الشرائع، ص ٨٨ وبحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٥ ـ ٦٦.

من تراث الإمام زين العابدين (عليه السلام)

من غرر حكمه (عليه السلام)[٥٤٢]

١ . **«الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه».**

٢ . **«الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».**

٣ . **«من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».**

٤ . **«من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».**

٥ . **«لا يقلّ عمل مع تقوى، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟!».**

٦ . قيل له: من أعظم الناس خطراً[٥٤٣]؟ فقال(عليه السلام) : «من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه».

٧ . وقال بحضرته رجل: اللهمَّ أغنني عن خلقك، فقال(عليه السلام): «ليس هكذا، إنّما الناس بالناس، ولكن قل: **اللهمَّ أغنني عن شرار خلقك».**

٨ . «اتّقوا الكذب ، الصغير منه والكبير ، في كلّ جدّ وهزل; فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

٩ . «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك».

١٠ . وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال(عليه السلام): «الزهد عشرة أجزاء: فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع ، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين ، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آية من كتاب الله: **(لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)**»[٥٤٤].

١١ . « يابن آدم! إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً[٥٤٥]، ابن آدم! إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جل وعزّ، فأعدّ له جواباً».

١٢ . «لا حسب لقرشيّ ولا لعربيّ إلاّ بتواضع، ولا كرم إلاّ بتقوى ، ولا عمل إلاّ بنيّة، ولا عبادة إلاّ بالتفقّه. ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله».

نماذج من ادعيته الشريفة

دعاؤه(عليه السلام) **فِي الاسْتعاذة مِنَ المَكارِه وَسَيّءِ الأَخلاقِ وَمَذامَّ الأَفعالَ**

اللّهمَّ إنّى أَعوذُ بَكِ مَن هَيَجانِ الحِرصِ، وَسَوْرة الغَضبِ، وَغلبَةِ الحَسَدِ، وَضَعفِ الصَّبرِ، وَقِلَّةِ القَناعَةِ، وَشَكاسَةِ الخَلقِ، وَإلحاحِ الشَّهوَةِ، وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ، وَ مُتابَعةِ الهَوى، وَمُخالَفَةِ الهُدى، وَسِنةِ الغفْلَةِ،

---

(٥٤٢) كلّ ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥.

(٥٤٣) خطراً، قدراً وشرفاً.

(٥٤٤) الحديد : ٢٣.

(٥٤٥) دثار: ما يغطّى به النائم.

وَتَعاطِى الكُلْفَةِ، وَإيثار الْباطِلِ عَلى الحَقّ، وَالإصْرارِ عَلى المَأثَمِ، وَاستِصْغارِ المَعصِيَةِ، وَاسْتِكبارِ الطّاعَةِ، وَمُباهاةِ المُكْثِرينَ، وَالإزراءِ بِالمُقِلّينَ، وَسوءِ الوِلايَةِ لِمَنْ تحت أيْدينا، وَتَرْكِ الشّكْرِ لِمَنْ اصْطَنَعَ العارِفَةَ عِنْدَنا، أو أن نَعْضُدَ ظالِماً، أو نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أو نَرُومَ ما لَيسَ لنا بِحَقّ، أو نَقولَ في العِلمِ بِغير عِلم.

وَنعوذُ بِكَ أن نَنْطَوِيَ عَلى غِش أحَد، وأن نُعْجِبَ بأعْمالِنا، ونَمُدَّ في آمالِنا.

وَنَعُوذُ بكَ مِن سُوءِ السَّريرَةِ، وَاحْتِقارِ الصَّغيرَةِ، وَأن يَستَحوِذَ عَلينا الشَّيطانُ، أو يَنْكُبَنا الزَّمانُ، أو يَتَهَضَّمَنا السُّلطانُ.

وَنَعوذُ بكَ مِن تَناوُلِ الاسرافِ، وَ مِن فُقدانِ الكَفاف.

وَنَعوذُ بكَ مِن شَماتَةِ الأعداءِ، وَمِن الفَقرِ إلى الأكفاءِ، وَمِنَ مَعيشَة في شِدَة، ومِيتَة عَلى غَيرِ عُدَّة. ونَعُوذُ بكَ مِن الحَسْرَةِ العُظمى، والمَصيبَةِ الكُبرى، وأشْقَى الشَّقاءِ، وسُوءِ المَآبِ، وحِرْمانِ الثَّوابِ، وحُلُولِ العِقابِ.

اللّهمَّ صَلِّ عَلى محمّد و آله، وأعِذني مِن كُلِّ ذلكَ بِرَحمَتِكَ، وَ جَميعَ المؤمِنينَ والمُؤمِناتِ، يا أرحَمَ الرّاحِمينَ.

دعاؤه(عليه السلام) **في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله جلّ جلاله**

اللّهمَّ صَلِّ عَلى محمّد وَآلِهِ، وَصَيِّرْنا إلى مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَأَزِلنا عَن مَكروهِكَ مِنَ الإصْرارَ.

اللّهمَّ وْمَتى وَقَفنا بَينَ نَقْصَينِ. في دِين أو دُنْيا، فَأَوقِعِ النَّقصَ بِأَسَرعِهِما فَناءً، وَاجْعلِ التَّوبَةَ في أطَولِهِما بَقاءً. وإذا هَمَمْنا بِهَمَّينِ يُرْضيكَ ، أحدُهُما عَنّا ويُسخِطُكَ الاخَرُ عَلَيْنا، فَمِل بِنا إلى ما يُرضيكَ عَنّا، وأوْهِنْ قُوَّتَنا عَمّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنا، ولا تُخَلِّ في ذلك بَينَ نُفُوسِنا واختيارها، فَإنّها مُخْتارَةٌ لِلباطلِ إلاّ ما وَفَّقتَ، أمارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمْتَ.

اللّهم وانّكّ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنا، وَعَلى الوَهنِ بَنَيْتَنا، ومِن ماء مَهين ابْتَدَأتَنا، فَلا حَولَ لنا إلاّ بِقُوَّتِك، ولا قُوَّةَ لنا إلاّ بِعَوْنِكَ.

فَأيّدنا بِتَوفيقِكَ، وَسَدِّدْنا بِتَسديدِكَ، واعْمِ أبْصارَ قُلُوبِنا عَمّا خالَفَ مَحبَّتَك، وَلا تَجْعَل لِشَيء مِنْ جَوارِحِنا نُفُوذاً في مَعْصِيَتك.

اللّهمَّ فَصَلِّ عَلى محمّد و آله، واجْعَل هَمَساتِ قُلُوبِنا، وَحَرَكاتِ أعضائِنا، وَلَمَحاتِ أعْيُنِنا، وَلَهَجاتِ ألسِنَتِنا، في مُوجِباتِ ثَوابِكَ، حَتى لا تَفُوتَنا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُ بِها جَزاءَكَ، ولا تَبْقى لَنا سَيِّئَةٌ نَسْتَوجِبُ بِها عِقابَكَ.

دعاؤه(عليه السلام) **في اللَّجأ إلى الله تعالى**

اللّهم إن تَشَأ تَعفُ عَنّا فَبِفَضلِكَ، وإنْ تَشَأ تُعَذِبْنا فَبِعدلكَ، فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ، وَأجِرْنا مِن عَذابِكَ بِتَجاوُزِكَ ; فَإنّه لا طاقَةَ لَنا بِعَدلكَ، ولا نَجاةَ لأَحَد مِنّا دُونَ عَفوِكَ.

يا غَنِيَّ الأَغْنِياءِ، ها نَحنُ عِبادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وأَنَا أَفْقَرُ الفُقَراءِ إلَيكَ، فاجبُر فاقَتَنا بِوُسعكَ، ولا تَقطَع رَجاءَنا بِمَنعِكَ، فَتَكونَ قد أَشقَيتَ مَنِ اسْتَسعَدَ بِكَ، وحَرَمْتَ مِن اسْتَرفَدَ فَضلَكَ، فَإلى مَن حِينَئِذٍ مُنقَلَبُنا عَنكَ؟ وإلى أيْنَ مَذهَبُنا عَن بابِكَ؟

سُبحانَكَ ، نَحنُ المُضطَرُّونَ الّذين أوجَبتَ إجابَتَهُم، وَأهلُ السُّوءِ الّذين وعَدتَ الكَشفَ عَنهُم. وأَشْبَهُ الأشياءِ بِمَشَيَّتِكَ، وَأولى الأُمُورِ بِكَ في عَظَمَتِك، رَحمَةُ مَنِ استَرحَمَك.، وَغَوثُ مَنِ استَغاثَ بِكَ، فَارحَمْ تَضَرُّعَنا إلَيْكَ ، وأغنِنا إذ طَرَحنا أَنفُسَنا بَينَ يَدَيك.

اللّهمَّ إنَّ الشَّيطانَ قَد شَمِتَ بِنا ; إذ شَايَعْناهُ عَلى مِعْصِيَتِكَ، فَصَلِّ عَلى محمّد وَآله، وَلا تُشمِتْهُ بِنا بَعدَ تَركِنا إيّاهُ لَكَ، وَرَغبَتِنا عَنهُ إلَيكَ.

دعاؤه(عليه السلام) **بخواتم الخير**

يا مَن ذِكرُه شَرَفٌ لِلذّاكِرينَ، ويا مَن شُكرُهُ فَوزٌ لِلشّاكِرينَ، ويا مَن طاعَتُهُ نَجاةٌ لِلمُطيعينَ، صَلِّ عَلى مُحمّد وَآلِهِ، وَاشْغَل قُلُوبَنا بِذكرِكَ عَن كُلِّ ذِكر، وألسِنَتِنا بِشُكرِكَ عَن كُلِّ شُكر، وَجَوارِحَنا بِطاعَتِكَ عَن كُلِّ طاعَة، فَإنْ قَدَّرتَ لَنا فَراغاً مِن شُغل، فَاجْعَلهُ فَراغَ سَلامَة، لا تُدرِكُنا فيهِ تَبِعَةٌ، وَلا تَلحَقُنا فيهِ سَأمَةٌ، حَتّى يَنْصَرِفَ عَنّا كُتّابُ السَّيِّئاتِ بِصَحيفَة خالِيَة مِنْ ذِكْرِ سَيئاتِنا، وَيَتَولّى كُتّابُ الحَسَناتِ عَنّا مَسرُورينَ بِما كَتَبُوا مِن حَسَناتِنا.

وإذا انقَضَت أيّامُ حَياتِنا، وَتَصَرَّمَت مُدَدُ أعمارِنا، وَاستَحضَرَتْنا دَعوَتُكَ الّتي لابُدَّ مِنْها وَمِن اجابَتِها، فَصَلِّ عَلى محمّد وَ آلِهِ، واجْعَلْ خِتامَ ما تُحْصي عَلَيْنا كَتَبَةُ أَعمالِنا تَوبَةً مَقْبُولَةً، لاتُوقِفُنا بَعدَها عَلى ذَنب اجْتَرَحْناهُ، وَلا مَعصِيَة اقْتَرَفْناها.

وَلا تَكشِف عَنّا سِتْراً سَتَرتَهُ عَلى رُؤُوسِ الأَشهادِ، يَومَ تَبْلُو أخبارَ عِبادِكَ، إنّكَ رَحيمٌ بِمَنْ دَعاكَ، وَمُسْتَجيبٌ لِمَنْ ناداكَ(٥٤٦).

رسالة الحقوق

تكفّلت رسالة الحقوق تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق ، هو الرصيد الأوّل للنظام الاجتماعي الإسلامي ، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة ; فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ، ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنّى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي ، وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ; لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

---

(٥٤٦) انظر الصحيفة السجادية الكاملة.

وفيما نعلم أنّ الإمام(عليه السلام) قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام ، بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار ، الذي على أساسه ترتكز أُصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

وقد كتب الإمام زين العابدين(عليه السلام) هذه الرسالة الذهبية ، وأتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي ، تلميذ الإمام(عليه السلام) ، كما رواها عنه ـ مسنداً ـ المحدّث الصدوق في كتابه الخصال، وثقة الإسلام الكليني في الكافي، والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني في تحف العقول، وهي من المصادر القديمة المعتمدة لدى العلماء.

وقبل بيان الحقوق فيها يشير الإمام (عليه السلام) إلى أنّ هناك حقوقاً محيطةً بالإنسان ولابدّ له من معرفتها. ثم يبيّن أكبر الحقوق ، وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده ، ثم يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان ، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الإلهي ، ثم ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قادة ومقودين ورعاة ورعية ، مع بيانه لأنواع الأئمة والمأمومين ودرجاتهم. ثم يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأُسرة وأعضائها ، ثم من تشتمل عليه الأُسرة من الموالي والجواري. ثم يتطرق الامام (عليه السلام) الى سائر ذوي الحقوق كالمؤذّن والإمام في الصلاة والجليس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير، حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية ، وفي النظام السياسي الذي يخضع له وان لم يكن من أهل ملّته ودينه.

وفيما يلي نصّ الرسالة كما وردت في كتاب الخصال(٥٤٧).

عرض إجمالي للحقوق ومراتبها

«اعلم أنّ لله عزّوجلّ عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة تحرّكتها ، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت فيها. فأكبر حقوق الله ـ تبارك وتعالى ـ عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ثم ما أوجب الله ـ عزّوجلّ ـ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل عزّوجلّ للسانك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، ولبصرك عليك حقّاً ، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل ـ عزّوجلّ ـ لأفعالك عليك حقوقاً ، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً، ولهديك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك. فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيّتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق.

---

(٥٤٧) الخصال للشيخ الصدوق، انظر الطبعة المحقّقة لجماعة المدرسين. أو دارالتعارف.

فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم; ثم حق سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك حق رعيّتك بالسلطان، ثم حق رعيّتك بالعلم ; فإنّ الجاهل رعيّة العالم، ثم حق رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيْمان، وحقوق رعيّتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة. وأوجبها عليك حق أُمّك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك ، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجارية نعمتك عليه(٥٤٨)، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذّنك لصلاتك، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك ، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدّعي عليه ، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمّد أو غير تعمّد، ثم حق أهل ملّتك عليك، ثم حق أهل ذمّتك، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ، ووفّقه لذلك وسدّده».

تفصيل الحقوق

«فأمّا حق الله الأكبر عليك فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عزّوجلّ.

وحق اللسان إكرامه عن الخنى، وتعويده على الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبرّ بالناس ، وحسن القول فيهم.

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه.

وحق البصر أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك ، وتعتبر بالنظر به.

وحق يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك.

وحق رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط ، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار.

وحق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

وحق فرجك أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنْظرَ إليه.

---

(٥٤٨) في المصدر : (نعمته عليك) والصواب كما سيأتى في تفصيله(عليه السلام) لهذه الحقوق: هو ما أثبتناه في المتن.

وحق الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّوجلّ ، وأنت فيها قائماً بين يدي الله عزّوجلّ. فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

وحق الحج أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك ، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

وحق الصوم أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

وحق الصدقة أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّوجلّ، ووديعتك التي لاتحتاج الإشهاد عليها ، فإذا علمت ذلك كنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

وحق الهدي أن تريد به وجه الله عزّوجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلاّ التعرّض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم أنّك جُعلت له فتنة ، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّوجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

وحق سائسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه ، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك ، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً ، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه ، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً ، ولا تعادي له وليّاً. فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته ، وتعلّمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

وأمّا حق سائسك بالملك فأن تطيعه ، ولا تعصيه إلاّ فيما يسخط الله عزّوجلّ ; فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأمّا حق رعيّتك بالسلطان فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم ، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله ـ عزّوجلّ ـ على ما آتاك من القوّة عليهم.

وأمّا حق رعيّتك بالعلم فأن تعلم أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم ، وفتح لك من خزائنه. فإن أحسنت في تعليم الناس ، ولم تخرق بهم ، ولم تفجر عليهم ، زادك الله من فضله. وإن أنت منعت الناس علمك ، أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك ، كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه ، ويسقط من القلوب محلّك.

وأمّا حق الزوجة فأن تعلم أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ جعلها لك سكناً وأُنساً ، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها ، وإن كان حقّك عليها أوجب ; فإنّ لها عليك أن ترحمها ; لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها ، فإذا جَهِلتْ عَفوتَ عنها.

وأمّا حق مملوكك فأن تعلم أنّه خلق ربك وابن أبيك وأُمك ولحمك ودمك لم تملكه، لأنّك صنعته دون الله ، ولا خلقت شيئاً من جوارحه ، ولا أخرجت له رزقاً. ولكن الله عزّوجلّ كفاك ذلك، ثم سخّره لك ، وائتمنك عليه ، واستودعك إيّاه ; ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه ، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك. وإن كرهته استبدلت به، ولَمْ تعذِّب خلق الله عزّوجلّ ولا قوّة إلاّ بالله.

وحق أُمّك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووقَتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتك الحرّ والبرد لتكون لها ; فإنّك لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله تعالى وتوفيقه.

وأمّا حق أبيك فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق ولدك فأن تعلم أنّه منك ، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه ، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّوجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

وأمّا حق أخيك فأن تعلم أنّه يدك وعزّتك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له. فإن أطاع الله وإلاّ فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلاّ بالله.

وامّا حق مولاك المنعم عليك. فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله ، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأُنسها ، فأطلقك من أسر الملكة ، وفكّ عنك قيد العبودية ، وأخرجك من السجن، وملّكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك وموتك ، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق مولاك الذي أنعمت عليه فان تعلم أن الله ـ عزّوجلّ ـ جعل عتقك له وسيلة إليه، وحجاباً لك من النار، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنّة.

وأمّا حق ذي المعروف عليك فأن تشكره ، وتذكر معروفه ، وتكسبه المقالة الحسنة ، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّوجلّ. فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

وامّا حق المؤذّن أن تعلم أنه مذكّر لك ربّك ، عزّوجلّ، وداع لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.

وأمّا حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّوجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّوجلّ. فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل ، فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

وأمّا حق جليسك فأن تلين له جانبك ، وتنصفه في مجاراة اللفظ ، ولا تقوم من مجلسك إلاّ بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاّته ، وتحفظ خيراته ، ولا تُسمعه إلاّ خيراً.

وأمّا حق جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً ، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمة ، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق الشريك فإن غاب كفيته ، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره ; فإنّ يد الله ـ تبارك وتعالى ـ على الشريكين ما لم يتخاونا ، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق مالك فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه، ولا تنفقه إلاّ في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلاّ بالله.

وأمّا حق غريمك الذي يطالبك فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً رضّيته بحسن القول ، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

وحق الخليط أن لا تغرّه ، ولا تفشه ، ولا تخدعه ، وتتّقي الله ـ تبارك وتعالى ـ في أمره.

وحق الخصم المدّعي عليك، فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنت شاهده على نفسك ، ولم تظلمه، وأوفيته حقّه. وإن كان ما يدّعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوّة إلاّ بالله.

وحق خصمك الذي تدّعي عليه إن كنت محقّاً في دعوتك أجملت مقاولته ، ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتّقيت الله عزّوجلّ ، وتبت إليه، وتركت الدعوة.

وحق المستشير إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

وحق المشير عليك أن لا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّوجلّ.

وحق المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة ، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

وحق الناصح أن تلين له جناحك ، وتصغي إليه بسمعك. فإن أتى الصواب حمدت الله عزّوجلّ، وإن لم يوفّق رحمته، ولم تتّهمه ، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلاّ أن يكون مستحقّاً للتهمة ، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال، ولا قوّة إلاّ بالله.

وحق الكبير توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك ، وترك مقابلته عند الخِصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته ; لحقّ الإسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته في تعليمه ، والعفوعنه ، والسترعليه ، والرفق به والمعونة له.

وحق السائل اعطاؤه على قدر حاجته.

وحق المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحق من سرّك لله تعالى ذكره أن تحمدالله عزّوجلّ أوّلاً ثم تشكره.

وحق من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت ، قال الله تبارك وتعالى: **(ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئك ما عليهم من سبيل)**[٥٤٩].

وحق أهل ملّتك اضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم ، وكفّ الأذى عنهم ، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وان تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبّانهم بمنزلة أُخوتك، وعجائزهم بمنزلة أُمّك، والصغار بمنزلة أولادك.

وحق أهل الذمّة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجلّ ، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده».

---

(٥٤٩) الشورى : ٤١.

الفصل السابع

باقر علم النبيّين الإمام محمد بن علي(عليهما السلام)

نسبه المشرق

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام من خلال الوجود المبارك لهذا الإمام العظيم الذي التقت به عناصر السبطين الحسن والحسين(عليهما السلام).

فالأب سيّد الساجدين و زين العابدين وألمع سادات المسلمين.

والأُمّ السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن ، سيّد شباب أهل الجنّة، وتكنّى أُمّ عبدالله[٥٥٠] ، وكانت من سيّدات نساء بني هاشم.

ولادتــه

لقد أشرقت الدنيا بمولد هذا الإمام الزكي ـ الذي بشَّر به النبي(صلى الله عليه وآله) قبل ولادته ـ في المدينة في الثالث من شهر صفر سنة ٥٦هـ [٥٥١] ، وقيل : سنة ٥٧هـ في غرّة رجب يوم الجمعة[٥٥٢]. فولادته قبل استشهاد جدّه الإمام الحسين(عليه السلام)بثلاث أو بأربع سنين[٥٥٣] ، وقيل بسنتين وأشهر[٥٥٤].

لقد سمّاه جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) بمحمّد، ولقّبه بالباقر قبل أن يُخلق بعشرات السنين، وكان ذلك من شواهدنبوّته. وقداستشفّ(صلى الله عليه وآله) من وراءالغيب ما يقوم به حفيده محمّد من نشر العلم وإذاعته بين الناس ، فبشّر به أُمّته، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابربن عبدالله الأنصاري.

وكُنّي بأبي جعفر[٥٥٥] ولا كنية له غيرها.

أما ألقابه الشريفة فهي: الأمين، الشبيه[٥٥٦]، الشاكر، الهادي، الصابر، الشاهد، الباقر[٥٥٧] ـ وهو من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً ـ كما لقّب هو وولده الإمام الصادق(عليه السلام)بالباقرين و لُقّبا بالصادقين أيضاً من باب التغليب[٥٥٨].

---

٥٥٠. تهذيب اللغات والأسماء ، ج ١، ص ٨٧، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٨٤.

٥٥١. وفيات الأعيان ، ج ٣، ص ٣١٤، تذكرة الحفّاظ، ج ١ ص ١٢٤.

٥٥٢. دلائل الإمامة ، ص ٩٤.

٥٥٣. أخبار الدول ، ص ١٩٩.

٥٥٤. دلائل الإمامة ، ص ٩٤.

٥٥٥. أعيان الشيعة ، ج ٤، ص ٤٦٤.

ويجمع المؤرّخون والمترجمون للإمام على أنّه إنّما لُقّب بالباقر ; لأنّه كان يبقر العلم أي يشقّه، ويتوسّع فيه عارفاً بأصله وعالماً بخفيّه[٥٥٩].

تحيات النبي(صلى الله عليه وآله)**إلى حفيده**

وحمّل النبي(صلى الله عليه وآله) الصحابي الكبير جابربن عبدالله الأنصاري تحيّاته، إلى سبطه الإمام الباقر، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدّي إليه رسالة جدّه. فلمّا ولد الإمام التقاه جابر فأدّى إليه تحيّات النبي(صلى الله عليه وآله). وروى المؤرّخون ذلك بصور متعدّدة ، واليك بعضها:

١ . روى ابن عساكر أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) دخل على جابربن عبدالله الأنصاري و معه ولده الباقر، فقال له جابر وكان قد فَقَد بَصَرَه: من معك يابن رسول الله؟ قال: «معي ابني محمّد». فأخذه جابر وضمّه إليه وبكى ، ثم قال: اقترب أجلي. يا محمّد! رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقرؤك السلام. فسئل : وما ذاك؟ فقال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)يقول للحسين بن علي: «**يولد لابني هذا ابن يقال له : علي بن الحسين، وهو سيّد العابدين. إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: ليقم سيّد العابدين، فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعليّ بن الحسين. ابن يُقال له: محمّد. إذا رأيته ، يا جابر ، فاقرأه منّي السلام. يا جابر ، اعلم أنّ المهدي من ولده، واعلم ، يا جابر ، أنّ بقاءك بعده قليل...**»[٥٦٠].

٢ . ذكر صلاح الدين الصفدي أنّ جابراً كان يمشي بالمدينة ويقول: يا باقر ، متى ألقاك؟ فمرّ يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيّاً في حجرها ، فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمّدبن علي بن الحسين، فضمّه إلى صدره، وقبّل رأسه ويديه، وقال: يا بني ، جدّك رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقرؤك السلام. ثم قال: يا باقر! نعيت إليّ نفسي، فمات في تلك الليلة»[٥٦١].

ملامحه

كانت ملامحه كملامح جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٥٦٢]، وقدشابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين(عليهم السلام).

---

٥٥٦. تذكرة الحفّاظ، ج١، ص ١٢٤، و نزهة الجليس، ج ٢، ص ٣٦.

٥٥٧. راجع حياة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) (للقرشي)، ج ١، ص ٢٢.

٥٥٨. عيون الأخبار وفنون الآثار، ص ٢١٣ و عمدة الطالب، ص ١٨٣.

٥٥٩. أُنظر تأريخ ابن عساكر ، ج ٥١، ص ٤١ من منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام).

٥٦٠. الوافي بالوفيات ، ج ٤، ص ١٠٢.

٥٦١. أُصول الكافي ، ج ١، ص ٤٦٩.

٥٦٢. علل الشرائع، ص ٢٣٤.

لقد كان(عليه السلام) في طفولته آية من آيات الذكاء حتّى أنّ جابربن عبدالله الأنصاري ـ على شيخوخته ـ كان يأتيه فيجلس بين يديه فيتعلّم منه ... وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه ، وطفق يقول: يا باقر! لقد أوتيت الحكم صبيّاً...[٥٦٣].

وقد عرف الصحابة ما يتمتّع به الإمام الباقر(عليه السلام) منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها[٥٦٤].

هيبته ووقاره

وبدت على ملامح الإمام(عليه السلام) هيبة الأنبياء ووقارهم، فماجلس معه أحد إلاّ هابه وأكبره.

وقدتشرّف قتادة ـ وهو فقيه أهل البصرة ـ بمقابلته فاضطرب قلبه من هيبته ، وأخذ يقول له: لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وأمام ابن عبّاس فما اضطرب قلبي من أيّ أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك[٥٦٥].

نقش خاتمه

أما نقش خاتمه فهو : «العزّة لله جميعاً»[٥٦٦] ، وكان يتختّم أيضاً بخاتم جدّه الإمام الحسين(عليه السلام) ، وكان نقشه: «إنّ الله بالغ أمره»[٥٦٧].

مراحل حياته

عاش مع جدّه الحسين(عليه السلام) ما يقرب من أربع سنين ، ومع أبيه بعد جدّه ما يقرب من أربع وثلاثين سنة ، وقد كانت الدولة الأموية في أوج بطشها وجبروتها، وكان الإمام الباقر(عليه السلام) في هذه المرحلة رهن إشارة أبيه زين العابدين(عليه السلام) في جميع مواقفه ونشاطاته.

وعاش بعد أبيه ما يقرب من تسعة عشر عاماً، أكمل فيها مسيرة الأئمة الهداة(عليه السلام)من قبله ، مستلهماً الطريق الصحيح لتحقيق أهداف الرسالة المحمّدية ، بعد انحراف المسيرة السياسية للأُمّة والخضوع لقادة حذّر الرسول(صلى الله عليه وآله) من الالتفاف حولهم. فكانت خطواته الرائدة في تلك الظروف الصعبة مشاعل من نور ، تضيء للأُمّة طريق الهدى ، وتجنّبها أهواء الردى. وقد أرسى في مدينة جدّه(صلى الله عليه وآله)دعائم المدرسة النبوية المباركة التي حمل مشعلها أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

---

٥٦٣. المناقب ، ج ٤، ص ١٤٧.
٥٦٤. اثبات الهداة ، ج ٥، ص ١٧٦.
٥٦٥. حلية الأولياء ، ج ٣، ص ١٨٩.
٥٦٦. أعيان الشيعة ، ج ٤، ص ١٦٩.
٥٦٧. المناقب ، ج ٢، ص ٢٨٦.

واستطاع أن يقدّم للأُمّة معالم مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في جميع مجالات الحياة ، ويربّي عدّة أجيال من الفقهاء والعلماء ، ويبني القاعدة الصلبة من الجماعة الصالحة التي تتبنّى خطّ الرسول(صلى الله عليه وآله) المتمثّل في أهل البيت(عليهم السلام)وتسعى جاهدة لتحقيق أهدافهم المُثلى.

وقد وافاه الأجل بالسمّ الذي دسّه إليه ابراهيم بن الوليد في مدينة جدّه سنة ١١٤هـ .

قبس من فضائل الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) ومظاهر شخصيّته

لقد توفّرت في شخصية الإمام أبي جعفر(عليه السلام) جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأُمّة، وقيادتها الروحية والفكرية.

أمّا ما دّونته كتب التاريخ من فضائله الجمّة فهو غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها:

١ . العلم

أ . قال عبدالله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمّدبن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبي بين يدي معلّمه[٥٦٨].

ب . قال الأبرش الكلبي عن الإمام الباقر ـ أمام هشام بن عبدالملك ـ : دَعُونا منكم يا بني أُمية، إنّ هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله[٥٦٩].

ج . كتب عبدالملك إلى عامله على المدينة: أن ابعث إليّ محمّدبن علي مقيَّداً. فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أميرالمؤمنين، ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيت أن أُراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك ; إنّ الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ، ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التعرّض له ; فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم. فسرّ عبد الملك بما انهى إليه الوالي، وعلم أنّه قد نصحه[٥٧٠].

د . قال عبدالله بن معمّر الليثي للإمام الباقر(عليه السلام): ما أحسب صدوركم إلاّ منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[٥٧١].

---

٥٦٨. بحار الأنوار ، ج ١١، ص ٨٢.

٥٦٩. المناقب ، ج ٢، ص ٢٨٦.

٥٧٠. الدر النظيم ، ص ٦٠٨ ، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٧١. بحار الأنوار ، ج ١١، ص ٨٨.

هـ . وقال محمّدبن طلحة الشافعي: هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دره وراضعه ، صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء[٥٧٢].

و . قال ابن أبي الحديد: في شرح النهج : كان محمّدبن علي بن الحسين سيّد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه[٥٧٣].

٢ . الحلم

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر(عليه السلام) ، فلم تصدر منه أية إساءة إلى من كان يظلمه ويعتدي عليه، وإنّما كان يغدق عليه بالبرّ والمعروف، ويقابله بالصفح والإحسان، وقد رويت صور كثيرة من عظيم حلمه، كان منها:

أ : أنّ رجلاً كتابيّاً هاجم الإمام، واعتدى عليه، وقال له: أنت بقرة. فلطف به الإمام، وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر ، قائلاً: «لا ... أنا باقر...». وراح الكتابي يهاجم الإمام ، قائلاً: أنت ابن الطبّاخة. فتبسّم الإمام، وقال له: «ذاك حرفتها...» ولم ينته الكتابي عن غيّه، وانّما هاجمه ، قائلاً: أنت ابن السوداء الزغنة البذيّة... . ولم يغضب الإمام، وإنّما قابله باللطف ، قائلاً: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك...». وبهت الكتابي، وبُهر من معالي أخلاق الإمام(عليه السلام) التي ضارعت أخلاق الأنبياء(عليهم السلام)، فأعلن إسلامه[٥٧٤] ، ورجع إلى طريق الحقّ.

ب : ومن تلك الصور المدهشة من حلمه أنّ شاميّاً كان يختلف إلى مجلسه، ويستمع إلى محاضراته، وقد أُعجب بها، فأقبل نحو الإمام ، وقال له:

يا محمّد إنما أغشى مجلسك لا حبّاً منّي إليك، ولا أقول: إنّ أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أنّ طاعة الله وطاعة أميرالمؤمنين في بغضكم، ولكنّي أراك رجلاً فصيحاً ، لك أدب وحسن لفظ، فإنّما أختلف إليك لحسن أدبك.

ونظر إليه الإمام بعطف وحنان، وأخذ يغدق عليه ببرّه ومعروفه حتى استقام الرجل وتبيّن له الحقّ، فتبدّلت حالته من البغض إلى الولاء للإمام، وظل ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلّي عليه[٥٧٥].

---

٥٧٢. مطالب السؤول ، ص ٨٠.

٥٧٣. المدخل الى موسوعة العتبات المقدّسة، ص ٢٠١.

٥٧٤. مناقب آل أبى طالب ، ج ٣ ، ص ٣٣٧.

٥٧٥. بحار الأنوار ، ج ١١، ص ٦٦.

٢ . الصبر

لقد صبر الإمام الباقر ـ كآبائه(عليهم السلام) ـ على تحمّل المحن والخطوب، وكان من موارد صبره ما يلي:

أ : لقد كان الإمام(عليه السلام)يسمع ويرى انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين، وإعلان سبّهم على المنابر والمآذن، ولا يتمكّن من أن يتكلم ويردّ عليهم، فصبر و كظم غيظه، وأوكل الأمر إلى الله الحاكم بين عباده بالحقّ.

ب : ومن بين المحن الشاقّة التي صبر عليها ، التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت(عليهم السلام)وقتلهم تحت كلّ حجر ومَدَر بأيدي الجلاّدين من عملاء السلطة الأُموية، وهو لا يتمكّن من أن يحرّك ساكناً ; اذ قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، وأحاطته بجواسيسها، ولم تستجب لأيّ طلب له في شأن شيعته.

ج : ومما رواه المؤرّخون عن عظيم صبره ، أنّه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع إليه بعض مواليه فأسرّ إليه ، فقال(عليه السلام):

«الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ، إنهَهُمْ عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضيَر عليكِ ، أنت حرّة لوجه الله ; لما تداخلك من الروع...».

ورجع إلى حديثه، فتهيّب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه ، فقال لهم: **«إنّه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات»**[٥٧٦].

٤ . تكريمه الفقراء

كان(عليه السلام) يبجّل الفقراء، ويرفع من شأنهم ; لئلاّ يرى عليهم ذلّ الحاجة.

ورُوي: أنّه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لايقولوا له: ياسائل ، خذ هذا، وإنّما يقولون له: **يا عبد الله بورك فيك**[٥٧٧] ، وقال: **«سمّوهم بأحسن أسمائهم»**[٥٧٨].

وكان الإمام(عليه السلام) كثير البرّ والمعروف على فقراء المدينة، وقد أُحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار[٥٧٩] ، وكان يتصدّق عليهم في كلّ يوم جمعة بدينار ، ويقول: **«الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيّام»**[٥٨٠].

---

٥٧٦. عيون الأخبار وفنون الآثار ، ص ٢١٨.

٥٧٧. عيون الأخبار ، ج ٣، ص ٢٠٨.

٥٧٨. البيان والتبيين ، ص ١٥٨.

٥٧٩. راجع حياة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) (للقرشى) ، ج ١، ص ١٢٤.

٥٨٠. في رحاب أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، ج ٤ ، ص ١٢.

٥ . عتقه العبيد

وكان الإمام(عليه السلام) شغوفاً بعتق العبيد، وإنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً . وكان عنده ستّون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته[٥٨١].

٦ . صلته لأصحابه

وكان أحبّ شيء للإمام(عليه السلام) في هذه الدنيا إخوانه ، فكان لايملّ من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه وقدعهد لابنه الإمام الصادق(عليه السلام) ، أن ينفق من بعده على أصحابه وتلاميذه ; ليتفرّغوا إلى نشر العلم وإذاعته بين الناس[٥٨٢].

كرمه وسخاؤه

لقد فُطر الإمام الباقر(عليه السلام) على حبّ الخير وصلة الناس وإدخال السرور عليهم.

يقول ابن الصبّاغ المالكي: كان محمّدبن علي بن الحسين ـ مع ما هو عليه من العلم والفضل والرياسة والإمامة ـ ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة، مشهور بالكرم في الكافّة ، معروف بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله[٥٨٣].

وذكر المؤرّخون: انّه كان أقلّ أهل بيته مالاً ، وأعظمهم مؤونة[٥٨٤] ، ومع ذلك كان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه، منها:

أ : أنّ سليمان بن قرم قال: كان أبوجعفر يجيزنا الخمس مائة درهم إلى الست مائة درهم إلى الألف، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وصلة قاصديه وراجيه[٥٨٥].

ب : قال الحسن بن كثير: شكوت إلى أبي جعفر محمّدبن علي الحاجة وجفاء الإخوان ، فتأثّر(عليه السلام) وقال: «بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً». ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبع مائة درهم، وقال: «استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني»[٥٨٦].

ج: وكان(عليه السلام) يحبو قوماً يغشون مجلسه من المائة إلى الألف، وكان يحبّ مجالستهم، منهم عمروبن دينار، وعبدالله بن عبيد، وكان يحمل إليهم الصلة والكسوة، ويقول: «هيّأناها لكم من أوّل السنة»[٥٨٧].

---

٥٨١. أنظر حياة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) (للقرشي) ، ج ١، ص ١٢٤.

٥٨٢. المصدر نفسه.

٥٨٣. الفصول المهمّة ، ص ٢٢٧.

٥٨٤. في رحاب أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، ج ٤ ، ص ١٢.

٥٨٥. الإرشاد ، ص ٢٩٩.

٥٨٦. صفة الصفوة ، ج ٢، ص ٦٣.

عبادته

كان الإمام أبوجعفر(عليه السلام) من سادات المتّقين ; فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربّه بقلب منيب، وأخلص في طاعته لله جلّ وعزّ، أمّا مظاهر عبادته فتتمثّل في:

أ ـ خشوعه في صلاته ; كان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه[٥٨٨] خوفاً من الله عزّوجلّ وخشية منه.

ب ـ كثرة صلاته ; كان يصلّي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[٥٨٩] ، ولم تشغله شؤونه العلمية، ومرجعيّته العامّة للأُمّة عن كثرة الصلاة، فقد كانت أعزّ شيء عنده ; لأنّها الصلة بينه وبين الله.

ج ـ دعاؤه في سجوده: قال الإمام الصادق(عليه السلام): «كنت أُمهّد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وقد أبطأ عليّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه، وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، وليس في المسجد غيره ، فسمعت حنينه وهو يقول : «**سبحانك اللهمَّ، أنت ربّي حقّاً حقّاً، سجدت لك يا ربّي تعبّداً ورقّاً، اللهمَّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي... اللهمَّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم...**»[٥٩٠].

وروى عن أبي عبيدة الحذّاء أنّه قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول ـ وهو ساجد ـ : «**أسألك بحقّ حبيبك محمّد**(صلى الله عليه وآله) **إلاّ بدّلت سيّئاتي حسنات، وحاسبني حساباً يسيراً**».

ثم قال في السجدة الثانية: «**أسألك بحق حبيبك محمّد**(صلى الله عليه وآله) **إلاّ ما كفيتني مؤونة الدنيا، وكلّ هول دون الجنّة**».

ثم قال في الثالثة: «**أسألك بحقّ حبيبك محمّد لمّا غفرت الكثير من ذنوبي والقليل، وقبلت منّي العمل اليسير**».

ثم قال في الرابعة: «**أسألك بحق حبيبك محمّد**(صلى الله عليه وآله) **لمّا أدخلتني الجنّة ، وجعلتني من سكّانها، ولمّا نجّيتني من سفعات النار**[٥٩١] **برحمتك، وصلّى الله على محمّد وآله...**»[٥٩٢].

حجّه: كان الإمام أبوجعفر(عليه السلام) إذا حجّ البيت الحرام انقطع إلى الله وأناب إليه ، وظهرت عليه آثار الخشوع والطاعة.

قال مولاه أفلح: حججتُ مع أبي جعفر محمّد الباقر(عليه السلام)، فلمّا دخل إلى المسجد رفع صوته بالبكاء ، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي ، إنّ الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً، فلم يعتنِ الإمام وقال له:

«**ويحك يا أفلح! إنّي أرفع صوتي بالبكاء ; لعلّ الله ينظر إليّ برحمة فأفوز بها غداً...**»

---

٥٨٧. عيون الأخبار وفنون الآثار ، ص ٢١٧. الحبوة : العطيّة.

٥٨٨. تأريخ ابن عساكر ، ج ٥١، ص ٤٤.

٥٨٩. تذكرة الحفّاظ ، ج ١، ص ١٢٥.

٥٩٠. فروع الكافي ، ج ٣، ص ٣٢٣.

٥٩١. سفعات النار هي لفحات السعير الّتي تغيّر بشرة الإنسان لشدّة حرارتها.

٥٩٢. فروع الكافي ج ٣، ص ٣٢٢.

ثم إنّه طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلمّا فرغ وإذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه[٥٩٣].

مناجاته مع الله

كان الإمام(عليه السلام) يناجي الله تعالى في ظلام الليل وكان ممّا يقوله في مناجاته:

«أمرتني فلم أنتمر، وزجرتني فلم أنزجر، ها أنذا عبدك بين يديك»[٥٩٤].

لقد كان دائم الذكر لله، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته، فكان يمشي ويذكر الله، ويحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس ، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله[٥٩٥].

زهده في الدنيا

وزهد الإمام أبوجعفر(عليه السلام) في جميع مباهج الحياة ، وأعرض عن زينتها فلم يتّخذ الرياش في داره، وإنّما كان يفرش في مجلسه حصيراً[٥٩٦].

قال جابربن يزيد الجعفي: قال لي محمّدبن علي: «يا جابر إنّي لمحزون، وإنّي لمشتغل القلب...». فقال له جابر: ما حزنك؟ وما شغل قلبك؟ فأجابه(عليه السلام):

«يا جابر! إنّه من دخل قلبه صافي دين الله عزّوجلّ شغله عمّا سواه، يا جابر ، ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟ هل هي إلاّ مركب ركبته؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأة أصبتها...؟»[٥٩٧]

من تراث الإمام محمّد الباقر(عليه السلام)

١ . من وصيّته (عليه السلام) **لجابِرِ بن يزيد الجُعفي**[٥٩٨]

«...أُوصيكَ بِخَمْس: إن ظُلِمتَ فلا تَظْلِم، وإنْ خانُوكَ فلا تَخُن ، وإنْ كُذِّبتَ فلا تَغْضَب ، وإن مُدِحتَ فلا تَفْرَح ، وإن ذُمِمْتَ فلا تَجْزَعْ.

وَفكِّر فيما قيلَ فيكَ، فإن عرفتَ مِن نفسِك ما قيلَ فيكَ فَسُقُوطُك مِنْ عَيْنِ اللهِ جَلَّ وَعزَّ عند غَضَبِك مِنَ الحَقِّ أعظمُ عليكَ مُصيبَةً ممّا خِفْتَ مِن سُقُوطِكَ مِنْ أعينِ النّاس ، وإنْ كُنْتَ عَلى خِلافِ ما قيلَ فيكَ فَثَوابٌ اكْتَسَبْتَهُ مِنْ غَيْر أنْ يَتْعَبَ بَدَنُكَ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لا تَكُونُ لَنا وَليّاً حَتّى لَو اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصرِكَ وقالوا: إنّكَ رَجلُ سَوْء لم يَحزُنْك ذلكَ، ولَوْ قالوا: إنَّك رَجُلٌ صالِحٌ لَم يَسُرَّكَ ذلك. وَلكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلى كِتابِ اللهِ، فإنْ كنتَ سالِكاً سبيلَه ،

---

٥٩٣. صفة الصفوة ، ج ٢، ص ٦٣.

٥٩٤. حلية الأولياء ، ج ٣، ص ١٨٢.

٥٩٥. في رحاب أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، ج ٤ ، ص ٦.

٥٩٦. دعائم الإسلام ، ج ٢، ص ١٥٨.

٥٩٧. البداية والنهاية ، ج ٩، ص ٣١٠.

٥٩٨. الجُعفي من أصحاب الباقر والصادق(عليهما السلام) وخدم الإمام أباجعفر(عليه السلام) سنين متوالية. مات(رحمه الله)في أيّام الصادق(عليه السلام) سنة ثمان وعشرين ومائة.

زاهِداً في تَزْهيدِه ، راغِباً في تَرْغيبه ، خائفاً من تَخْويفِه فَاثْبُتْ وَأبْشِرْ ; فَإنّه لا يَضُرُّكَ ما قيلَ فيكَ. وإنْ كُنْتَ مُبائِناً لِلقُرْآنِ فَماذا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ؟!

إنَّ المؤمنَ مَعنِيٌّ بمجاهَدَةِ نَفْسِه لِيَغْلِبَها عَلى هَواها ، فَمَرَّةً يُقيمُ أَوَدَها[٥٩٩] وَيُخالِفُ هَواها في مَحَبَّةِ مَحَبَّةِ اللهِ ، ومَرَّةً تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيتَّبِعُ هَواها فَيَنْعَشُهُ اللهُ[٦٠٠] فَيَنْتَعِشُ ، وَيُقيلُ اللهُ عَثْرَتَه ، فَيَتَذَكَّرُ وَيَفْزَعُ إلَى التّوبةِ والَمخافَةِ فيزداد بَصيرةً ومعرفةً لما زيد فيه من الخوف ، وذلك بأنَّ الله يَقُولُ: (**إنَّ الّذينَ اتّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإذا هم مُبْصِرونَ**)[٦٠١].

يا جابِرُ اسْتَكثِرْ لِنَفْسِكَ مِنَ الله قليلَ الرّزق تَخَلّصاً إلى الشُّكر، وَاسْتَقِلِلْ مِنْ نَفْسِكَ كَثيرَ الطّاعَةِ للهِ إزْراءً عَلَى النَّفْسِ[٦٠٢]وَتَعَرُّضاً لِلعَفْوِ.

وَادْفَع عَنْ نَفْسِكَ حاضِرَ الشَّرّ بحاضِرِ العلمِ ، وَاسْتَعْمِلْ حاضِرَ العِلْمِ بِخالِص العَمل ، وتَحَرَّز في خالِصِ العملِ من عظيم الغَفلةَ بِشدَّة التيّقُّظ ، وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التيّقظِ بصدق الخَوْفِ ... ، وَتَوَقَّ مُجازَفَةَ الهَوى بدَلالَةِ العَقْلِ[٦٠٣] ، وَقِفْ عِندَ غَلَبَةِ الهَوى باسْتِرشادِ العِلْمِ.

وَاسْتَبِقْ خالِصَ الأَعْمالِ ليَومِ الجَزاءِ ، وَانْزِلْ ساحَةَ القَناعَة بِاتِّقاءِ الحِرْصِ ، وادْفَعْ عَظيمَ الحِرْصِ بِإيثارِ القَناعَةِ ، وَاسْتَجْلِبْ حَلاوَةَ الزَّهادَةِ بقَصْرِ الأمَلِ ، وَاقْطَع أسْبابَ الطَّمَع بِبَرْدِ اليَأسِ.

وَسُدَّ سَبيلَ العُجْبِ بمَعْرفَةِ النَّفْسِ ، وَتَخَلَّصْ إلى راحَةِ النَّفْس بصِحَّةِ التَّفْويضِ ، وَاطْلُبْ راحَةَ البَدَنِ بإجْمام القَلْب[٦٠٤] ، وَتَخَلَّصْ إلى إجمامِ القَلْبِ بِدَوامِ الحُزْنِ ، وتَعَرَّضْ لِرِقّةِ القَلْبِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ في الخَلَواتِ ، وَاسْتَجْلِبْ نُورَ القَلْبِ بِدَوامِ الحُزْنِ.

وَتَحَرَّز مِن إبليسَ بِالخَوفِ الصّادِق ، وإيّاكَ وَالرَّجاءَ الكاذِبَ; فإنّه يُوقِعُكَ في الخوف الصّادِقِ ، وتَزَيَّن للهِ عَزَّوجَلَّ بِالصِّدْقِ في الأعْمالِ ، وَتَحَبّبْ إلَيْهِ بِتَعْجِيلِ الانْتِقالِ ، وإيّاكَ والتَّسويفَ ; فَإنّهُ بَحْرٌ يَغْرَقُ فيهِ الهَلْكى ، وإيّاكَ وَالغَفلةَ، [فـ] فيها تَكُونُ قَساوَةُ القَلْبِ.

وَإيّاكَ والتَّوانيَ فيما لا عُذْرَ لَكَ فيه ; فَإليه يَلْجَأ النّادِمُونَ ، وَاسْتَرْجِعْ سالِفَ الذُّنوبِ بِشِدَّةِ النَّدَمِ وكَثْرَةِ الإسْتِغفارِ ، وَتَعَرَّضْ لِلرَّحْمَةِ وَعَفْوِ اللهِ بِحُسْنِ المُراجَعَة ، وَاسْتَعِن على حُسْنِ المُراجَعَةِ بخالِصِ الدُّعاءِ وَالمُناجاةِ في الظُّلَم.

وَتَخَلَّصْ إلى عَظِيمِ الشُّكْرِ بِاسْتِكْثارِ قليلِ الرّزقِ واسْتِقلالِ كثيرِ الطاعَةِ ، واسْتَجْلِبَ زِيادَةَ النِّعَمِ بعَظيمِ الشُّكْرِ ، وإلى عظيمِ الشُّكْرِ بِخَوْفِ زوالِ النِّعَمِ.

واطْلُبْ بَقاءَ العِزِّ بإماتَةِ الطّمَع ، وَادْفَعْ ذُلَّ الطَّمَع بِعِزِّ اليَأسِ ، واسْتَجْلِبْ عِزَّ اليَأسِ بِبُعْد الهِمَّةِ ، وتَزَوَّدْ مِنَ الدُّنيا بقَصْرِ الأمَلِ ، وبادِر بِانْتِهازِ البُغْيَةِ[٦٠٥] عِنْدَ إمْكانِ الفُرْصَةِ ، ولا إمكانَ كالأيّامِ الخالِيةِ مَعَ صِحَّةِ الأبْدانِ.

---

٥٩٩. الأوَد: العوج.

٦٠٠. نعشه الله: رفعه وأقامه وتداركه من هلكة وسقطة. وينعش أي ينهض، وينشط.

٦٠١. الأعراف: ٢٠١.

٦٠٢. أزرى على النفس ، عابها وعاتبها. ويحتمل أن يكون: ازدراءً ـ من باب الافتعال ـ أي احتقاراً واستخفافاً.

٦٠٣. جازف في كلامه: تكلّم بدون تبصّر وبلا رويّة. وجازف في البيع: بايعه بلاكيل ولا وزن ولا عدد ، وجازف بنفسه: خاطر بها.

٦٠٤. الجمام ـ بالفتح ـ : الراحة. وأجمّ نفسه أي تركها.

وإيّاكَ وَالثقَةَ بِغَيرِ المأمُونِ ; فَإنَّ لِلشَّرِّ ضَراوَةً كَضَراوَةِ الغِذاءِ[٦٠٦].

وَاعْلَم أ نَّه لا عِلْمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ ، وَلا سلامَةَ كسَلامَةِ القَلْبِ ، ولا عقلَ كمُخالَفَةِ الهَوى ، ولا خوفَ كخوف حاجز ، ولا رَجاءَ كرَجاء مُعين ، ولا فَقْرَ كَفَقْرِ القَلبِ ، ولا غِنى كَغِنَى النَّفْسِ ، ولا قُوَّةَ كغَلَبَةِ الهَوى ، ولا نُورَ كَنُورِ اليَقِيْنِ ، ولا يَقينَ كاسْتِصْغارِكَ الدُّنيا ، ولا معرِفَةَ كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ ، ولا نِعْمَةَ كالعافِيَةِ ، ولا عافِيَةَ كَمُساعَدَةِ التَّوْفيقِ ، وَلا شَرَفَ كبُعْدِ الهِمّةِ ، ولا زُهْدَ كَقَصْرِ الأمَلِ ، ولا حِرْصَ كالمُنافَسَةِ[٦٠٧] في الدَّرَجاتِ ، ولا عَدلَ كالإنْصافِ.

ولا تَعَدِّيَ كَالجَوْرِ ، ولا جَوْرَ كَمُوافَقَةِ الهَوى .

ولا طاعَةَ كأداء الفَرائِضِ ، ولا خَوْفَ كالحُزْنِ .

ولا مُصيبَةَ كَعَدَمِ العَقْلِ ، ولا عَدَمَ عَقْلٍ كَقِلَّةِ اليَقينِ ، ولا قلّةَ يَقين كَفَقْدِ الخَوْفِ ، ولا فَقْدَ خوف كَقِلَّةِ الحُزْنِ على فَقْدِ الخَوْف ، ولا مُصِيبةَ كاسْتِهانَتِكَ بِالذَّنْبِ ورِضاكَ بِالحالَةِ الَّتي أنْتَ عَلَيها. ولا فَضيلة كالجِهادِ ، ولا جَهادَ كَمُجاهَدَةِ الهوى ، ولا قوَّةَ كَرَدِّ الغَضَبِ.

ولا مَعْصِيَةَ كحُبِّ البَقاءِ[٦٠٨] ، ولا ذُلَّ كالطَّمع ، وإيّاكَ وَالتَّفْرِيطَ عِنْدَ إمْكانِ الفُرْصَةِ ; فَإنَّهُ مَيَدانٌ يَجْرِي لأَهْلِهِ بالخُسْرانِ»[٦٠٩].

من غرر حكمه

١ . «الكمالُ كُلُّ الكمال : التَّفقّهُ في الدين ، والصَّبر على النّائبة ، وتقديرُ المعيشة».

٢ . «ثلاثةٌ من مكارم الدّنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمكَ. وتصِل من قطعكَ ، وتحلُم إذا جُهِلَ عليك».

٣ . «أفضل العبادة عِفّة البطن والفرج»[٦١٠].

٤ . «لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسِداً لمن فوقه ، ولا محقِّراً لمن دونه».

٥ . «ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع ، والتخشُّع ، وأداء الأمانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم ، والصلاة ، والبرّ بالوالدين ، وتعهّد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارِمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكفِّ الألسن عن النّاس إلاّ من خَير ، وكانوا أُمناء عشائِرهم في الأشياء».

٦ . «صانِع المُنافق بلسانِكَ ، وأخلص مودَّتك للمؤمن، وإن جالسك يهوديّ فأحسِن مجالسَتَهُ».

٧ . وقال يوماً رجل عنده: اللهمَّ أغنِنا عن جميع خلقِك ، فقال أبوجعفر(عليه السلام): «لا تقلْ هكذا ، ولكن قل: **اللهمَّ أغنِنا عن شِرار خلقِك ;** فإنَّ المؤمن لا يستغني عن أخيه».

---

٦٠٥. البغية: مصدر بغى الشي، أي طلبه، وانتهاز البغية: اغتنامها والنهوض اليها مبادراً.

٦٠٦. الضراوة: مصدر ضرى بالشيء أي لهج به وتعوّده وأولع به.

٦٠٧. المنافسة: المفاخرة.

٦٠٨. أي البقاء في هذه الدنيا الدنيّة.

٦٠٩. انظر تحف العقول ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

٦١٠. انظر قصار كلماته في تحف العقول ، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٠.

٨ . وقال(عليه السلام) : «قُم بالحقِّ واعتزل ما لايعنيك ، وتجنَّب عدوّك ، واحذر صديقَك من الأقوام إلاّ الأمين من خَشيَ الله. ولا تصحب الفاجِر ، ولا تطلعه على سِرّك ، واستشر في أمرِك الّذين يخشونَ الله».

٩ . «إن استطعتَ أن لا تُعامِل أحداً إلاّ ولك الفضلُ عليه فافعل».

١٠ . «إنَّ الله كرِهَ إلحاحَ النّاس بعضهم على بعض في المسألة ; وأحبَّ ذلك لنفسه. إنَّ الله ـ جلَّ ذِكرُهُ ـ يُحِبُّ أن يُسأل ويطلب ما عنده».

١١ . «مَنْ لم يجعل الله له من نفسه واعِظاً فإنَّ مواعِظ الناس لن تُغني عنه شيئاً».

١٢ . الظلم ثلاثةٌ: ظلمٌ لا يَغفِرهُ الله، وظلمٌ يغفِرهُ الله، وظلمٌ لا يَدَعه الله. فأمّا الظّلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله. وأمّا الظلمُ الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله. وأمّا الظلم الذي لا يدعهُ الله فالمداينة بين العباد»[٦١١].

٦١١. المداينة من الدين، أي ظلم العباد عند المعاملة.

الفصل الثامن

صادق أهل البيت(عليهم السلام) الإمام جعفر بن محمّد

الأُسرة الكريمة :

لقد نشأ الإمام الصادق(عليه السلام) في أجلّ وأسمى أُسرة في دنيا العرب والإسلام، تلك الأُسرة التي أنجبت خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّد(صلى الله عليه وآله)، كما أنجبت الأئمة العظام(عليه السلام)العلماء بالله الأُمناء على حلاله وحرامه. وهي على امتداد التأريخ كانت وما تزال مهوى أفئدة المسلمين.

من هذه الأُسرة التي أغناها الله بفضله، وحبَّبها في قلوب المسلمين ، تفرّع عملاق هذه الأُمة، ومؤسس نهضتها الفكرّية والعلميّة الإمام الصادق(عليه السلام)، وقد ورث من عظماء أُسرته جميع خصالهم الحميدة ومكارم أخلاقهم السامية.

الأب الزكّي: هو الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) ، سيد الناس لا في عصره فحسب، وإنّما في جميع العصور على امتداد التأريخ علماً وفضلاً وتقوى. ولم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن والحسين(عليهما السلام)من علم الدين، والسنن، وعلم القرآن والسير، وفنون الأدب والبلاغة مثل ما ظهر منه[٦١٢].

لقد فجّر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وساهم مساهمة فعّالة في تطوير العقل البشري بما نشره من العلوم.

والأُمّ الكريمة: هي السيّدة المهذّبة الزكية أُم فروة بنت الفقيه القاسم محمّدبن أبي بكر[٦١٣] ، وكانت من سيّدات النساء عفّة وشرفاً وفضلاً ; فقد تربّت في بيت أبيها ، كما تلقّت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام الأعظم محمّد الباقر(عليه السلام). وكانت مرجعاً للسيّدات من نساء عصرها في مهام أُمورهن الدينية، وحسبها فخراً وشرفاً أنّها صارت أُمّاً لأعظم إمام من أئمة المسلمين.

---

٦١٢. الفصول المهمة ، ص ١٩٢.

٦١٣. صفة الصفوة ، ج ٢، ص ٢٤٩ والمعارف، ص ١٧٥. القاسم بن محمّدبن أبي بكر من الفقهاء الأجلاّء، كان عمربن عبد العزيز يجلّه كثيراً ، وقد قال: لو كان لي من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمّد الخلافة. وقد عمّر طويلاً وذهب بصره في آخر عمره. ولمّا احتضر قال لابنه: سن عليّ التراب سّناً ـ أي ضعه عليّ سهلاً ـ وسوّي عليّ قبري، والحق بأهلك، وإيّاك أن تقول: كان أبي. وكانت وفاته بمكان يقال له قديد، وهو اسم موضع يقع ما بين مكّة والمدينة. أنظر صفة الصفوة ، ج ٢، ص ٤٩ ـ ٥٠ ، والمعارف ، ٥٤، ومعجم البلدان ، ج ٧، ٣٨.

ولادة النور

ولم تمضِ فترة طويلة من زواج السيّدة أُم فروة بالإمام محمّد الباقر(عليه السلام)حتى حملت، ولمّا أشرقت الأرض بالمولود المبارك سارعت القابلة لتزفّ البشرى إلى أبيه فلم تجده وإنّما وجدت جدّه الإمام زين العابدين(عليه السلام)، فهنّأته بالمولود الجديد الذي سيجدّد معالم الدين، ويُحيي سنّة جدّه سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله) ، وأخبرته القابلة بأن له عينين زرقاوين جميلتين ، فتبسّم الإمام(عليه السلام) وقال: إنّه يشبه عيني والدتي[٦١٤]. وبادر الإمام زين العابدين(عليه السلام)إلى الحجرة فتناول حفيده وقبّله، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية، فأذّن في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

تسميته

وسمّي بـ(جعفر) ، ونصّ جملة من المؤرخين على أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) هو الذي كان قد سمّاه بهذا الاسم، ولقّبه بالصادق. ولُقّب بألقاب عديدة يمثِّل كلّ منها مظهراً من مظاهر شخصيته وهي:

١ . الصادق: لقّبه بذلك جدّه الرسول(صلى الله عليه وآله) ; لأنّه أصدق إنسان في حديثه وكلامه[٦١٥]. وقيل: إنّ المنصور ـ الدوانيقي الذي هو من ألدّ أعدائه ـ هو الذي أضفى عليه هذا اللقب. والسبب في ذلك أنّ أبامسلم الخراساني طلب من الإمام الصادق(عليه السلام) أن يدلّه على قبر جدّه الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام)فامتنع، وأخبره أنّه إنّما يظهر القبر الشريف في أيّام رجل هاشمي يُقال له أبوجعفر المنصور، وأخبر أبومسلم المنصور بذلك في أيّام حكومته وهو في الرصافة ببغداد، ففرح بذلك وقال: هذا هو الصادق[٦١٦].

٢ . الصابر[٦١٧]: لقِّب بذلك لأنّه صبر على المحن الشاقّة والخطوب المريرة التي تجرّعها من خصومه الأُمويين والعباسيين.

٣ . الفاضل:[٦١٨] لقِّب بذلك لأنّه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم ، لا في شؤون الشريعة فحسب ، وإنّما في جميع العلوم ، فهو الفاضل وغيره المفضول.

٤ . الطاهر[٦١٩]: سمّي بذلك لأنّه أطهر إنسان في عمله وسلوكه.

---

٦١٤. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ص ٧٢.

٦١٥. الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم (ليوسف بن حاتم الشامي) ، ص ٦٢٨. وقال السمعاني في أنسابه، ج ٣، ص ٥٠٧ ، الصادق لقب لجعفر الصادق لصدقه في مقاله.

٦١٦. موسوعة الإمام الصادق ، ج١ ، ص ١٦.

٦١٧. مرآة الزمان ، ج ٥، الورقة ١٦٦ من منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين.

٦١٨. المصدر نفسه.

٥ . عمود الشرف[٦٢٠]: لقد كان الإمام(عليه السلام) عمود الشرف، وعنوان الفخر والمجد لجميع المسلمين.

٦ . القائم[٦٢١]: إذ كان قائماً بإحياء دين الله، والذبّ عن شريعة سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله).

٧ . الكافل[٦٢٢]: للفقراء والأيتام والمحرومين، فقد قام بالإنفاق عليهم وإعالتهم.

٨ . المنجي[٦٢٣]: من الضلالة، فقدهدى من التجأ إليه، وأنقذ من اتّصل به.

وكُنّي الإمام الصادق(عليه السلام) بأبي عبدالله وأبي إسماعيل وأبي موسى[٦٢٤].

أوصافه

كان رَبْع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر[٦٢٥] ، جعد[٦٢٦] ، أشم الأنف ، أنزع[٦٢٧] ، رقيق البشرة، له خال أسود[٦٢٨].

تاريخ ولادته

اختلف المؤرّخون في السنة التي وُلد فيها الإمام الصادق(عليه السلام) ، فمن قائل: إنّه وُلد بالمدينة المنوّرة سنة ٨٠هـ [٦٢٩] ، وقال آخرون : إنّه وُلد سنة ٨٣ هـ يوم الجمعة ، وقال ثالث: الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل[٦٣٠]، وقال رابع: إنّه وُلد سنة ٨٦ هـ[٦٣١]. وأمّا وفاته فقد كانت في ٢٥ شوال سنة ١٤٨ هـ .

---

٦١٩. المصدر نفسه.

٦٢٠. سرّ السلسلة العلويّة ، ص ٣٤.

٦٢١. مناقب آل أبي طالب ، ج ٤، ص ٢٨١.

٦٢٢. مناقب آل ابي طالب ، ج ٤، ص ٢٨١.

٦٢٣. المصدر نفسه.

٦٢٤. المصدر نفسه.

٦٢٥. حالك الشعر: أي شديد السواد.

٦٢٦. جعد، من صفات الشعر، إذا كان فيه التواء وقبض.

٦٢٧. الأنزع هو الّذي انحسر شعره عن جانبي جبهته.

٦٢٨. الخال: شامة في البدن، ويغلب على شامة الخدّ.

٦٢٩. تاريخ ابن الوردي، ج ١، ٢٦٦، الاتحاف بحب الاشراف، ص ٥٤، وسر السلسلة العلوية (لأبي نصر البخاري)، ص ٣٤ وينابيع المودة، ص ٤٥٧ وتذكرة الحفّاظ، ج ١، ١٥٧ ونور الأبصار (للشبلنجي)، ص ١٣٢، ووفيات الأعيان، ج ١، ١٩١.

٦٣٠. أصول الكافي ، ج ١، ص ٤٧٢ ومناقب آل أبي طالب، ج ٤، ٢٨٠ وإعلام الورى، ص ٢٧١ وجاء فيه أنّه ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول.

٦٣١. مناقب آل أبي طالب ، ج ٤، ص ٢٠٨.

ذكاؤه المبكّر

كان الإمام الصادق(عليه السلام) آية من آيات الذكاء ; إذ كان يحضر دروس أبيه وهو صبي يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين، وقد فاق بتلقيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء والرواة، ولم تكن بحوثه تقتصر على الفقه. والحديث، وتفسير القرآن الكريم، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم من الفلسفة والطب والكيمياء والنجوم وغيرها، وقد ألمَّ الإمام الصادق(عليه السلام)بها جميعاً.

مراحل حياتـه

ولد الإمام الصادق(عليه السلام) في فترة ازدهار الدولة الأُموية ، التي ابتعدت بالخلافة عن طريقها الحقّ. وعاصر جدّه اثنتي عشرة سنة في المدينة ، كما عاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة، نهل خلالها جميع العلوم والمعارف من أبيه(عليه السلام).

وقد فاق الجميع بسعة إدراكه وشدّة ذكائه ، وشارك أباه محنة الصبر على تولّي الظالمين والتعرّض للبلاء، كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلامية من خلال حلقات الدرس التي أسَّسها في مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله) ; لكي لا تضيع الرسالة وتندرس معالم الدين.

وتمكّن من أن يواصل خلال مدّة إمامته ـ التي استمرّت أربعاً وثلاثين سنة ـ تربية أجيال عديدة من العلماء والفقهاء الصالحين ممّن يتبع نهج أهل البيت(عليهم السلام).

كما عاصر الإمام الصادق(عليه السلام) أيضاً مرحلة انحطاط الدولة الأُموية وأُفولها ، وعاصر كذلك ظهور الدولة العباسية التي استمرت في ممارسة الظلم ضد أهل البيت(عليهم السلام)والتعّدي عليهم.

وتمكّن الإمام الصادق(عليه السلام) ـ في هذه الفترة الحرجة من المعترك السياسي المرير ـ أن يحافظ على كيان الخطّ الشيعي ، ويضمن سلامة وتنمية الجماعة الصالحة التي عمل على تكوينها آباؤه الطاهرون(عليهم السلام).

وتوفّي الإمام الصادق(عليه السلام) بعد عشر سنوات من ملك أبي جعفر المنصور ، ودفن في البقيع مع أبيه الباقر وجدّه السجّاد وعمّه الحسن المجتبى(عليهم السلام).[٦٣٢]

انطباعات عن شخصية الإمام جعفربن محمّد الصادق(عليه السلام)

١ . سأل رجل أبا حنيفة: ما تقول في رجل وقف ماله للإمام، فمن يكون المستحق؟ قال: المستحق جعفر الصادق; لأنّه إمام الحق[٦٣٣].

---

٦٣٢. الإرشاد ، ج ٢، ص ١٨٠ وإعلام الورى، ج ١، ص ٥١٤.

٢ . قال مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي ـ : ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفربن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً[٦٣٤]. كان من عظماء العبّاد، وأكابر الزهّاد ، الذين يخشون الله عزّوجلّ[٦٣٥].

٣ . قال عمروبن المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفربن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيّين[٦٣٦].

٤ . وقف أبوشاكر الديصاني ذات يوم على مجلس أبي عبدالله(عليه السلام) فقال له: إنّك لأحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تُثنى الخناصر، فخبّرنا يا أيّها البحر الزاخر[٦٣٧].

٥ . قال عبدالله بن المقفّع: ترون هذا الخلق ـ وأومأ بيده إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحد أُوجب له اسم الإنسانية إلاّ ذلك الشيخ الجالس ، يعني الصادق(عليه السلام)[٦٣٨].

٦ . قال المنصور العباسي لابن مهاجر: اعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوّة إلاّ فيه محدَّث، وأنّ جعفربن محمّد محدّثنا اليوم[٦٣٩].

وقال أيضاً: إنّه ممّن اصطفاه الله، وكان من السابقين في الخيرات[٦٤٠].

وقال مخاطباً إيّاه: لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تبصِّر من العمى، وتجلو بنورك الطخياء، فنحن نعوم في سحاب قدسك، وطامي بحرك[٦٤١].

وقال أيضاً عنه: سيّد أهل البيت وعالمهم، وبقية الأخيار منهم[٦٤٢].

وقال أيضاً: إنّه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[٦٤٣].

وقال لحاجبه الربيع: وهؤلاء من بني فاطمة لا يجهل حقّهم إلاّ جاهل لاحظّ له في الشريعة[٦٤٤].

وقال أيضاً: هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس في زمانه[٦٤٥].

وقال لإسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس: إنّ جعفراً كان ممّن قال الله فيه: (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**) ، وكان ممّن اصطفى الله، وكان من السابقين في الخيرات[٦٤٦].

---

٦٣٣. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ج ٥، ص ٦٨.

٦٣٤. المناقب ، ج ٢، ص ٣٢٥ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ج ٤، ص ٩.

٦٣٥. الخصال ، ص ١٦٧.

٦٣٦. تهذيب التهذيب ، ٢ ، ١٠٤، وصفة الصفوة ، ٢ ، ٩٤، وكشف الغمة ، ٢٣٢، والمناقب ، ٢ ، ٣٢٦.

٦٣٧. كشف الغمة ، ص ٢٣٠.

٦٣٨. الإمام الصادق (للمظفر) ، ج ١، ص ٢٢٤ ، والإمام الصادق ملهم الكيمياء، ص ١٣٥.

٦٣٩. أصول الكافي ، ج ١، ص ٤٧٥.

٦٤٠. الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ، ج ٥، ص ٧٩.

٦٤١. أئمتنا ، ج ١، ص ٤٨٣.

٦٤٢. أشعّة من حياة الصادق ، ج ٣، ص ٥٠.

٦٤٣. كشف الغمة ، ص ٢٤٠.

٦٤٤. مهج الدعوات ، ص ١٩٨.

٦٤٥. كشف الغمة ، ص ٢٣٦.

٧ . قال كمال الدين محمّدبن طلحة الشافعي: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم(عليهم السلام) ، ذو علوم جمّـة ، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة ، يتّبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره، ويستنتج عجايبه، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسبه نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنّة[٦٤٧].

٨ . قال أبوالفتح محمّدبن عبد الكريم الشهرستاني: جعفربن محمّد الصادق، وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تامّ عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين ، له أسرار العلوم[٦٤٨].

٩ . قال علي بن محمّدبن أحمد المالكي ـ المشهور بابن الصباغ ـ : كان من بين إخوته خليفة أبيه ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده. برز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً.

نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث.

ثمّ قال: مناقب أبي عبدالله جعفر الصادق فاضلة، وصفاته في الشرف كاملة، وشرفه على جبهات الأيّام سائلة ، وأندية المجدّ والعزّ بمفاخره ومآثره آهلة[٦٤٩].

معرفته بجميع اللغات

كان الإمام(عليه السلام) في سنّه المبكرة عارفاً بجميع لغات العالم ; إذ كان يتكلّم مع أهل كلّ لغة كأ نّه واحد منهم. ويؤيد ذلك:

أولاً: روى أبوبصير قائلاً: كنت عند أبي عبدالله(عليه السلام) ، وعنده رجل من أهل خراسان ، وهو يكلّمه بلسان لا أفهمه[٦٥٠]. وتلك اللغة التي كان يتحدّث بها مع الخراساني هي اللغة الفارسية.

ووفد عليه قوم من أهل خراسان، فقال(عليه السلام) لهم: «من جمع مالاً يحرسه عذّبه الله على مقداره». فقالوا له باللغة الفارسية: لا نفهم العربية. فقال(عليه السلام) لهم: «هر كه درم اندوزد جزايش دوزخ باشد»[٦٥١].

ثانياً: روى أبان بن تغلب قائلا: غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أُريد أبا عبدالله ، فلمّا صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم، ولم أرَ قوماً أحسن زيّاً منهم، ولا أحسن سيماءً منهم كأنّ الطير على رؤوسهم، فجعل أبوعبدالله(عليه السلام)يحدّثنا بحديث فخرجنا من عنده، وقد فهّم خمسة عشر نفراً، متفرّقي

---

٦٤٦. تأريخ اليعقوبي ، ج ٣، ص ١١٧ ، والآية ٣٢ من سورة فاطر.

٦٤٧. مطالب السؤول ، ج ٢، ص ٥٥.

٦٤٨. الملل والنحل بهامش الفصل في الملل (لابن حزم) ، ج ١، ص ٢٢٤.

٦٤٩. الفصول المهمّة ، ص ٢١٦.

٦٥٠. الاختصاص ، ص ١٨٣.

٦٥١. الإمام الصادق كما عرّفه علماء الغرب ، ص ٤٦ ـ ٤٧.

الألسن، منهم العربي، والفارسي، والنبطي، والحبشي، والصقلبي، فقال العربي: حدّثنا بالعربية، وقال الفارسي: حدّثنا بالفارسية، وقال الحبشي: حدثنا بالحبشية، وقال الصقلبي: حدّثنا بالصقلبية ، وأخبر(عليه السلام) بعض أصحابه بأنّ الحديث واحد، وقد فسّره لكلّ قوم بلغتهم[٦٥٢].

ثالثاً: دار حديث بين الإمام(عليه السلام) وبين عمّار الساباطي باللغة النبطية فبهر عمّار وراح يقول: ما رأيت نبطياً أفصح منك بالنبطية. فقال(عليه السلام) له: **«يا عمّار وبكل لسان»**[٦٥٣].

هيبتـه ووقـاره

لقد كانت الوجوه تعنو لهيبة الإمام الصادق(عليه السلام) ووقاره، فقد حاكى هيبة الأنبياء(عليهم السلام)، وجلالة الأوصياء(عليهم السلام)، وما رآه أحد إلاّ هابه ورأى سيماء الإمامة عليه، وقداسة الأولياء تحيط به. وكان ابن مسكان ـ وهو من خيار الشيعة وثقاتها ـ يسمع ما يحتاج إليه من أُمور دينه من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه[٦٥٤] ; لما كان يدخل عليه من هيبته.

قبس من فضائل الإمام الصادق(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

١ ـ سعة علمه

شَقَّ الإمام الصادق(عليه السلام) عُباب العلوم ببصيرته الثاقبة حتى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: **«سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدّثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي»**.[٦٥٥] ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جدّه الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) .

وأدلى(عليه السلام) بحديث أعرب فيه عن سعة علومه، إذ قال(عليه السلام) : «والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّوجلّ: فيه تبيان كلّ شيء»[٦٥٦].

٢ ـ كرمه وجوده

أ . دخل عليه المفضّل بن رمانة ـ وكان من ثقات أصحابه ورواته ـ فشكا إليه ضعف حاله وسأله الدعاء، فقال(عليه السلام) لجاريته: «هاتِ الكيس الذي وصلنا به أبوجعفر» فجاءته به، فقال له: «هذا كيس

---

٦٥٢. الإمام الصادق كما عرّفه علماء الغرب ، ص ٤٦ ـ ٤٧.

٦٥٣. الاختصاص ، ص ٢٨٣ و٢٠٣.

٦٥٤. المصدر نفسه.

٦٥٥. تأريخ الإسلام (للذهبي) ، ج ٦، ص ٤٥ وتذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ١٥٧ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٥، ص ٧٩.

٦٥٦. أصول الكافي ، ج ١، ص ٢٢٩.

فيه أربعمائة دينار فاستعن به» ، فقال المفضّل: لا والله ـ جُعلت فداك ـ ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء، فقال(عليه السلام) : «لا أدَعُ الدعاءَ لك»[٦٥٧].

ب . سأله فقير فأعطاه أربعمائة درهم، فأخذها الفقير وذهب شاكراً، فقال(عليه السلام)لخادمه: «ارجعه» فقال الخادم: سُئِلتَ فَأَعْطَيْتَ، فماذا بعد العطاء؟ قال(عليه السلام) : «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): خير الصدقة ماأبقت غنى، وإنّا لم نغنه، فخذ هذا الخاتم فاعطه فقد أُعطيتُ فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمة»[٦٥٨].

ج . ومن جوده وسخائه وحبّه للبرّ والمعروف أنّه كانت له ضَيْعة قرب المدينة تسمّى عين زياد، فيها نخل كثير، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها الثلم، ليدخل الناس، ويأكلوا من التمر[٦٥٩]. وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء كالشيخ والعجوز والمريض لكلّ واحد منهم بمدّ من التمر، وما بقي منه يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقّين، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار، فكان ينفق ثلاثة آلاف منه، ويبقي له ألفاً[٦٦٠].

د . وكان يقوم في غَلَس الليل البهيم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسّمه فيهم، وهم لا يعرفونه، وما عرفوه حتى مضى إلى الله تعالى ، فافتقدوا تلك الصلات فعلموا أنّها منه[٦٦١].

ومن صلاته السرّية ما رواه إسماعيل بن جابر قائلا: أعطاني أبوعبدالله(عليه السلام)خمسين ديناراً في صُرّة، وقال لي: ادفعها إلى شخص من بني هاشم، ولا تعلمه أنّي أعطيتك شيئاً، فأتيته ودفعتها إليه ، فقال لي: من أين هذه؟ فأخبرته أنّها من شخص لا يقبل أن تعرفه. فقال العلوي: ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال، فنعيش بها إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر[٦٦٢]بدرهم مع كثرة ماله[٦٦٣].

هـ . ومن بوادر كرمه وسخائه حبّه للضيوف وتكريمه لهم، فكان يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه، وكان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه وأوفره، ويكرّر عليهم القول وقت الأكل: «أشدّكم حبّاً لنا أكثركم أكلاً عندنا...»[٦٦٤].

---

٦٥٧. الكشّي ، ص ١٢١.
٦٥٨. الإمام جعفر الصادق (لأحمد مغنية) ، ص ٤٧.
٦٥٩. المصدر نفسه.
٦٦٠. المصدر نفسه.
٦٦١. المصدر نفسه.
٦٦٢. المراد هنا الإمام جعفر الصادق(عليه السلام).
٦٦٣. مجموعة ورّام ، ج ٢، ص ٨٢.
٦٦٤. حياة الإمام الصادق (للقرشي) ، ج ١، ص ٦٥.

٣ . تواضعه

لقد كان شديد التواضع وهو سيّد المسلمين. وكان من تواضعه أنّه يجلس على الحصير[٦٦٥]، ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، وكان ينكر التكبّر ويشجب المتكبّرين ، وقد قال ذات مرّة لرجل من إحدى القبائل: «مَن سيّد هذه القبيلة؟» فبادر الرجل قائلا: أنا. فأنكر الإمام(عليه السلام)ذلك وقال له: «لو كنت سيّدهم ما قلت: أنا...»[٦٦٦].

ومن تواضعه ونكرانه للذات أن رجلاً من السواد كان يلازمه، فافتقده فسأل عنه، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه: إنّه نبطي...

فردّ عليه الإمام(عليه السلام) قائلاً: «**أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون...**» فاستحيى الرجل[٦٦٧].

٤ . سمو أخلاقه

لقد ملك الإمام(عليه السلام) القلوبَ بسمّو أخلاقه الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله).

وقد روي أنّ رجلاً من الحجّاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتّش عنه ، فرأى الإمام الصادق(عليه السلام) يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به، ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت هميانى...؟

فقال له الإمام بعطف ورفق: «ما كان فيه؟» قال: ألف دينار. فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه ، فعاد إلى الإمام معتذراً منه ومعه المال ، فأبى الإمام قبوله وقال له: «**شيء خرج من يدي فلايعود إليّ**» ، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله[٦٦٨].

وقال(عليه السلام): «**إنّا أهل بيت ، مروءتنا العفو عمّن ظلمنا**»[٦٦٩].

وكان يفيض بأخلاقه الندّية على حضّار مجلسه حتى قال رجل من العامة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته[٦٧٠].

---

٦٦٥. النجوم الزاهرة ، ج ٥، ص ١٧٦.

٦٦٦. الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٣٢.

٦٦٧. موسوعة الإمام الصادق ، ج ١، ص ٦٦.

٦٦٨. الإمام جعفر الصادق ، ص ٤٨.

٦٦٩. الخصال ، ص ١١.

٦٧٠. أصول الكافي ، ج ٢، ص ٦٥٧.

٥ . صبره

لقد تحلّى الإمام(عليه السلام) بصفة الصبر وعدم الجزع على ما لاقاه من عظيم المحن والخطوب. ومن صبره أنّه لما توفّي ولده إسماعيل، وكان ملء العين في أدبه وعلمه وفضله، دعا(عليه السلام) جمعاً من أصحابه فقدّم لهم مائدة جعل فيها أفخر الأطعمة، وأطيب الألوان، ولمّا فرغوا من تناول الطعام قال بعض أصحابه له: يا سيدي لأرى عليك أثراً من آثار الحزن على ولدِك؟ فأجابه(عليه السلام): «وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاء في خبر أصدق الصادقين ـ يعني جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ إلى أصحابه إنّي ميت وإيّاكم»[٦٧١].

٦ . إقباله على العبادة

أمّا إقباله على عبادة الله تعالى وطاعته فقد كان من أعبد الناس لله في عصره، وقد أخلص في طاعته لله أشد الإخلاص، وإليك صورة موجزة من عباداته:

أ ـ صلاته

كان(عليه السلام) إذا أراد التوجه إلى الصلاة اصْفَرَّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبة وخشية منه، وقد أُثرت عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجّهه إلى الصلاة ، وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته[٦٧٢].

ب ـ صومه

لقد حثّ الإمام الصادق(عليه السلام) الصائم على التحلّي بالأخلاق والآداب العالية. قال(عليه السلام): **«وإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك من القبيح والحرام، ودع المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء...»**[٦٧٣].

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) صائماً في أغلب أيامه تقّرباً إلى الله تعالى. أمّا شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية المهمّة عند رؤيته لهلاله، كما أُثرت عنه بعض الأدعية في أيّامه وفي ليالي القدر وفي يوم عيد الأضحى[٦٧٤].

ج ـ حجّه

وقد حجّ الإمام الصادق(عليه السلام) مرّات متعدّدة ، كما التقى كثيراً من الحجّاج المسلمين، وكان المعلِّم والمرشد لهم على مسائل الحج. فقد جهد هو وأبوه الإمام محمّد الباقر(عليه السلام)على بيان أحكام الحج، وعنهما أخذ الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة ، ولولاهما لما عرفت مسائل الحجّ وأحكامه.

---

٦٧١. الإمام جعفر الصادق ، ص ٤٩.

٦٧٢. راجع الصحيفة الصادقيّة.

٦٧٣. مجموعة ورّام ، ج ٢، ص ٨٥.

٦٧٤. راجعها في الصحيفة الصادقيّة.

وكان الإمام الصادق(عليه السلام) يؤدّي بخضوع وخشوع مراسيم الحجّ من الطواف والوقوف في عرفات ومنى.

روى بكربن محمّد الأزدي قائلا: خرجت أطوف وإلى جنبي الإمام أبوعبدالله الصادق(عليه السلام) حتى فرغ من طوافه ، ثم مال فصلّى ركعتين بين ركن البيت والحجر، وسمعته يقول في أثناء سجوده: «**سجد وجهي لك تعبّداً ورقّاً، لا إله إلاّ أنت حقّاً حقّاً، الأوّل قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وها أنا ذا بين يديك، ناصيتي بيدك ، فاغفر لي ، إنّه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفر لي، فإني مقرٌّ بذنوبي على نفسي، ولا يدفع الذنب العظيم غيرك...**».

ثم رفع رأسه الشريف ووجهه كأنّما غُمّس في الماء من كثرة البكاء[٦٧٥].

وروى حمّادبن عثمان فقال: رأيت أبا عبدالله جعفربن محمّد بالموقف رافعاً يده إلى السماء... وكان في موقف النبي(صلى الله عليه وآله)وظاهر كفّيه إلى السماء[٦٧٦].

وكان(عليه السلام) إذا خرج من الكعبة المقدّسة يقول: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم لاتجهد بلاءنا، ولاتشمت بنا أعداءنا، فإنّك أنت الضارّ النافع**»[٦٧٧].

روى حفص بن عمر ، مؤذّن علي بن يقطين ، أنّه قال: كنّا نروي أنّه يقف للناس في الحج سنة ١٤٠هـ خير الناس، فحججت في تلك السنة، فإذا إسماعيل بن عبدالله بن العباس واقف ، فداخلنا من ذلك غمّ شديد، فلم نلبث، وإذا بالإمام أبي عبدالله(عليه السلام)واقف على بغلة له، فرجعت أُبشّر أصحابي، وقلت: هذا خير الناس الذي كنا نرويه[٦٧٨].

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحج ; فقد روي أنّ سفيان الثوري قال: والله رأيت جعفربن محمّد(عليه السلام) ولم أرَ حاجّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرُّع والابتهال منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدعاء في الموقف[٦٧٩].

---

٦٧٥. قرب الاسناد ، ص ٢٨، ٣١، ٣، ٩٨.

٦٧٦. المصدر نفسه.

٦٧٧. المصدر نفسه.

٦٧٨. المصدر نفسه.

٦٧٩. موسوعة الإمام الصادق(عليه السلام) ، ج ١، ص ٧١، عن ضياء العالمين.

من تراث الإمام الصادق(عليه السلام)

١ . من رسالته(عليه السلام) **إلى شيعته وأصحابه**[٦٨٠]

«أمّا بعد فسلوا ربَّكم العافية ، وعليكم بالدَّعَة والوقار[٦٨١] **والسَّكينة والحياء والتنزُّه عمّا تنزَّه عنه الصالحون منكم.**

وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم منهم ، وإيّاكم ومماظَّتهم[٦٨٢]**.**

أكثِروا من الدُّعاء ; فإنَّ الله يُحِبُّ من عبادِه الَّذين يدعُونهُ ، وقد وعدَ عِباده المؤمنين الاستجابة ، والله مصيّرٌ دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عَمَلاً يزيدُهم به في الجنَّة. وأكثروا ذِكر الله ما استطعتُمْ في كُلِّ ساعَة من ساعات اللّيل والنَّهارِ; فإنَّ الله أمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكر لَهُ، والله ذاكرٌ من ذَكَرَهُ من المؤمنين; إنّ الله لم يذكره أحدٌ من عباده المؤمنين إلاّ ذكرهُ بخير.

وعليكم بالمحافظة على الصَّلوات والصَّلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين، كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم.

إيّاكم والعَظَمة والكِبر ; فإنَّ الكِبر رداءُ الله، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذلّه يوم القيامة.

إيّاكم أن يبغي بعضكم على بعض ; فإنّها ليست من خصال الصالحين ; فإنّه من بغى صيَّر الله بغيَهُ على نفسه ، وصارت نُصرَة الله لمن بُغيَ عليه ، ومن نصرَهُ الله غلب وأصابَ الظَّفر من الله.

إيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً ; فإنَّ الكفر أصلهُ الحسد[٦٨٣]**.**

إيّاكم أن تُعينوا على مُسلِم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجابُ له فيكم ; فإنَّ أبانا رسول الله٩ يقول: إنَّ دعوةَ المسلِم المظلوم مستجابةٌ.

إيّاكم أن تشرَهَ نُفوسكم[٦٨٤] **إلى شيء ممّا حرَّم الله عليكم ; فإنّه من انتهكَ ما حَرَّم الله عليهِ هاهنا في الدنيا حال الله بينهُ وبين الجنَّة ونعيمها ولذَّتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنّة أبدالآبدين».**

---

٦٨٠. كتبها إلى أصحابه ، وأمرهم بمدارستها ، والنظر فيها ، وتعاهدها والعمل بها ، و كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم ، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

٦٨١. الدعة: الخفض والطمأنينة.

٦٨٢. المجاملة: المعاملة بالجميل ، الضيم: الظلم، المماظة: شدّة المنازعة والمخاصمة مع طول اللزوم.

٦٨٣. لأنّ الشيطان أوّل من حسد ، فكفر وأخرجه الله من الجنّة.

٢ . من كلامه(عليه السلام) **الذي سُمّي بنثر الدُّرَر**

«الاستقصاء فُرقةٌ. الانتقادُ عداوَةٌ. قِلَّةُ الصَّبْرِ فضيحةٌ. إفشاءُ السِّرّ سُقُوطٌ. السَّخاءُ فِطنَةٌ. اللّومُ تغافُلٌ.

ثلاثةٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِنَّ نالَ من الدُّنيا والآخرَة بُغيَتَهُ[٦٨٥]: مَنِ اعْتَصَم باللهِ ، وَرَضيَ بِقَضاءِ اللهِ ، وأحْسَنَ الظَّنَّ بالله.

ثلاثةٌ من فرَّط فيهنَّ كان محرُوماً: استِماحَةُ جواد ، ومصاحَبَةُ عالِم ، واستِمالةُ سُلطان.

ثلاثَةٌ ثُورِثُ المحَبَّةَ: الدِّينُ، والتَّواضعُ، والبَذْلُ.

مَنْ بَرِىء من ثلاثة نالَ ثلاثةً: مَنْ بَرِىء من الشَّرّ نالَ العِزَّ، ومَن بَرِىءَ من الكِبر نالَ الكرامَةَ، ومَنْ بَرِىءَ من البُخلِ نالَ الشَّرَفَ.

ثلاثةٌ مكسَبَةٌ للبغضاء: النِّفاقُ، والظُّلمُ، والعُجْبُ.

ومن لم تكن فيه خصلةٌ من ثلاثة لم يعدّ نبيلاً[٦٨٦]: مَنْ لم يكن له عقلٌ يزِينُهُ، أو جِدَةٌ[٦٨٧] تُغنيه، أو عشيرةٌ تعضدُهُ.

ثلاثةٌ تُزري بالمرء[٦٨٨]: الحسد ، والنَّميمة، والطَّيْشُ.

ثلاثةٌ لا تُعرف إلاّ في ثلاثة مواطِنَ: لا يُعرف الحليمُ إلاّ عِندَ الغَضب، ولا الشجاع إلاّ عند الحرب ، ولا أخٌ إلاّ عند الحاجة.

ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافِقٌ وإن صام وصلّى: مَنْ إذا حدَّث كَذَب، وَإذا وَعَدَ أخْلَف، وإذا ائتُمنَ خانَ.

إحذر من الناس ثلاثة: الخائن، والظَّلوم، والنّمام ; لأنَّ من خانَ لك خانَكَ، ومن ظَلَمَ لك سَيَظلِمُكَ، وَمَنْ نَمَّ إليكَ سَيَنُمُّ عليكَ.

لا يكونُ الأمين أميناً حتّى يُؤتَمن على ثلاثة فيُؤَدِّيها: على الأموال والأسرار والفروج. وإن حفظ اثنين وضيّع واحدةً فليس بأمين.

لا تُشاوِر أحمق، ولا تستعِن بكَذّاب، ولا تَثِق بِمودَّةِ ملول ; فإنَّ الكذّاب يُقَرِّبُ لكَ البعيدَ ويبعِّد لكَ القريب، والأحمَق يَجْهَدُ لكَ نفسهُ ولا يَبلُغُ ما تُريد، والملولَ أوثَق ما كُنت به خَذَلكَ وأوصلَ ما كنتَ لَهُ قطَعَكَ.

ثلاثة من كُنَّ فيه كان سيِّداً : كظمُ الغيظ، والعفو عن المُسيء، والصِّلةُ بالنَّفسِ والمالِ.

---

٦٨٤. شره فلان ـ كفرح ـ غلب حرصه واشتدّ ميله.

٦٨٥. البغية: ما يرغب فيه ويطلب أي المطلوب.

٦٨٦. النبيل: ذوالنجابة.

٦٨٧. الجدة ـ مصدر وجد يجد، كعدة ـ : الغنى والقدرة.

٦٨٨. أزرى به: عابه ووضعه من حقّه. والطيش: النزق والخفّة.

ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكرُ، والنَّكْثُ، والبغيُ ; وذلك قول الله: (**ولا يَحِيقُ المكرُ السَّيءُ إلاّ بأهْلِه**)[٦٨٩] ، (**فانْظُرْ كيف كانَ عاقِبةُ مكرِهِم أ نّا دَمَّرناهُم وقومَهُم أجمعين**)[٦٩٠] ، وقال جلّ وعزّ: (**فمَنْ نكثَ فإنّما ينكُثُ على نفسه**)[٦٩١] ، وقال: (**يا أيُّها النّاسُ إنَّما بَغيُكُم على أنفُسِكُم متاعَ الحياة الدُّنيا**)[٦٩٢].

ثلاثٌ يَحْجُزْنَ المرءَ عن طلب المعالي: قصرُ الهمَّةِ، وقِلَّة الحِيلَةِ، وضعفُ الرأي.

مَنْ رُزِقَ ثلاثاً نال ثلاثاً ـ وهو الغنى الأكبر ـ : القناعةُ بما أُعطي، واليأس ممّا في أيدي الناس، وترك الفضول.

لا يكون الجوادُ جواداً إلاّ بثلاثة: يكونُ سخيّاً بمالِه على حالِ اليُسر والعُسْر، وأنْ يَبْذُلهُ للمُستحِقّ، ويرى أنَّ الّذي أخذه من شُكر الّذي أسدى إليه[٦٩٣] أكثرُ ممّا أعطاهُ.

ثلاثةٌ لايُعذَرُ المرء فيها: مُشاوَرة ناصح، ومداراةُ حاسِد ، والتَّحبُّبُ إلى الناس.

لايُعَدُّ العاقِل عاقِلاً حتّى يستكْمِلَ ثلاثاً: إعطاء الحقّ منْ نفْسه على حالِ الرّضا والغضب، وأن يَرْضى لِلنّاسِ مايرضى لنفسهِ، واستعمال الحِلْم عند العثرةِ.

لاتدومُ النِّعم إلاّ بعد ثلاث[٦٩٤]: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شُكرها، والتّعب فيها.

ثلاثٌ يجبُ على كل إنسان تجنُّبها: مُقارنة الأشرارِ، ومحادثَةُ النساء، ومجالسة أهل البِدع.

ثلاثةٌ تدلُّ على كَرَمِ المرءِ: حُسْنُ الخُلْقِ، وكظم الغيظِ، وغضُّ الطَّرفِ.

مَنْ وَثِقَ بثَلاثَة كان مغروراً: من صدّق بما لا يكون، وركَنَ إلى من لا يثِقُ به، وطمعَ في ما لا يملِكُ.

ثلاثة من استعملها أفسد دينهُ ودُنياهُ: مَن [أ] ساءَ ظنَّهُ، وأمكَنَ مِن سَمعِه، وأعطى قيادهُ حَليلَتَه[٦٩٥].

أفضل الملوكِ من أُعطي ثلاثَ خصال: الرَّأفةُ، والجود، والعَدل.

وليس يُحَبُّ للملوكِ أنْ يُفَرّطوا في ثلاث[٦٩٦]: في حِفظ الثُّغور، وتَفقُّدِ المظالِم، واختيار الصالحين لأعمالِهم.

ثلاثُ خِلال[٦٩٧] تجِبُ للمُلُوكِ على أصحابهم ورعيّتِهم: الطاعةُ لهم، والنَّصيحةُ لهم في المغيب والمشهَدِ، والدُّعاءُ بالنَّصرِ والصَّلاح.

ثلاثةٌ تجِبُ على السّلطانِ للخاصَّة والعامَّةِ: مُكافَأةُ الُمحْسِن بالإحسان ليزدادوا رغبةً فيه، وتغمُّدُ ذنوبِ المُسيءِ ليتُوبَ ويرجِعَ عَن غيّه[٦٩٨]، وتألُّفِهِم جميعاً بالإحسان والإنصاف.

---

٦٨٩. فاطر: ٤٣.

٦٩٠. النمل: ٥١.

٦٩١. الفتح: ١٠.

٦٩٢. يونس: ٢٣.

٦٩٣. في بعض النسخ: «يسدى إليه».

٦٩٤. في بعض النسخ «إلا بثلاث».

٦٩٥. الحليلة: الزوجة.

٦٩٦. يفرطوا فيه: يقصروا وأظهروا العجز فيه.

٦٩٧. الخِلال ـ بالكسر ـ : جمع خلّة. و ـ بالفتح ـ : الخصلة.

ثلاثةُ أشياءَ مَنْ احتقرها من الملوكِ وأَهْمَلَها تفاقَمَتْ عَلَيه: خامِلٌ قَليلُ الفَضلِ شَذَّ عن الجماعةِ[٦٩٩]، وداعِيةٌ إلى بِدعَة جَعلَ جُنَّتَهُ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكرِ، وأهل بلد جعلوا لِإنفسهم رئيساً يمنَعُ السلطان من إقامةِ الحكمِ فيهم.

من غرر حكم الإمام الصادق (عليه السلام)

«لا يَصلُحُ مَنْ لا يَعقِل[٧٠٠]، ولا يَعقِلُ من لا يَعْلَمُ . وسوفَ ينجُبُ من يفهَمُ، ويظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ. والعِلمُ جُنَّةٌ ، والصِّدْقُ عِزٌّ ، والجَهْلُ ذُلٌّ ، والفَهْمُ مَجْدٌ.[٧٠١] . والجود نجحٌ ، وحسنُ الخلقِ مجلَبةٌ للمودَّةِ.

والعالِمُ بِزمانِه لا تهجُم عليه اللوابس[٧٠٢]. والحَزمُ مِشكاةُ الظَّن[٧٠٣] ، والله وليّ من عرَفَهُ وعدُوٌّ من تكَلَّفُهُ ، والعاقِل غفورٌ ، والجاهِلُ خَتُورٌ[٧٠٤].

وإن شئت أن تُكرَم فلِنْ. وإن شِئت أن تُهان فاخْشُن. ومن كَرُمَ أصله لانَ قلبُه. ومن خشُنَ عنصرُه غلُظَ كَبدُه[٧٠٥]. ومن فرَّطَ تورَّط[٧٠٦]. ومن خاف العاقِبةَ تثبَّتَ فيمالايعلم. ومن هجمَ على أمر بغيرعلم جدعَ أنفَ نفسه[٧٠٧]. ومن لم يعلم لم يَفهم ، ومن لم يفهم لم يسلَم ، ومن لم يسلَم لم يُكرم ، ومن لم يَكرُم تهضَّم ، ومن تهضَّمَ كان ألوَمَ[٧٠٨] ، ومن كان كذلك كان أحرى أن يندمَ.

إنْ قدرتَ أن لا تُعرف فافعل ، وما عليك إذا لم يثنِ الناسُ عليك ، وما عليك أن تكون مذموماً عند النّاس إذا كنتَ عند اللهِ محموداً.

إنَّ أميرالمؤمنينَ عليهِ السَّلام كان يقولُ: لا خيرَ في الحياةِ إلاّ لِاَحدِ رَجُلَين: رجلٌ يزدادُ كلَّ يوم فيها إحساناً ، ورجُلٌ يتدارَكُ منيَّتهُ بالتوبة[٧٠٩].

إن قدرتَ أن لا تخرجَ من بيتِك فافعل ، وإنَّ عليكَ في خُروجِك أن لا تغتابَ ولا تكذِبَ ولا تحسُد ولا ترائي ولا تتصنَّع ولا تداهِن.

صومَعَةُ المسلِم بيتُه ، يحبس فيه نفسَه وبصره ولسانَهُ وفرجهُ.

إنَّ من عرفَ نِعْمَةَ الله بقلبِه استوجَب المزيد من الله قبل أن يُظهِر شُكرَها على لسانه».

---

٦٩٨. في بعض النسخ: «عن عتبه».

٦٩٩. وتفاقم الأمر: عظم ولم يجر على استواء. والخامل: الساقط الّذي لا نباهة له. وشذّ عنهم: أي انفرد واعتزل.

٧٠٠. رواها الكليني في الكافي، ج ١، ص ٢٦ وفيه: «لا يفلح من لا يعقل».

٧٠١. المجد: العزّ والرفعة ، والنجح: الفوز والظفر.

٧٠٢. اللبس ـ بالفتح ـ : الشبهة، أي لا تدخل عليه الشبهات.

٧٠٣. المشكاة: كوّة غير نافذة وأيضاً: ما يوضع فيها المصباح. وفي الكافي: «والحزم مساءة الظنّ» والمساءة: مصدر ميمي.

٧٠٤. ختر ـ كضرب ونصر ـ ختوراً: خبث وسد. والختر: الغدر والخديعة.

٧٠٥. العنصر: الأصل. وغلظ كبده: أي قسا قلبه.

٧٠٦. أي من قصّر في طلب الحقّ وفعل الطاعات وأوقع نفسه في ورطات المهالك.

٧٠٧. أي ذلّ نفسه.

٧٠٨. تهضّم من باب التفعّل. وفي بعض النسخ [بهضم] في الموضعين أي يُظلَم ويُغضب.

٧٠٩. في بعض نسخ الكافي: «سيئته بالتوبة».

ثمّ قال(عليه السلام): «كم من مغرور بما أنعم الله عليه. وكم من مستدرج بسترِ الله عليه. وكم من مفتون بثناءِ الناس عليه. إنّي لأرجو النجاة لمن عرفَ حقّاً من هذهِ الأُمَّةِ إلاّ [لـ] أحَدِ ثلاثة: صاحِب سلطان جائر ، وصاحِب هوى ، والفاسِق المُعلِن.

كُن ذنباً ولا تكن رأساً. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من خافَ كَلَّ لِسانُهُ»[٧١٠].

٧١٠. تحف العقول ، ص ٣٥٧.

الفصل التاسع

كاظم الغيظ موسى بن جعفر(عليهما السلام)

النسب المضيء

الإمام الكاظم(عليه السلام) سابع أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، الكبير القدر ، العظيم الشأن، الجادّ في العبادة ، المشهور بالكرامات، الكاظم الغيظ ، العافي عن الناس، العبد الصالح وباب الحوائج إلى الله.

أبوه جعفربن محمّد الصادق مفخرة الإنسانية على مرّ العصور وعبر الأجيال ; اذ لم تسمع الدنيا بمثله فضلاً ونُبلاً وعلماً وكمالاً.

أُمه حميدة التي خصّها الله بالفضل، وعناها بالشرف ، فصارت وعاءً للإمامة والكرامة ، وكانت من أعز نساء أبيه الصادق وأحبهن إليه ، وآثرهن عنده.

لقد كانت السيدة حميدة تعامل في بيتها معاملة كريمة، فكانت موضع عناية وتقدير عند جميع العلويات، كما أنّ الإمام الصادق(عليه السلام) كان يغدق عليها بمعروفه، وقد رأى فيها وفور العقل، وحسن الإيمان، وأثنى عليها ثناءً عاطراً اذ قال عنها:

«حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى أُدّيت إليّ ، كرامة من الله وللحجّة من بعدي»[٧١١].

الوليد المبارك

حمل الإمام زوجته حميدة، إلى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج، ولدى رجوعهم أحسّت حميدة بالطلق ـ عند الابواء[٧١٢] ـ فأخبرت الإمام بالأمر ; كما عهد إليها أن لا تسبقه بشأن وليده.

وكان أبوعبدالله يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه، فقام مبادراً إليها ، ولم يلبث قليلاً حتى وضعت حميدة سيّداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

تناول الإمام أبوعبدالله(عليه السلام) وليده ، فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية ، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

---

٧١١. بحار الأنوار ، ج ٤٨، ص ٦ وأصول الكافي، ج ١، ص ٤٧٧.

٧١٢. الأبواء: بالفتح ثمّ السكون، وواو وألف ممدودة، قرية من أعمال الفرع بالمدينة، وبها قبر الزاكية آمنة بنت وهب أمّ النبيّ العظيم(صلى الله عليه وآله) معجم البلدان، ج ١، ص ٩٢.

وعاد الإمام إلى أصحابه، وقد علت على ثغره ابتسامة ، فبادره أصحابه قائلين: أسرّك الله، وجعلنا فداك، يا سيّدنا ، ما فعلت حميدة؟

فبشّرهم بمولوده المبارك، وعرّفهم عظيم أمره قائلاً: «**قد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله، فدونكم، فوالله هو صاحبكم**»[٧١٣].

وكانت ولادته(عليه السلام) في سنة ١٢٨ هـ[٧١٤] ، وقيل سنة ١٢٩ هـ[٧١٥].

وقطع الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) شطراً من طفولته بحفاوة وتكريم من أبيه، إذ كان يغدق عليه بعطفه المستفيض، وجماهير المسلمين تقابله بالاحترام أيضاً، وقد قدّمه الإمام الصادق(عليه السلام) على بقيّة ولده، وتكلّم الإمام موسى وهو طفل بكلام أثار إعجاب أبيه ، فاندفع أبوه قائلاً:

«**الحمد لله الذي جعلك خَلَفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء**»[٧١٦].

ملامحه

كان أسمر شديد السمرة[٧١٧]، ربع القامة، كث اللحية[٧١٨] ، ووصفه شقيق البلخي فقال: كان حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف الجسم.

وحاكى الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في هيبته هيبة الأنبياء(عليهم السلام)، وبدت في ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه(عليهم السلام)، فما رآه أحد إلاّ هابه وأكبره. وكان نقش خاتمه: «**الملك لله وحده**»[٧١٩].

كُناه وألقابه

كُنّي الإمام(عليه السلام) بأبي الحسن الأوّل، وأبي الحسن الماضي، وأبي إبراهيم، وأبي علي، وأبي إسماعيل.

ولُقِب بـ :

١ ـ الصابر; لأنّه صبر على الآلام والخطوب التي تلقّاها من حكّام الجور ، الذين قابلوه بجميع ألوان الإساءة والمكروه.

---

٧١٣. بحار الأنوار ، ج ٤٨، ص ٢.

٧١٤. تهذيب التهذيب ، ج ١٠، ص ٣٤ والمناقب، ج ٤، ص ٣٢٣.

٧١٥. أعيان الشيعة ، ج ٤، ص ٣ وعن تحفة الأزهار، أنّه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة ١٢٧هـ ، وعن بحر الأنساب أنّه ولد يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر.

٧١٦. حياة الإمام موسى بن جعفر «للقرشي»، ج ١، ص ٤٧ عن بحارالأنوار.

٧١٧. أخبار الدول ، ص ١١٢. عمدة الطالب ، ص ١٨٥ والنفحة العنبريّة، ص ١٥ وزاد فيه أنه كان رابط الجأش واسع العطاء.

٧١٨. أعيان الشيعة ، ج ٤، ص ٩.

٧١٩. أخبار الدول ، ص ١١٢.

٢ ـ الزاهر; لأنّه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثّل به خلق جدّه الرسول(صلى الله عليه وآله).

٣ ـ العبد الصالح: ولقب به ; لعبادته واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته على مرّ العصور والأجيال ، وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث .

٤ ـ السيّد; لأنّه من سادات المسلمين، وإمام من أئمّتهم.

٥ ـ الوفي; فقد كان أوفى إنسان في عصره، وقد برّ بأعدائه الحاقدين عليه ، فضلا عن برّه بإخوانه وشيعته.

٦ ـ الأمين; إذ كان أميناً على شؤون الدين وأحكامه، وأميناً على أُمور المسلمين ، وقد حاز هذا اللقب كما حازه جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) من قبل، ونال به ثقة الناس جميعاً.

٧ ـ الكاظم; وإنّما لقّب بذلك ; لكظمه الغيظ وحلمه أمام الخطواب وصموده في المصائب التي جرت عليه حتى قضى شهيداً مسموماً وهو في ظلمات السجون، لم يُبدِ لأحد آلامه وأشجانه ، بل قابل كل ذلك بالشكر لله والثناء عليه. قال ابن الأثير: إنّه عرف بهذا اللقب ; لصبره، ودماثة خلقه، ومقابلته الشر بالإحسان[٧٢٠].

٨ ـ ذو النفس الزكية ; وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوّث بمآثم الحياة ، ولا بأقذارها حتى سمت وانقطعت عن النظير.

٩ ـ باب الحوائج: وهذا أكثر ألقابه ذكراً، وأشهرها انتشاراً، فقد اشتهر بين العامّ والخاصّ أنّه ما قصده مكروب أو حزين إلاّ فرّج الله آلامه وأحزانه، وما استجار أحد بضريحه المقدّس إلاّ قضيت حوائجه، وقد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبوعلي الخلاّل يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أُحبّ[٧٢١].

وقال الشافعي: قبر موسى الكاظم الترياق المجرّب[٧٢٢].

مراحل حياته

١ . ولد الإمام الكاظم(عليه السلام) في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأُموية ، ونشأ وشبّ مع نشوء الدولة العباسية ، وعاصرها وهي في أوج قوّتها وازدهارها ، في مرحلة اتّسع الانفتاح فيها على الثقافات

---

٧٢٠. مختصر تأريخ العرب ، ص ٢٠٩.

٧٢١. تأريخ بغداد ، ج ١، ص ١٢٠.

٧٢٢. تحفة العالم ، ج ٢، ص ٢٠. لقد اعتقد أغلب المسلمين أن الله يكشف البلاء، ويدفع الضرّ بالالتجاء إلى ضريح الإمام(عليه السلام). وروى الخطيب البغدادي قصّة كان فيها شاهد عيان فقد رأى امرأة مذهولة قد فقدت رشدها، وهامت في تيار من الهواجس والهموم ; لأنّها أُخبرت أنّ ولدها قد ارتكب جريمة، وألقت عليه السلطة المحلية القبض وأودعته السجن، فأخذت تهرول نحو ضريح الإمام مستجيرة به فرآها بعض الأوغاد ممّن لا يؤمن بالإمام ، فقال لها: إلى أين؟ فقالت: إلى موسى بن جعفر، فإنّه قد حُبس ابني. فقال لها بسخرية واستهزاء: إنّه قد مات في الحبس. فاندفعت تقول بحرارة وقد لذعها قوله: اللهمَّ بحق المقتول في الحبس أن تريني القدرة. فاستجاب الله دعاءها، فأطلق سراح ولدها، وأودع ابن المستهزئ ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص، وهكذا أراد الله أن يريها القدرة ويري ذلك الشخص كرامة الإمام عنده. انظر المناقب (لابن شهر آشوب) ، ٤ ، ٣٠٥.

والشعوب غيرالإسلامية، كما أن الدولة قد تطوّر نظامها ، وقويت شوكتها ، وبرزت ملامح الترف والبذخ والإسراف على طابع الحياة اليومية، وانتشرت مجالس اللهو والغناء بصورة واسعة.

٢ . عاش الإمام الكاظم(عليه السلام) عشرين عاماً مع أبيه في مرحلة البناء الفكري للجماعة الصالحة ، وتحصين الأُمّة ضدّ التيارات المنحرفة والملحدة. وفي عهد إمامته(عليه السلام) عانى من ظلم العباسيين وجورهم ; إذ كان وجوده يمثِّل الخطر الحقيقي الذي يهدّد دولتهم; وذلك لما للإمام(عليه السلام) من قواعد شعبية واسعة كانت قد نشطت بعد أن انكشف واتضح انحراف العباسيين ومن قبلهم الأمويين عن خطّ الإسلام الصحيح، فازداد الضغط عليه من حكّامهم ; فغلبت التقيّة على حركته.

٣ . واصل الإمام الكاظم(عليه السلام) مهمّة بناء المجتمع المسلم ، وترسيخ العقيدة الإسلامية وإحيائها في عهد المنصور والمهدي والرشيد.

٤ . قضى الإمام(عليه السلام) مدّة طويلة في سجون بني العبّاس الذين فاقوا في ظلمهم وطغيانهم ظلم بني أُمية ، فكان ينقل من سجن لآخر ، حتى استشهد(عليه السلام) في سجن السندي بن شاهك ببغداد، في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هـ ، ودفن في مقابر قريش.

انطباعات عن شخصية الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)

١ . قال عنه أبوه الإمام الصادق(عليه السلام) : «**فيه علم الحكم، والفهم ، والسخاء ، والمعرفة ، فيما يحتاج الناس إليه ، فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّوجلّ**»[٧٢٣].

٢ . قال هارون الرشيد لابنه المأمون ـ وقد سأله عنه ـ : هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده[٧٢٤].

وقال له أيضاً: يا بني هذا وارث علم النبيّين، هذا موسى بن جعفر، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا[٧٢٥].

٣ . قال المأمون العباسي في وصفه: قد أنهكته العبادة، كأنّه شَن بال، وقد كَلَم السجودُ وجهَه وأنفَه[٧٢٦].

٤ . كتب عيسى بن جعفر للرشيد: لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ، ووضعت عليه العيون طول هذه المدّة، فما وجدته يفتُر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه ما

---

٧٢٣. بحار الأنوار ، ج ٤٨، ص ١٢.

٧٢٤. أئمتنا ، ج ٢، ص ٦٥.

٧٢٥. المناقب ، ج ٤، ص ٣١٠ وأمالي الشيخ الصدوق، ص ٣٠٧.

٧٢٦. الأنوار البهيّة ، ص ٩٣.

يقوله في دعائه ، فما دعا عليك ولا عليّ، ولا ذكرنا بسوء، وما يدعو لنفسه إلاّ بالمغفرة والرحمة. فإن أنت أنفذت إليّ من يتسلّمه منّي وإلاّ خلّيت سبيله ; فإنّي متحرّج من حبسه[٧٢٧].

٥ . قال الخطيب البغدادي: كان سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر: ثلثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار ، ثم يقسّمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرّة فقد استغنى[٧٢٨].

٦ . قال عليّ بن محمّدبن أحمد المالكي ـ ابن الصبّاغ ـ : وأمّا مناقبه وكراماته الظاهرة، وفضائله وصفاته الباهرة، فتشهد له بأنّه افترع قبّة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها، وذلّلت له كواهل السيادة وامتطاها، وحكّم في غنائم المجد فاختار صفاياها فأصفاها...[٧٢٩].

٧ . قال كمال الدين محمّدبن طلحة الشافعي: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير، المجتهد الجادّ في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه. ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله ; لنُجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به. كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأنّ له عند الله قدم صدق ، لا تزال ولا تزول[٧٣٠].

٨ . قال أحمدبن يوسف الدمشقي القرماني: هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج ; لأنّه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة قط...له كرامات ظاهرة، ومناقب باهرة، انتزع قمّة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها[٧٣١].

٩ . قال محمّدبن أحمد الذهبي : كان موسى من أجود الحكماء، ومن عبّاد الله الأتقياء ، وله مشهد معروف ببغداد، مات سنة ثلاث وثمانين وله خمس وخمسون سنة[٧٣٢].

١٠ . قال مؤمن الشبلنجي: كان موسى الكاظم(رضي الله عنه) أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم كفّاً، وأكرمهم نفساً، وكان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلاً، وكذلك النفقات، ولا يعلمون من أيّ جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلك إلاّ بعد موته. وكان كثيراً ما يدعو: «**اللهمَّ إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب**»[٧٣٣].

---

٧٢٧. أعيان الشيعة ، ج ٤، ق ٣، ص ٧١.
٧٢٨. تأريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٨.
٧٢٩. الفصول المهمّة ، ص ٢١٧.
٧٣٠. مطالب السؤول ، ص ٨٣.
٧٣١. أخبار الدول ، ص ١١٢.
٧٣٢. ميزان الاعتدال ، ج ٣، ص ٢٠٩.
٧٣٣. نور الأبصار ، ص ٢١٨.

١١ . قال محمّد خواجة البخاري: ومن أئمّة أهل البيت أبوالحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان(رضي الله عنه)صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر، كثير العلم، كان يدعى بالعبد الصالح، وفي كلّ يوم يسجد لله سجدة طويلة بعد ارتفاع الشمس إلى الزوال.

طلبه المهديّ بن المنصور من المدينة إلى بغداد فحبسه، فرأى المهدي في النوم عليّاً كرّم الله وجهه يقول: يا مهدي(**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم**) ، فأطلقه[٧٣٤].

١٢ . قال محمودبن وهيب القراغولي البغدادي الحنفي: هو موسى بن جعفر الصادق بن محمّد الباقربن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكنيته أبوالحسن، وألقابه أربعة: الكاظم، والصابر، والصالح، والأمين، والأول هو الأشهر. وصفته معتدل القامة ، أسمر. وهو الوارث لأبيه رضي الله عنهما علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً. سمّي بالكاظم لكظمه الغيظ، وكثرة تجاوزه وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان من أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم[٧٣٥].

من فضائل الإمام الكاظم(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

١ . وفور علمه

لقد شهد له بوفور علمه أبوه الإمام الصادق(عليه السلام) حين قال: «**إنّ ابني هذا لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم**»[٧٣٦].

وقال فيه: «**وعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس ، فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم**»[٧٣٧].

ويكفي للدلالة على وفور علمه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين وغيرها ممّا ملأوا به الكتب، وألّفوا المؤلّفات الكثيرة، حتى عرف بين الرواة بالعالم. قال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى(عليه السلام)فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه[٧٣٨].

٢ . عبادته وتقواه

نشأ الإمام في بيت القداسة والتقوى، وترعرع في معهد العبادة والطاعة، بالإضافة إلى ما ورثه عن آبائه من حب الله والإيمان به والإخلاص له ; فقد قدّموا نفوسهم قرابين في سبيله، وبذلوا جميع ما لديهم في نشر دينه ، والقضاء على الشرك والضلال. فأهل البيت(عليهم السلام) أساس التقوى ، ومعدن الايمان، فلولاهم ما عَبَدَ اللهَ عابد ، ولا وحّده موحِّد، وما تحقّقت فريضة، ولا أُقيمت سُنّة، ولا ساغت في الإسلام شريعة.

---

٧٣٤. ينابيع المودّة ، ص ٤٥٩ والآية ٢٢ من سورة محمّد.

٧٣٥. جوهرة الكلام ، ص ١٣٩.

٧٣٦. بحار الانوار ، ج ٤٨ ، ص ٢٤.

٧٣٧. بحار الانوار ، ج ١٤٨ ، ص ١٢.

٧٣٨. الإرشاد ، ص ٢٧٢.

وحدّث المؤرخون أنّه كان أعبد أهل زمانه[٧٣٩] حتّى لُقِّب بالعبد الصالح، وزين المجتهدين; إذ لم ترَ عين إنسان نظيراً له قطّ في الطاعة والعبادة. ونشير إلى نماذج من مظاهر طاعته وعبادته:

أ ـ صلاته: إنّ أجمل الساعات وأثمنها عند الإمام(عليه السلام) هي الساعات التي كان يخلو بها مع الله عزّ اسمه ، حيث كان يُقبل عليه بجميع مشاعره وعواطفه. وقد ورد: أنّه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصليّاً أو مناجياً أو داعياً أرسل ما في عينيه من دموع، وخفق قلبه، واضطرب خوفاً منه، مستغرقاً أغلب أوقاته في الصلاة ، فكان يصلّـي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقّب حتى تطلع الشمس، ويخرّ لله ساجداً ، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس[٧٤٠].

ومن مظاهر طاعته أنّه دخل مسجد النبي(صلى الله عليه وآله) في أوّل الليل فسجد سجدة واحدة وهو يقول بنبرات تقطر إخلاصاً وخوفاً منه:

«عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة» ، وجعل يردّد هذه الكلمات بإنابة وخشوع وبكاء حتى أصبح الصبح.[٧٤١]

ولمّا أودعه طاغية زمانه هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرّغ للطاعة والعبادة حتى بَهَر بذلك العقول وحيّر الألباب، وشكر الله على تفرّغه لطاعته قائلاً:

«اللهّمَّ، إنّي طالما كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، وقد استجبت منّي ، فلك الحمد على ذلك...»[٧٤٢].

لقد ضرب الإمام الكاظم(عليه السلام) المثل الأعلى للعبادة ، فلم يضارعه أحد في طاعته وإقباله على الله تعالى، حتّى ذابت نفسه في حبّه تعالى.

وحدّث الشيباني[٧٤٣] عن عبادته فقال: كانت لأبي الحسن موسى(عليه السلام) في بضع عشرة سنة سجدة في كلّ يوم بعدابيضاض الشمس إلى وقت الزوال[٧٤٤].

وقد اعترف عدوّه هارون الرشيد بأنّه المثل الأعلى للإنابة والإيمان، وذلك حينما أودعه في سجن الربيع[٧٤٥] ، فكان يطلّ من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً في مكان خاصّ من البيت لم يتغيّر عن موضعه ، فيتعجّب من ذلك ويقول للربيع: ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟!

---

٧٣٩. جوهرة الكلام ، ص ١٣٩.

٧٤٠. كشف الغمّة ، ج ٢، ص ٢٨.

٧٤١. وفيات الأعيان ، ج ٤، ص ٢٩٣ وكنز اللغة ، ص ٧٦٦.

٧٤٢. وفيات الأعيان ، ج ٤، ص ٢٩٣ والمناقب، ج ٤، ص ٣١٨.

٧٤٣. الشيبانى ، هو أبوعبدالله محمّدبن الحسن مولى لبني شيبان ، حضر مجلس أبي حنيفة سنين، وقرأ على أبي يوسف، وصنّف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة. توفّي بالريّ سنة ١٨٧هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، أُنظر طبقات الفقهاء ، ١١٤.

٧٤٤. حياة الإمام موسى بن جعفر ، ج ١، ص ١٤٠ عن بحارالأنوار.

٧٤٥. كان الربيع بن يونس حاجباً للمنصور ثم صار وزيراً له بعد أبي أيوب، وكان المنصور كثير الميل إليه ، حسن الاعتماد عليه. توفي الربيع سنة ١٧٠هـ ، أنظر وفيات الأعيان ، ١ ، ٢٣١ ـ ٢٣٣،ط. بولاق.

فيجيبه الربيع: يا أميرالمؤمنين: ما ذاك بثوب، وإنّما هو موسى بن جعفر، له في كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فيبدي هارون إعجابه قائلا: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم!

وهنا طلب الربيع منه أن يطلق سراحه ولا يضيّق عليه قائلا: يا أميرالمؤمنين ، مالكَ قد ضيّقت عليه في الحبس؟!

فأجابه هارون قائلاً: هيهات! لابد من ذلك[٧٤٦].

ب ـ صومه: كان الإمام(عليه السلام) يصوم في النهار ، ويقوم مصلّياً في الليل، خصوصاً لمّا سجنه هارون ; اذ لم يترك العبادة المستحبة بجميع أنواعها من صوم وغيره، وهو يشكر الله ويحمده على هذا التفرّغ للعبادة.

ج ـ حجّه: وما من شيء أحبّه الله وندب إليه إلاّ فعله الإمام(عليه السلام) عن رغبة وإخلاص، فمن ذلك أنّه حجّ بيت الله ماشياً على قدميه، والنجائب تُقاد بين يديه. وقد حجّ معه أخوه علي بن جعفر وجميع عياله أربع مرّات، وحدّث علي بن جعفر عن الوقت الذي قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة (الأُولى) ستة وعشرين يوماً، و(الثانية) كانت خمسة وعشرين يوماً، و(الثالثة) كانت أربعة وعشرين يوماً، و(الرابعة) كانت واحداً وعشرين يوماً[٧٤٧].

وكان في أغلب أسفاره إلى بيت الله يتنكّب الطريق، (وينفرد عن الناس) ; لشدّة تعلّق قلبه وفكره بالله تعالى.

د ـ تلاوته للقرآن: كان الذكر الحكيم رفيق الإمام في خلواته وصاحبه في وحشته، وكان يتلوه بإمعان وتدبّر، وكان من أحسن الناس صوتاً به، فإذا قرأ يُبكي السامعين لتلاوته[٧٤٨].

وحدَّث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: وكانت قراءته حزناً ، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنساناً[٧٤٩].

٣ . زهده

كان الإمام في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن زخارفها ، فقد اتّجه إلى الله ، ورغب فيما أعدّه للمتقين في دار الخلود من النعيم والكرامة. وقد حدّثنا عن زهده إبراهيم بن عبدالحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلّي فيه، فإذا ليس في البيت شيء سوى خصفة، وسيف معلّق، ومصحف[٧٥٠].

---

٧٤٦. حياة الإمام موسى بن جعفر ، ج ١، ص ١٤٠ ـ ١٤٤ ، باقر شريف القرشي.

٧٤٧. المصدر نفسه.

٧٤٨. المناقب ، ج ٤، ص ٣١٨.

٧٤٩. حياة الإمام موسى بن جعفر ، ج ١، ص ١٤٨.

٧٥٠. حياة الإمام موسى بن جعفر ، ج ١، ص ١٤٩. الخصفة : بساط أو حصير يُعمل من الخوص (ورق النخل).

لقد كان عيشه زهيداً، وبيته بسيطاً ، فلم يحتوِ على شيء حتى الأمتعة البسيطة التي تجدها في بيوت الفقراء ، على أنّه كانت تجبى له الأموال الطائلة، والحقوق الشرعية من شيعته ، كما أنّه كان يملك البسرية وغيرها من الأراضي الزراعية التي تدرّ عليه الأموال الخطيرة.

وقد «أنفق» جميع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

وكان(عليه السلام)يتلو باستمرار على أصحابه سيرة أبي ذر الصحابي العظيم الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات ، والتجرّد عن الدنيا ، والزهد في ملاذها، بقوله(عليه السلام): «**رحم الله أبا ذر فلقد كان يقول: جزى الله الدنيا عنّي مذمّة بعد رغيفين من الشعير، أتغذّى بأحدهما وأتعشّى بالآخر، وبعد شملتي الصوف ، أنتزر بإحداهما وأتردّى بالأُخرى...**»[٧٥١].

٤ . جوده وسخاؤه

لقد تجلّى الكرم الواقعي والسخاء الحقيقي في سيرة الإمام الكاظم(عليه السلام)، حتى صار مضرب المثل للكرم. وفزع إليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر. وقد ذكر المؤرخون أنّه أنفق(عليه السلام) جميع ما عنده عليهم، كلّ ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءً ولا شكوراً. وكان(عليه السلام) في صِلاته كتوماً ; لئلا يشاهد على الآخذ ذلّة الحاجة، ملتمساً بذلك وجه الله ورضاه، ولهذا كان يخرج في ظلام الليل فيصل الطبقة الضعيفة ببرّه وإحسانه ، وهي لا تعلم من أيّ جهة تصلها تلك المبرّة، وكان يصلهم بصِراره التي كانت تتراوح ما بين مئتي دينار إلى أربعمائة دينار[٧٥٢] ، وكان يضرب المثل بتلك الصرار فيقال: عجباً لمن جاءته صِرار موسى وهو يشتكي القلّة والفقر![٧٥٣].

وبلغ من عطفه المستفيض أنّه إذا بلغه عن شخص مايؤذيه ويسيء إليه بعث له بصرّة فيها ألف دينار[٧٥٤]. لقد كانت هباته السرّية وصلاته الخفيّة تقوم بإعاشة فقراء يثرب، فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويعيشون من عطاياه.

وحدّث عيسى بن محمّد القرطي قال: زرعت بطيخاً وقثّاء وقرعاً[٧٥٥] في موضع بالجوانية[٧٥٦] على بئر يقال لها أم عضام، فلمّا قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كلّه، وكنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس إذ طلع عليَّ الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)فسلّم ثم قال لي: «كيف حالك؟»

---

٧٥١. أُصول الكافي ، ج ٢، ص ١٣٤.

٧٥٢. تأريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٨. صِرار: جمع صُرّة وهي الوعاء الذي يُجعل فيه المال.

٧٥٣. عمدة الطالب ، ص ١٨٥.

٧٥٤. تأريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٧.

٧٥٥. القرع: نوع من اليقطين، الواحدة قرعة.

٧٥٦. الجوّانيّة: بالفتح وتشديد ثانيه، وكسر النون وياء مشدّدة: موضع أو قرية قرب المدينة، جاء ذلك في معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٥، ط. طبع بيروت.

فقلت: أصبحت كالصريم[٧٥٧] : بغتني الجراد فأكل زرعي.

فقال له: «كم غرمت فيه؟»

فقلت: مئة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فالتفت(عليه السلام) لعرفة، وقال له: «زن لابن المغيث مائة وخمسين ديناراً» ، ثم قال لعيسى: «فربحك ثلاثون ديناراً مع الجملين»[٧٥٨].

ودخل على الإمام(عليه السلام) فقير يسأله العطاء فأراد(عليه السلام) اختباره ليكرمه على مقدار معرفته ، فقال له: «لو جُعل لك التمنّي في الدنيا ما كنت تتمنّى؟».

قال: كنت أتمنّى أن أُرزق التقيّة في ديني وقضاء حقوق إخواني.

فاستحسن(عليه السلام) جوابه وأمر بأن يُعطى ألفي دينار[٧٥٩].

ومن آيات كرمه(عليه السلام) أنّه أولَم وليمة في مناسبة لبعض أولاده ، فأطعم أهالي يثرب إطعاماً شاملاً ثلاثة أيام، فعابه على ذلك بعض حسّاده، فقال(عليه السلام):

«ما آتى الله نبيّاً من أنبيائه شيئاً إلاّ وقد آتى محمّداً(صلى الله عليه وآله) **وزاده ما لم يؤتهم، قال تعالى لسليمان بن داود: (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)».**[٧٦٠]

وكان(عليه السلام) يقول: «من موجبات المغفرة إطعام الطعام»[٧٦١].

وكان(عليه السلام) لايرى للمال قيمة سوى ما يردّ به جوع جائع أو يكسو به عارياً، وقد تلقّى هذه الصفة الرفيعة من آبائه الذين ضربوا في ذلك أسمى الأمثلة.

٥ . حلمه

لقد كان الحلم من أبرز صفات الإمام موسى(عليه السلام) ، فقد كان مضرب المثل في حلمه وكظمه للغيظ، وكان يعفو عمّن أساء إليه، ويصفح عمّن اعتدى عليه، ولم يكتف بذلك وانّما كان يحسن إليهم ، ويغدق عليهم بالمعروف ; ليمحو بذلك روح الشرّ والأنانية من نفوسهم.

وقد ذكر المؤرخون أنّ شخصاً من أحفاد عمربن الخطّاب كان يسيء للإمام(عليه السلام)ويكيل السبّ والشتم لجدّه أميرالمؤمنين(عليه السلام)، فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم(عليه السلام)عن ذلك، ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل: إنّه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب(عليه السلام)بغلته ومضى إليه متنكّراً، فوجده في مزرعته ، فأقبل نحوه فصاح به العمري : لا تطأ زرعنا. فلم يعتنِ الإمام

---

٧٥٧. الصريم: الأرض المحصود زرعها.

٧٥٨. تأريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٩ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢١٧.

٧٥٩. وسائل الشيعة ، ج ٦، ص ٢٢٣ وأنظر الأنوار البهيّة، ص ١٦٠.

٧٦٠. فروع الكافي ، ج ٦، ص ٢٨١ والآية ٣٩ من سورة ص.

٧٦١. حياة الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) ، ج ١، ص ١٥٥ عن وسائل الشيعة.

إذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك، ولما انتهى إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدّثه بأطيب الحديث، وقال له بلطف ولين:

«كم غرمت في زرعك هذا؟». فقال له: مائة دينار.

فقال(عليه السلام): «كم ترجو أن تصيب منه؟».فقال: أنا لا أعلم الغيب!

قال له الإمام: «إنّما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟». فقال: أرجو أن يجيئني منه مئتا دينار.

فأعطاه(عليه السلام) ثلاثمئة دينار، وقال: «هذه لك وزرعك على حاله». فتغيّر العمري، وخجل من نفسه على ما فرّط في حقّ الإمام، وتركه(عليه السلام)ومضى إلى الجامع النبوي، فوجده قد سبقه، فلمّا رأى الإمام(عليه السلام) مقبلاً قام إليه تكريماً وأخذ يقول: **الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء.**

فبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره، ويدعو له، فالتفت(عليه السلام) إلى أصحابه قائلاً: «أيما كان خيراً؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟»[٧٦٢].

ومن آيات حلمه(عليه السلام) أنّه اجتاز على جماعة من حسّاده وأعدائه، وكان فيهم ابن هيّاج فأمر بعض أتباعه أن يتعلّق بلجام بغلة الإمام(عليه السلام)ويدّعيها ، فمضى الرجل إلى الإمام وتعلّق بزمام بغلته فادّعاها له، فعرف الإمام غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له[٧٦٣]. وكان(عليه السلام) يوصي أبناءَه بالتحلّي بهذه الصفة الرفيعة ، ويأمرهم بالصفح عمّن أساء إليهم ، فقد جمعهم وأوصاهم بذلك فقال:

«يا بني إنّي أُوصيكم بوصيّة من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأُذن اليمنى مكروهاً ثم تحوّل إلى اليسرى فاعتذر لكم وقال: إنّي لم أقل شيئاً ، فاقبلوا عذره...»[٧٦٤].

٦ . إرشاده وتوجيهه

لقد قام الامام(عليه السلام)بدور مهمّ في إنقاذ جماعة ممّن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتيّاراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغيّ والضلال وصاروا من صالحي المؤمنين.

وقد ذكر المؤرّخون قصّته مع بشر الحافي الذي كان في بداية أمره ـ كما يُقال ـ يتعاطى الشراب ويقضي لياليه وأيامه باللهو ، فاجتاز الإمام(عليه السلام)على داره ببغداد ، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منها جارية وبيدها قمامة[٧٦٥] فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام إليها إليها قائلاً:

«يا جارية صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟» فقالت: حر.

فقال لها: «صدقتِ، لو كان عبداً لخاف مولاه».

---

٧٦٢. تأريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٨ ـ ٢٩ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٢٨.

٧٦٣. بحار الأنوار ، ج ٢، ص ٢٢٨.

٧٦٤. الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ) ، ص ٢٣٥.

٧٦٥. القمامة: الكناسة و زبالة البيت.

ودخلت الجارية الدار، وكان بشر على مائدة السُكر، فقال لها: ما أبطأكِ؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام. فخرج بشر مسرعاً حتى لحق بالإمام فتاب على يده، واعتذر منه ، وبكى[٧٦٦]. وبعد ذلك أخذ يجدّ في تهذيب نفسه ، واتّصل بالله عن معرفة وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد، وقال فيه إبراهيم الحربي:

«ما أخرجتْ بغداد أتمّ عقلاً، ولا أحفظ للسانه، من بشربن الحارث كان في كلّ شعرة منه عقل»[٧٦٧].

وممّن أرشدهم الإمام إلى طريق الحقّ: الحسن بن عبدالله; فقد كان شخصية مرموقة عند الملوك ، زاهداً في الدنيا يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم، فاجتمع بالإمام(عليه السلام) فقال له:

«يا أبا علي، ما أحب إليّ ما أنت عليه، وأسرّني به، إلاّ أنّه ليست لك معرفة ، فاطلب المعرفة».فقال: وما المعرفة؟

فقال له(عليه السلام): **«تفقّه واطلب الحديث».**

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك وعن فقهاء أهل المدينة، وعرضه على الإمام فلم يرضَ(عليه السلام) ، وأرشده إلى فقه أهل البيت ، وأخذ الأحكام منهم، والاعتراف لهم بالإمامة ، فانصاع الرجل لذلك واهتدى[٧٦٨].

٧ . إحسانه إلى الناس

ما قصده أحد في حاجة إلاّ قام بقضائها، وكان(عليه السلام)يرى أنّ إدخال الغبطة على الناس ، وقضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير ، فلذا لم يتوان قطّ في إجابة المضطر، ورفع الظلم عن المظلوم. وقد أباح لعلي بن يقطين الدخول في حكومة هارون وجعل **(كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان)** ، وقد فزع إليه جماعة من المنكوبين ، فكشف آلامهم وملأ قلوبهم رجاءً ورحمةً.

ومن هؤلاء الذين أغاثهم الإمام(عليه السلام) شخص من أهالي الري ، كانت عليه أموال طائلة لحكومة الري فلم يتمكّن من أدائها، وخاف على نعمته أن تسلب منه، فأخذ يطيل الفكر فيما يعمل. فسأل عن حاكم الري، فأُخبر أنّه من الشيعة، فنوى السفر إلى الإمام ; ليستجير به ، فسافر إلى المدينة. فلمّا انتهى إليها تشرّف بمقابلة الإمام ، فشكا إليه حاله ، فزوّده(عليه السلام)برسالة إلى والي الري ، جاء فيها بعد البسملة:

«اعلم أنّ لله تحت عرشه ظلاً لايسكنه إلاّ من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام...».

---

٧٦٦. الكنى والألقاب ، ج ٢، ص ١٥٠ نقلا عن منهاج الكرامة للعلاّمة.

٧٦٧. تأريخ بغداد ، ج ٧، ص ٧٣.

٧٦٨. المناقب (لابن شهر آشوب) ، ج ٤، ص ٢٨٨.

وبعد أدائه لفريضة الحج، اتّجه إلى وطنه، فلمّا وصل، مضى إلى الحاكم ليلاً، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه، فقال له: من أنت؟ فقال له: رسول الصابر موسى.

فهرع إلى مولاه فأخبره بذلك ، فخرج حافي القدمين باستقباله، فعانقه وقبّل ما بين عينيه، وجعل يكرّر ذلك ويسأله بلهفة عن حال الإمام(عليه السلام) ، ثم مناوله رسالة الإمام فقبّلها وقام لها تكريماً، فلمّا قرأها أحضر أمواله وثيابه ، فقاسمه في جميعها وأعطاه قيمة مالا يقبل القسمة ، وهو يقول له: يا أخي ! هل سررتك؟ فقال له: أي والله ، وزدت على ذلك!.

ثم استدعى السجل فشطب جميع الديون التي عليه وأعطاه براءة منها، وخرج الرجل وقد طار قلبه فرحاً وسروراً. ورأى أن يجازيه على إحسانه ومعروفه فيمضي إلى بيت الله الحرام فيدعو له، ويخبر الإمام(عليه السلام) بما أسداه إليه من البرّ والمعروف. ولما أقبل موسم الحج مضى إليه ، ثم اتّجه إلى المدينة فواجه الإمام وأخبره بحديثه، فسر(عليه السلام)بذلك سروراً بالغاً، فقال له الرجل: يا مولاي: هل سرّك ذلك؟

فقال: «**إي والله! لقد سرّني، وسرّ أميرالمؤمنين. والله لقد سرّ جدّي رسول الله**(صلى الله عليه وآله)، **ولقد سرّ الله تعالى...**»[٧٦٩].

وهذا دليل على اهتمامه البالغ بشؤون المسلمين ورغبته الملحّة في قضاء حوائج الناس.

من تراث الإمام الكاظم(عليه السلام)

إنّ من غرر أحاديث الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) وصيّته الثمينة لهشام[٧٧٠]بن الحكم، وإليك بعض مقاطعها:

«إنّ الله تبارك وتعالى بشَّرَ أهل العقل والفهم في كتابه فقال: (**فبشِّر عبادِ* الذينَ يستمعون القولَ فيتَّبِعون أحسنهُ أُولئكَ الّذين هداهُم الله وأُولئكَ هم أُولوا الألباب**)[٧٧١].

يا هشام بن الحكم ، إنّ الله عزّوجلّ أكمل للناس الحُجج بالعقول ، وأفضى إليهم بالبيان ، ودلَّـهُم على ربوبيّته بالأدلاّء، فقال: (**وَإلـهُكم إلهٌ واحِدٌ لا إلهَ إلاّ هو الرَّحمن الرحيم**)[٧٧٢]، (**إنَّ في خلق السَّماوات والأرض واختلافِ اللَّيل والنَّهارِ...لآيات لقوم يعقِلون**)[٧٧٣]».

---

٧٦٩. حياة الإمام موسى بن جعفر ، ج ١، ص ١٦١ ـ ١٦٢.

٧٧٠. هو أبومحمّد، هشام بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان، ممّن اتّفق الأصحاب على وثاقته وعِظَم قدره ورِفعة منزلته عند الأئمة(عليهم السلام). وكانت له حوارات كثيرة مع المخالفين في الأُصول وغيرها. صحب أباعبدالله وبعده أباالحسن موسى (عليهما السلام) وكان من أجلّة أصحاب أبي عبدالله (عليه السلام).

٧٧١. الزمر: ١٧ ـ ١٨.

٧٧٢. البقرة: ١٦٣.

٧٧٣. البقرة: ٤.

يا هشام قد جَعلَ الله عزّوجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنَّ لهُم مدبِّراً، فقال: (**وسخَّر لكُم اللّيل والنّهار والشمس والقمر والنُّجوم مُسخَّراتٌ بأمره إنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون**)(٧٧٤). وقال: (**حم* والكتاب المبين* إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلَّكم تعقِلون**)(٧٧٥)، وقال: (**ومِنْ آياته يُريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنزّل من السَّماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها إنَّ في ذلِكَ لآيات لقوم يعقِلون**)(٧٧٦).

يا هِشام ، ثُمَّ وعظَ أهل العقل ورغَّبهُم في الآخِرة فقال: (**وما الحيوةُ الدُّنيا إلاّ لَعِبٌ ولهوٌ وللدّارُ الآخِرَةُ خيرٌ لِلَّذينَ يتَّقُونَ أفلا تعقِلون**)(٧٧٧) ، وقال: (**وما أُوتيتم من شيء فمتاعُ الحيوةِ الدُّنيا وزينَتُها وما عندَ الله خيرٌ وأبقى أفلا تعقِلون**)(٧٧٨).

يا هشام ، ثمَّ خوَّف الّذين لا يعقلون عذابَه فقال عزّوجلّ: (**ثُمَّ دَمَّرنا الآخرينَ* وإنَّكم لَتمُرُّون عليهم مصبِحينَ* وباللَّيلِ أفلا تَعقِلونَ**)(٧٧٩).

يا هشامُ ، ثمَّ بيَّن أنَّ العقل مع العِلم فقال: (**وتِلك الأمثالُ نضرِبُها للناسِ وما يَعقِلُها إلاّ العالِمُونَ**)(٧٨٠).

يا هشامُ ، ثمَّ ذَمَّ الَّذينَ لا يَعقِلُونَ فقال: (**وإذا قيلَ لَـهُم اتَّبِعوا ما أنْزَلَ اللهُ قالوا بل نتَّبِعُ ما أَلفَينا عليه آباءَنا أولَو كان آباؤهم لا يعقِلونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ**)(٧٨١) ، وقال: (**إنَّ شَرَّ الدّوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكم الّذينَ لا يعقِلونَ**)(٧٨٢) ، وقال: (**ولَئِن سألتَهُم مَنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ الله قل الحمدُ للهِ بل أكثرُهم لا يعقِلون**)(٧٨٣).

ثُمَّ ذمَّ الكثرةَ فقال: (**وإن تُطِع أكثرَ مَنْ في الأرضِ يُضلُّوكَ عن سبيلِ الله**)(٧٨٤) ، وقال: (**ولكنَّ أكثرَهُم لا يعْلَمُونَ**)(٧٨٥) ، (**وأكثرُهُم لا يشعُرُونَ**)(٧٨٦).

يا هشام ، ثمَّ مدحَ القِلّة فقال: (**وقليلٌ من عبادِيَ الشَّكور**)(٧٨٧). وقال: (**وقليلٌ ماهُم**)(٧٨٨) ، وقال: (**وما آمنَ معهُ إلاّ قليلٌ**)(٧٨٩).

---

٧٧٤. النحل: ١٢.
٧٧٥. الزخرف: ١ ـ ٣.
٧٧٦. الروم: ٢٤.
٧٧٧. الأنعام: ٣٢.
٧٧٨. القصص: ٦٠.
٧٧٩. العنكبوت: ٤٣.
٧٨٠. البقرة: ١٧٠.
٧٨١. البقرة: ١٧٠.
٧٨٢. الأنفال: ٢٢.
٧٨٣. هذه الآية ٢٥ من سورة لقمان، وفيها (بل أكثرهم لا يعلمون) كما في بعض نسخ الكافي، ولعلّه سهو وغفلة من الراوي أو اشتباه من النسّاخ.
٧٨٤. الأنعام: ١١٦.
٧٨٥. الأنعام: ٣٧.
٧٨٦. مضمون مأخوذ من آي القرآن.
٧٨٧. سبأ: ١٣.
٧٨٨. ص: ٢٣.

يا هِشامُ ، ثمَّ ذكرَ أُولي الألباب بأحسن الذِّكرِ وحلاّهُم بأحسن الحِليةِ، فقال: (**يؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشاءُ ومن يؤتَ الحِكمةَ فقد أُوتِي خيراً كثيراً وما يذَّكَّرُ إلاّ أُولوا الألبابِ**)[٧٩٠].

يا هشام ، إنّ الله يقول: (**إنَّ في ذلك لذِكرى لمن كان لَهُ قلبٌ**)[٧٩١] ، يعني العقل ، وقال: (**ولقد آتينا لُقمان الحِكْمةَ**)[٧٩٢] ، قال: الفهم والعقل.

يا هِشام ، إنَّ لقمان قال لابنهِ: تواضع للحق تَكُن أعقل النّاس[٧٩٣]. يا بُنيَّ ، إنَّ الدُّنيا بحرٌ عميقٌ قد غرِقَ فيه عالمٌ كثيرٌ ، فلتكن سفينتُكَ فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان[٧٩٤] ، وشِراعُها التَّوكُّلَ ، وقيِّمُها العقل، ودليلُها العِلْمَ ، وسُكّانُها الصبر.

يا هشام ، لكلِّ شيء دليلٌ، ودليلُ العاقِلِ التفكُّر ، ودليل التفكُّر الصَّمتُ. ولِكُلِّ شيء مطيَّةٌ ، ومطيَّةُ العاقل التواضع[٧٩٥] ، وكفى بكَ جهلاً أن تركَبَ ما نُهيتَ عنه.

يا هشام ، لو كان في يدك جوزةٌ وقال النّاس: [في يدكَ] لؤلؤةٌ ، ما كان ينفعُك وأنت تعلم أنّها جوزَةٌ. ولو كان في يدكَ لؤلؤةٌ وقال الناسُ: إنّها جوزةٌ ، ما ضرَّكَ وأنتَ تعلمُ أنَّها لؤلؤةٌ.

يا هشام ، ما بعثَ الله أنبياءهُ ورسُلهُ إلى عبادِهِ إلاّ ليعقِلوا عن الله، فأَحسنُهم استجابةً أحسنُهم معرفةً لله ، وأعلمُهم بِأمرِ الله أحسنُهم عقلاً ، وأعقلُهُم[٧٩٦] أرفعهم درجةً في الدُّنيا والآخرةِ.

يا هِشام ، ما مِن عبد إلاّ ومَلَكٌ آخذٌ بناصيته، فلا يتواضعُ إلاّ رفعهُ الله ، ولا يتعاظَمُ إلاّ وضعهُ الله.

يا هِشامُ ، إنَّ لله على الناس حُجَّتين: حُجَّةٌ ظاهرة وحجّةٌ باطِنةً، فأمّا الظاهرةُ فالرُّسل والأنبياء والأئمّة، وأمّا الباطنةُ فالعقولُ.

يا هِشام ، إنَّ العاقل: الّذي لا يشغل الحلالُ شكرَهُ ، ولا يغلِبُ الحرامُ صبرَهُ.

يا هِشامُ ، من سلَّطَ ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان هواهُ على هدم عقله: من أظلَمَ نور فكرِه[٧٩٧] بطول أملِه، ومحا طرائِفَ حكمتِه بفضولِ كلامه، وأطفأ نور عبرتِه بشهوات نفسه، ومن هَدَمَ عقله أفسد عليه دينه ودنياهُ.

يا هشام ، كيف يزْكو عند الله عملُكَ وأنتَ قد شغلْتَ عقلكَ عن أمرِ ربِّكَ ، وأطعْتَ هواكَ على غلبَةِ عقلِكَ؟!

---

٧٨٩. هود: ٤٢.

٧٩٠. البقرة: ٢٦٩.

٧٩١. ق: ٣٦.

٧٩٢. لقمان: ١١، إلى هنا في الكافي تقديم و تأخير.

٧٩٣. وزاد في الكافي: «وانّ الكيّس لدى الحقّ يسير».

٧٩٤. الحشو: ما حشي به الشيء أي مُلىء به، والظاهر أنّ ضمير «فيها» يرجع إلى الدنيا، وضمير حشوها وما بعده يرجع إلى السفينة.

٧٩٥. في الكافي: مكان العاقل: «العقل» في الموضعين.

٧٩٦. في الكافي: «وأكملهم عقلا».

٧٩٧. في الكافي: «من أظلم نور تفكّره».

يا هِشامُ ، الصَّبرُ على الوحدة علامةُ قوّة العقل، فمن عقلَ عن الله تبارك وتعالى اعتزلَ أهلَ الدُّنيا والرَّاغبين فيها، ورغبَ فيما عندَ ربّه ، [وكانَ الله] آنِسَهُ في الوحشةِ وصاحبَهُ في الوحدةِ ، وغناهُ في العَيلةِ ، ومُعِزَّهُ في غير عشيرة[٧٩٨].

يا هِشام ، نُصِبَ الخلقُ لطاعة الله[٧٩٩] ، ولا نجاةَ إلاّ بالطّاعةِ والطاعةُ بالعِلم ، والعِلم بالتّعلُّمُ ، والتعلُّمُ بالعقلِ يُعتقدُ[٨٠٠] ، ولا عِلمَ إلاّ من عالِم ربّانيّ ، ومعرِفةُ العالِم بالعقل.

يا هشامُ ، قليلُ العملِ من العاقِل مقبولٌ مضاعفٌ ، وكثيرُ العملِ من أهل الهوى والجهل مردودٌ.

يا هِشام ، إنَّ العاقِل رضي بالدُّونِ من الدُّنيا مع الحِكمةِ، ولم يرضَ بالدُّونِ من الحِكمَةِ مع الدُّنيا، فلذلكَ ربِحَتْ تجارتُهُم.

يا هِشام ، إن كان يُغنيك ما يَكفيكَ فأدنى ما في الدُّنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدُّنيا يُغنيك.

يا هِشام ، إنَّ العُقلاء تركوا فُضول الدُّنيا فكيف الذُّنوبُ؟! وتركُ الدُّنيا من الفَضلِ ، وتركُ الذُّنوبِ من الفرضِ[٨٠١].

يا هِشام ، إنَّ العُقلاء زهدوا في الدُّنيا ورغبوا في الآخرةِ ; لأنَّهُم عَلِموا أنَّ الدُّنيا طالبةٌ ومطلوبَةٌ ، والآخِرةَ طالبةٌ ومطلوبةٌ. فمن طلب الآخِرةَ طلبتهُ الدُّنيا حتّى يستوفي منها رزقَهُ، ومن طلب الدنيا طلبتهُ الآخرة فيأتيه الموتُ فيُفسدُ عليه دنياهُ وآخرَته.

يا هِشام ، من أراد الغنى بلا مال ، وراحة القلب من الحسد والسَّلامة في الدِّين ، فليتضرَّعْ إلى الله في مسألته ، بأنْ يُكمل عقله، فمن عقل قنعَ بما يكفيهِ ، ومن قَنَع بما يكفيهِ استغنى ، ومن لم يقنعْ بما يكفيهِ لمْ يُدرِكِ الغِنى أبداً[٨٠٢].

يا هِشامُ ، إنَّ الله جلَّوعَزَّ حكى عن قوم صالحين أ نّهم قالوا: (**ربَّنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وَهَب لنا من لدُنك رحمةً إنّك أنتَ الوهّاب**)[٨٠٣] ، حين عَلِمُوا أنَّ القُلوبَ تزيغُ وتعودُ إلى عَماها ورداها[٨٠٤]. إنَّهُ لم يَخَفِ الله من لم يعقِل عن الله ، ومن لم يعقِل عن الله لم يعقِد قلبَهُ على معرفة ثابتة يُبصرها ويجدُ حقيقتها

---

٧٩٨. العَيلة: الفاقة.

٧٩٩. نُصِبَ ـ من باب ضرب على صيغة المجهول ـ يعنى وضع. أو من باب التفعيل من نَصَبَ الأمير فلاناً: ولاه منصباً. وفي الكافي: «ونصب الحقّ لطاعة الله».

٨٠٠. اعتقد الشيء نقيض حلّه. وفي بعض النسخ: «يعتقل» وهو أيضاً نقيض حلّ، أي يمسك ويشدّ.

٨٠١. وزاد في الكافي: «يا هشام ، إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنّها لا تنال الاّ بالمشقّة ، ونظر إلى الآخرة فعلم أنّها لا تنال إلاّ بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما».

٨٠٢. راجع تمام هذه الوصية في الكافي ، كتاب العقل والجهل، وانظر تحف العقول، القسم المختص بالإمام الكاظم (عليه السلام).

٨٠٣. آل عمران: ٧.

٨٠٤. الردى: الهلاك.

في قلبهِ. ولا يكونُ أحدٌ كذلِكَ إلاّ من كانَ قولهُ لفِعله مصدِّقاً، وسرُّهُ لعلانيتِه موافقاً ; لأنّ الله لم يَدُلَّ[٨٠٥] على الباطِن الخفيِّ من العقل إلاّ بظاهرِ منهُ وناطِق عنهُ.

يا هِشامُ ، كان أميرالمؤمنين(عليه السلام) يقول: ما من شيء عُبِدَ الله به[٨٠٦] أفضلَ من العقلِ. وما تمَّ عقلُ امرىء حتّى يكون فيه خِصالٌ شتّى: الكفرُ والشرُّ منهُ مأمونانِ[٨٠٧]، والرُّشدُ والخير منه[٨٠٨] مأمولان ، وفضل مالِه مبذولٌ، وفضل قولهِ مكفوفٌ . نصيبهُ من الدُّنيا القوتُ ، ولا يشبع من العِلم دهرَهُ. الذُّلُّ أحبُّ إليهِ مع الله مِن العزّ معَ غيره ، والتَّواضُعُ أحبُّ إليه من الشَّرفِ. يستكثر قليل المعروفِ من غيرِه ، ويستقِلُّ كثير المعروف من نفسه. ويرى النّاسَ كُلَّهُم خيراً منه ، وأنَّهُ شرُّهُم في نفسه ، وهو تمامُ الأمرِ[٨٠٩].

يا هِشامُ ، مَن صدقَ لسانُهُ زكا عملُهُ ، ومن حَسُنت نيَّتُهُ زيدَ في رزقِه ، ومَن حَسُنَ بِرُّه بإخوانِه وأهله مُدَّ في عُمرِه.

يا هِشام ، لا تَمنحوا الجُهّال الحِكمةَ فتظلِموها[٨١٠]، ولا تمنعوُها أهلَها فتظلِموهُم.

يا هِشام ، كما تركوا لكم الحِكمةَ فاتركوا لهم الدُّنيا[٨١١].

يا هِشام ، لا دينَ لِمَن لا مُروَّةَ لهُ ، ولا مُرُوَّة لمن لاعقلَ له ، وإنَّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدُّنيا لنفسه خطراً[٨١٢]. أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلاّ الجنَّةَ، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هِشامُ ، إنَّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) كان يقول: لا يجلِس في صدر المجلِس إلاّ رجلٌ فيه ثلاثُ خِصال: يُجيبُ إذا سُئِل ، وينطِقُ إذا عجزَ القومُ عن الكلامِ، ويُشير بالرَّأي الَّذي فيه صلاحُ أهله، فمن لم يكن فيهِ شيءٌ مِنهنَّ فجلسَ فهوَ أحمق.

وقال الحسن بن عليّ(عليهما السلام): إذا طلبتُم الحوائج فاطلبوها من أهلِها. قيل: يابن رسول الله ، ومَن أهلُها؟ قال: الّذين قصَّ الله في كتابِه وذكرَهُم، فقال : (**إنَّما يتذكَّر أُولوا الألباب**)[٨١٣] ، قال: هم أُولوا العقول»[٨١٤].

---

٨٠٥. في بعض النسخ: «لا يدل».

٨٠٦. في الكافي «ما عبدالله بشيء».

٨٠٧. الكفر في الاعتقاد والشرّ في القول والعمل والكلّ ينشأ من الجهل. وفي بعض النسخ: «مأمون».

٨٠٨. الرشد في الاعتقاد والخير في القول، والكلّ ناشيء من العقل. وفي بعض النسخ: «مأمول».

٨٠٩. أي ملاك الأمر وتمامه في أن يكون الإنسان كاملا تامّ العقل هو كونه متّصفاً بمجموعة هذه الخصال.

٨١٠. لا تمنحوا الجهّال: أي لا تعطوهم ولا تعلموهم. والمنحة: العطاء.

٨١١. في الكافي ههنا: «يا هشام ، إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه».

٨١٢. أي قدراً ورفعةً. والخطر: الحظّ والنصيب والقدر والمنزلة.

٨١٣. الزمر: ١٢.

٨١٤. راجع تمام الوصيّة في تحف العقول، أو أصول الكافي.

الفصل العاشر

الرضا المرتضى علي بن موسى(عليهما السلام)

النسب المشرق

الإمام الزكي أبومحمّد(عليه السلام) ثامن أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، مصدر الفيض والعطاء، ومصدر الخير والرحمة إلى الناس. هو ثمرة من ثمرات رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وفرع مشرق من فروعه... .

فأبوه الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب(عليهما السلام) وليس في دنيا الأنساب أرفع ولا أزكى من هذا النسب.

وأُمه من النساء الماجدات في الإسلام، وهي أمة الاّ أنّ هذا لا يُنقص من مكانتها ; لأنّ الإسلام جعل المقياس في تفاوت الناس يدور مدار التقوى والعمل الصالح، ولا أثر لغير ذلك.

اسمها تكتم، وقيل: الخيزران[٨١٥]، وأروى[٨١٦]، ونجمة[٨١٧]، وأم البنين[٨١٨] . وكانت من العابدات المقبِلات على طاعة الله إقبالاً شديداً; فقد تأثّرت بسلوك زوجها الإمام الكاظم(عليه السلام) ، إمام المتّقين والمنيبين إلى الله تعالى. وكان من مظاهر عبادتها أنّها لما ولدت الإمام الرضا(عليه السلام) قالت: أعينوني بمرضعة، فقيل لها: أنَقَص الدرُّ؟ قالت: ما أكذب، ما نقص الدرُّ، ولكن عليّ وِرد من صلاتي وتسبيحي[٨١٩].

وحين أشرقت الأرض بمولد الإمام الرضا(عليه السلام) ، استقبل الإمام الكاظم النبأ بمزيد من الابتهاج، مهنّئاً زوجته بوليدها.

ثم أخذ وليده، وقد لُفّ في خرقة بيضاء، وأجرى عليه المراسم الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنّكه به، ثم ردّه إلى أُمّه، وقال لها: «خذيه فإنّه بقيّة الله في أرضه»[٨٢٠].

---

٨١٥. تذكرة الخواصّ ، ص ٣٦١; بحر الأنساب، ص ٢٨، وبحار الأنوار، ج ١٢، ص ٢.

٨١٦. الصراط السويّ (للشيخاني القادري) ، الورقة ١٦٩، مصوّر ونور الأبصار، ص ١٣٨.

٨١٧. كشف الغمّة ، ج ٣، ص ١٠٢.

٨١٨. الإرشاد ، ص ٣٤٢.

٨١٩. عيون أخبار الرضا ، ج ١، ص ١٤. والدّر: اللبن.

٨٢٠. كشف الغمّة ، ج ٣، ص ٨٨ وعيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٨.

وسمّى الإمام الكاظم(عليه السلام) وليده المبارك باسم جدّه الإمام أميرالمؤمنين علي(عليه السلام)، تبرّكاً بهذا الاسم الذي يشير إلئ أعظم شخصية بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

ألقابه وكناه

أُلّقب الإمام علي بالرضا، الصابر[٨٢١]، الزكي[٨٢٢]، الوافي، سراج الله، قرّة عين المؤمنين[٨٢٣]، مكيدة الملحدين، الصدّيق[٨٢٤]، الفاضل[٨٢٥].

واعتاد أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) أن يكنّوا أبناءهم منذ صغرهم ، وهذا من محاسن التربية الإسلامية الهادفة إلى إشعار الطفل بأنّ له مكانة عند أهله. وقد كُني الإمام الرضا(عليه السلام)بما يلي:

١ . أبوالحسن: كنّاه بذلك أبوه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ، فقد قال(عليه السلام)لعلي بن يقطين: «**يا علي هذا ابني** - وأشار إلى الإمام الرضا(عليه السلام) - **سيّدُ ولدي، وقد نحلته كنيتي**»[٨٢٦]. وكان الإمام الكاظم يكنّى بأبي الحسن أيضاً، ولما كانت هذه الكنية مشتركة بينهما قيل للإمام الكاظم: أبوالحسن الماضي، وللإمام الرضا: أبوالحسن الثاني، وذلك للتفرقة بين الكنيتين.

٢ . أبوبكر: وهذه الكنية نادرة ، ولم يعرف بها إلاّ نادراً. قال أبوالصلت الهروي ، سألني المأمون يوماً عن مسألة، فقلت: قال فيها أبوبكر كذا وكذا، فقال المأمون: من هو أبوبكر؟ أبوبكرنا، أو أبوبكر العامّة؟ قلت: أبوبكرنا.

قال عيسى: قلت لأبي الصلت من هو أبوبكركم؟ فقال: علي بن موسى، كان يكنّى بها[٨٢٧].

والمشهور أنّه ولد في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٨ هجرية[٨٢٨].

هيبته ونقش خاتمه

لقد بدت على الامام الرضا(عليه السلام) هيبة الأنبياء والأوصياء الذين كساهم الله بنوره، وما رآه أحد إلاّ هابه. وكان من هيبته أنّه إذا جلس للناس أو ركب لم يقدر أحد أن يرفع صوته من عظيم هيبته[٨٢٩]. وروي أنّه إذا جاء إلى المأمون بادره الحجّاب والخدم بين يديه، ورفعوا له الستر.

---

٨٢١. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ، ص ١٤٣.

٨٢٢. الصراط السويّ ، الورقة ١٩٩.

٨٢٣. تذكرة الخواصّ ، ص ٣٦١ والدّر النظيم ، ص ٢١٠.

٨٢٤. بحارالأنوار ، ج ١٢ ، ص ٤.

٨٢٥. المصدر نفسه ، ج ٤٩ ، ص ٢٣.

٨٢٦. مقاتل الطالبين ، ص ٥٦١.

٨٢٧. غاية الاختصار ، ص ١٤٨ وبحر الأنساب، ص ٢٨ وأصول الكافي، ج ١، ص ٤٨٦ و الإرشاد ، ٣٤١ والدرّ المسلوك، ص ١٣٩. مصوّر وأخبار الدول، ص ١١٤.

٨٢٨. راجع حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) ، ج ١ ص ٢٧.

٨٢٩. بحار الأنوار ، ج ٤٩، ص ٧.

أمّا النقش الذي كان على خاتم الإمام الرضا(عليه السلام) فهو:«وليي الله»[٨٣٠] و«العزّة لله»[٨٣١].

مراحل حياته(عليه السلام)

١ . عاش الإمام الرضا(عليه السلام) مع أبيه الكاظم(عليه السلام) محنة الظلم والاستبداد العبّاسي ، حتى إذا بلغ الخامسة والثلاثين من عمره الشريف تقلّد مهامّ الإمامة ، واستمرّ دوره حوالي عشرين عاماً.

٢ . اتّسم عهد الإمام الرضا(عليه السلام) بالانفتاح واطمئنان الجماهير الموالية لخطّ أهل البيت(عليهم السلام) ، خصوصاً بعد أن أصبح(عليه السلام) وليّاً لعهد المأمون تحت ضغوط وتهديدات كثيرة أُعملت من قبل المأمون العبّاسي تجاه الرضا(عليه السلام).

٣ . عاش في المدينة إلى أن تمكّن المأمون من إمساك السلطة بعد التنافس مع أفراد أُسرته، فأجبر الإمام(عليه السلام) على الانتقال إلى خراسان ، فأقام بها إلى أن استشهد في آخر شهر صفر من سنة ٢٠٣ هجرية بالسمّ الّذي دسّه له المأمون العبّاسي، ودفن في المحل الذي يعرف به الآن[٨٣٢].

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)

١ . لقد أشاد الإمام الكاظم (عليه السلام) بولده الإمام الرضا، وقدّمه على السادة الأجلاّء من أبنائه، وأوصاهم بخدمته، والرجوع إليه في أُمور دينهم، فقال لهم:«**هذا أخوكم ، علي بن موسى ، عالم آل محمّد**(صلى الله عليه وآله)**، سلوه عن أديانكم، واحفظوا مايقول لكم ; فإنّي سمعت أبي(جعفربن محمّد) يقول لي:إنّ عالم آل محمّد**(صلى الله عليه وآله)**لفي صلبك، وليتني أدركته ; فانّه سَمِيُّ أميرالمؤمنين...**»[٨٣٣].

٢ . وأعلن المأمون العبّاسي عن فضل الإمام الرضا(عليه السلام) في كثير من المناسبات، منها:

أ ـ أنّه قال للفضل بن سهل وأخيه: ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ـ يعني الإمام علي بن موسى ـ على وجه الأرض[٨٣٤].

ب ـ وأشاد بالإمام الرضا(عليه السلام) في رسالته ـ التي بعثها للعباسيين الذين نقموا عليه تقليده ولاية العهد للإمام(عليه السلام) ـ قائلا:

ما بايع له المأمون ـ أي للإمام الرضا ـ إلاّ مستبصراً في أمره ، عالماً بأنّه لم يبق أحد على ظهرها ـ أي على ظهر الأرض ـ أبين فضلاً، ولا أظهر عفّة، ولا أورع ورعاً، ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق

---

٨٣٠. دلائل الإمامة للطبري: ص ١٨٣.

٨٣١. إعلام الورى ، ج ٢، ص ٤١ وراجع عوالم العلوم للبحراني، ج ٢٢، ص ٤٧٧.

٨٣٢. أعيان الشيعة ، ج ٢، ص ١٦.

٨٣٣. بحار الأنوار ، ج ٤٩، ص ٢٠٨.

٨٣٤. أعيان الشيعة ، ج ٢، ص ١٤.

نفساً، ولا أرضى في الخاصة والعامّة، ولا أشدّ في ذات الله منه، وإن البيعة له لَموافقة لرضى الربّ»[٨٣٥].

٣ . وقال أبوالصلت عبدالسلام الهروي ـ وهو من أعلام عصره ـ : ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ولا رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلّمين ، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي منهم أحد إلاّ أقر له بالفضل ، وأقرَّ على نفسه بالقصور...[٨٣٦].

٤ . وقال زعيم الإمامية محمّدبن محمّد النعمان العكبري البغدادي الملقّب بالشيخ المفيد: كان الإمام القائم بعد أبي الحسن موسى بن جعفر(عليهما السلام) ابنه أبا الحسن علي بن موسى الرضا(عليهما السلام) لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته، وظهور علمه وحلمه وورعه، واجتماع الخاصة والعامة على ذلك فيه، ومعرفتهم به منه[٨٣٧].

١ . قال ابن حجر: كان الرضا من أهل العلم والفضل مع شرف النسب...[٨٣٨].

٢ . قال اليافعي: الإمام الجليل المعظّم، سلالة السادة الأكارم ، علي بن موسى الكاظم، أحد الأئمة الاثني عشر، أُولي المناقب الذين انتسبت الإماميّة إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليهم...[٨٣٩].

٣ . قال الذهبي: هو الإمام أبوالحسن بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي... وكان سيّد بني هاشم في زمانه، وأحلمهم، وأنبلهم، وكان المأمون يعظّمه، ويخضع له ويتغالى فيه، حتى إنّه جعله وليّ عهده...[٨٤٠].

فالذهبي الذي عرف بالبغض والعداء لأهل البيت(عليهم السلام) لم يسعه إلاّ الاعتراف بالواقع والإقرار بفضل الإمام الرضا(عليه السلام) .

٤ . لمّا الشعراء المعاصرون للإمام(عليه السلام) فقد مدحوه بأنواع الثناء سوى أبي نؤاس ، فعوتب على ذلك[٨٤١] فقال:

قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً *** في فنون من المقال النبيه
لك من جوهر الكلام نظام *** يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى *** والخصال التي تجمّعن فيه؟

---

٨٣٥. حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) ، ج ١، ص ٥٧.
٨٣٦. الإرشاد ، ص ٣٤١.
٨٣٧. النجوم الزاهرة ، ج ٢، ص ٧٤.
٨٣٨. مرآة الجنان ، ج ٢، ص ١١.
٨٣٩. تأريخ الإسلام ، ج ٨، الورقة ٢٤ وصوّر في مكتبة الإمام الحكيم، التسلسل ٣٢٣.
٨٤٠. ذكر ابن طولون في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) ، ٩٨ ـ ٩٩ أنّ أبانؤاس عوتب على ترك مدح الإمام، فقال له بعض أصحابه: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً ولا طوداً ولا مغني إلاّ قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً؟! فقال: والله ما تركت ذلك إلاّ إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة تلك الأبيات.
٨٤١. خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٠٠.

قلت: لا أهتدي لمدح إمام *** كان جبريل خادماً لأبيه

وهذه الأبيات قدحفظها الناس جيلاً بعدجيل ، واعتبروها من روائع الشعرالعربي .

٥ . خرج الإمام الرضا(عليه السلام) يوماً على بغلة فارهة، فدنا منه أبونؤاس، وسلّم عليه وقال له: يابن رسول الله قلت فيك أبياتاً أُحبّ أن تسمعها منّي. فقال له(عليه السلام): «قل» ، فقال أبونؤاس:

مطَهَّرون نقيّاتٌ ثيابُهُم *** تجري الصلاةُ عليهم كلّما ذُكروا

من لم يكن علوياً حين تَنسِبُه *** فما له في قديم الدهر مفتَخَرُ

أُولئك القوم أهلُ البيت عندهمُ *** علُم الكتاب وما جاءت به السُوَرُ[٨٤٢]

وأعجب الإمام بهذه الأبيات فقال لأبي نؤاس: «قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد...»

ثم التفت إلى غلامه فقال له: «ما معك من فاضل نفقتنا؟» فقال: ثلاثمئة دينار.

قال(عليه السلام): «ادفعها له»، ثم لما ذهب إلى بيته، قال لغلامه: «لعلَّه استقلّها؟ سُق إليه البغلة»[٨٤٣].

٦ . وقال دِعْبِل في مدح الإمام الرضا(عليه السلام) وفي رثائه :

لقد رحل ابنُ موسى بالمعالي *** وسار بيسره العلم الشريف

وتابعه الهدى والدين طُرّاً *** كما يتبع الألف الأليف[٨٤٤]

٧ . أمّا الصاحب بن عبّاد الوزير فقد هام بحبّ الإمام الرضا(عليه السلام) ، وقد أهدى تحياته العطرة إلى الإمام بهذه الأبيات:

يا سايراً زائراً إلى طوس *** مشهدِ طهر وأرضِ تقديس

أبلغ سلامي الرضا وحطّ على *** أكرم رمس لخير مرموس

والله والله حلفة صدرت *** من مخلص في الولاء مغموس

إنّي لو كنت مالكاً أربي *** كان بطوس الغنّاء تعريسي

لمشهد بالزكاء ملتحف *** وبالسنى والثناء مأنوس[٨٤٥]

قبس من فضائل الإمام الرضا(عليه السلام)ومظاهر شخصيّته

لقد كانت شخصية الإمام الرضا(عليه السلام) ملتقىً للفضائل بجميع أبعادها وصورها، فقد وهبه الله كلّ مكرمة، وحباه بكل شرف ، وجعله علماً لأُمّة جدّه، يهتدي به الحائرون، ويرشد به الضالون، وتستنير به العقول.

---

٨٤٢. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٦٠ وكشف الغمّة، ج ٣، ص ١٠٧.

٨٤٣. ديوان دعبل ، ص ١٠٨.

٨٤٤. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ١، ص ٤.

٨٤٥. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ١، ص ٤.

لقد كانت أخلاقه نفحة من أخلاق جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)الذي امتاز على سائر النبيين بهذه الظاهرة الكريمة ; اذ استطاع بسمو أخلاقه أن يرتقي بحياة الإنسان، وينقذه من أوحال الجاهلية ، وإليك لمحات من مكارم أخلاقه:

١ . تواضعه

لقد تقلّد الامام(عليه السلام) ولاية العهد ولكنّه لم يأمر أحداً من مواليه وخدمه بأداء الكثير من شؤونه حتى قيل إنّه احتاج إلى الحمّام فكره أن يأمر أحداً بتهيئته له، ومضى إلى حمّام في البلد لم يكن صاحبه يظنّ أنّ ولي العهد يأتي إلى الحمّام في السوق ; فإنّ حمّامات الملوك في قصورهم.

ولمّا دخل الإمام الحمّام كان فيه جندي، فأزال الإمام عن موضعه، وأمره أن يصبّ الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، ودخل الحمّام من كان يعرف الإمام ، فصاح بالجندي : هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟

فخاف الجندي، ووقع على الإمام يقبّل أقدامه، ويقول له متضرّعاً : يابن رسول الله! هلاّ عصيتني إذ أمرتُك؟

فتبسّم الإمام في وجهه ، وقال له برفق ولطف: «**إنّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أُثابُ عليه**»[٨٤٦].

وكان إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السايس والبوّاب[٨٤٧] .

وقال له رجل: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً.

فقال(عليه السلام) : «**التقوى شرّفتهم، وطاعة الله أحفظتهم**».

وقال له شخص آخر : أنت والله خير الناس...فرّد عليه قائلاً:

«**لا تحلف يا هذا، خيرٌ منّي من كان أتقى لله عزّوجلّ، وأطوع له، والله ما نُسخت هذه الآية: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)**»[٨٤٨].

٢ . زهده

وقد تحدّث عن زهده محمّد بن عبّاد حيث قال: كان جلوس الرضا على حصيرة في الصيف، وعلى مسح[٨٤٩] في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب ، حتى إذا برز للناس تزيّن لهم[٨٥٠].

---

٨٤٦. نورالأبصار ، ص ١٣٨.

٨٤٧. راجع الكافي، ج٨ ص٢٣٠ ، المناقب لابن شهرآشوب، ج٤، ص٢٦١. السايس:القائم بالأمر.

٨٤٨. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ٢، ص ٢٣٦ والآية ١٣ من سورة الحجرات. الحيف: الظلم.

٨٤٩. المسح: الكساء من الشعر.

٨٥٠. عيون أخبار الرضا ، ج ٢، ص ١٧٨ والمناقب، ج ٤، ص ٣٦١.

وروي: أنّه التقاه سفيان الثوري، وكان الإمام قد لبس ثوباً من خَزّ، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو لبست ثوباً أدنى من هذا؟ فأخذ الإمام(عليه السلام) يده برفق، وأدخلها في كُمّه ، فإذا تحت ذلك الثوب مسح، وقال(عليه السلام) له:

«**يا سفيان ، الخزّ للخلق، والمسح للحقّ...**»[٨٥١].

وحينما تقلّد ولاية العهد لم يحفل بأيّ مظهر من مظاهر السلطة، ولم يُقِم لها أيّ وزن ، ولم يرغب في أي موكب رسميّ، وكره مظاهر العظمة التي يقيمها الناس لملوكهم.

٣ . سخاؤه

ولم يكن شيء في الدنيا أحبّ إلى الإمام الرضا(عليه السلام) من الإحسان إلى الناس ، والبرّ بالفقراء. وقد نقلت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه كان منها ما يلي:

١ . إنّه أنفق جميع ما عنده على الفقراء حينما كان في خراسان، وذلك في يوم عرفة ، فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: إنّ هذا المَغْرَم...

فأجابه الإمام: «**بل هو المَغْنَم ، لاتحدّث مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً**»[٨٥٢].

يرى الامام(عليه السلام)أنّه ليس من المغرم صلة الفقراء والإحسان إلى الضعفاء ، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وإنّما المغرم الإنفاق بغير وجه مشروع كإنفاق الملوك والوزراء الأموال الطائلة على المغنيّن والعابثين.

٢ . ووفد عليه رجل فسلّم عليه وقال له: أنا رجل من محبّيك ومحبّي آبائك، ومصدري من الحج، وقد نفذت نفقتي، وما معي ما أبلُغُ مرحلة، فإن رأيت أن ترجعني إلى بلدي، فإذا بلغت تصدّقت بالذي تعطيني عنك.

فقال له: «اجلس رحمك الله» ، وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري وحيثمة ، فاستأذن الإمام منهم ، ودخل الدار ، ثم خرج وردّ الباب وخرج من أعلى الباب وقال: «أين الخراساني؟» فقام إليه، فقال(عليه السلام) له: «خذ هذه المئتي دينار واستغنِ بها في مؤونتك ونفقتك، ولا تتصدّق بها عنّي». وانصرف الرجل مسروراً قد غمرته نعمة الإمام. والتفت إليه سليمان فقال له: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟.

فأجابه(عليه السلام) : «إنّما صنعت ذلك مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته. أما سمعت حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله): **المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجّة، والمذيع بالسيئة مخذول**...أما سمعت قول الشاعر:

متى آته يوماً لأطلب حاجة *** رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه»[٨٥٣]

---

٨٥١. المناقب ، ج ٤، ص ٣٦٠. المسح: ثوب خشن.

٨٥٢. المناقب ، ج ٤، ص ٣٦١.

٣ . ومن بوادر جوده وكرمه أنّ فقيراً قال له: أعطني على قدر مروّتك...

فأجابه الإمام: «لا يسعني ذلك...»

والتفت الفقير إلى خطأ كلامه ، فقال ثانياً: أعطني على قدر مروّتي...

وقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً: «إذن نعم...» وأمر له بمئتي دينار[٨٥٤].

إنّ مروءة الإمام لا تُقدّر بمقدار ، ولذا لو أعطاه جميع ما عنده فإنّ ذلك ليس على قدر مروءته التي هي امتداد لمروءة جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله).

هذه بعض مظاهر كرمه، وهي تنمّ عن نفس خُلقت للإحسان والبرّ والمعروف.

٤ . تكريمه للضيوف

كان(عليه السلام) يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه وإحسانه، وكان يبادر بنفسه لخدمتهم. وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدّثه في بعض الليل فتغيّر السراج ، فبادر الضيف لإصلاحه ، فوثب الإمام وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: «**إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا**»[٨٥٥].

٥ . عتقه للعبيد وإحسانه إليهم

لقد رُوي أنّه أعتق ألف مملوك[٨٥٦] ، وكان كثير البرّ والإحسان إليهم. وقد روى عبدالله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا(عليه السلام) في سفره إلى خراسان ، فدعا يوماً بمائدة ، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة. فأنكر عليه ذلك وقال له:

«**إنّ الربّ ـ تبارك وتعالى ـ واحد، والأُم واحدة، والجزاء بالأعمال...**»[٨٥٧].

٦ . علمه

الشيء البارز في شخصية الإمام الرضا(عليه السلام) هو إحاطته بجميع العلوم والمعارف، فقد كان ـ بإجماع المؤرخين ـ أعلم أهل زمانه، وأفضلهم ، وأدراهم بأحكام الدين والفلسفة والطب وغيرها من سائر العلوم. وقد تحدّث عبد السلام الهروي عن سعة علومه، وكان مرافقاً له ، فقال:

---

٨٥٣. الكافي ، ج ٢، ص ٤٢٨ وراجع عوالم العلوم للبحراني، ج ٢٢، ص ١٩٩.

٨٥٤. الكافي ، ج ٦، ص ٢٨٣.

٨٥٥. الإتحاف بحبّ الاشراف ، ص ١٥٥.

٨٥٦. بحار الأنوار ، ج ٤٩، ص ١٠١.

٨٥٧. كشف الغمّة ، ج ٢، ص ٣١٦.

ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ما رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلّمين ، فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلاّ أقرّ له بالفضل، وأقرّ له على نفسه بالقصور. ولقد سمعته يقول: «**كنت أجلس في (الروضة) والعلماء بالمدينة متوافرون ، فإذا عيّ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ المسألة فأُجيب عنها...**»[٨٥٨].

ويقول إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا يسأل عن شيء قطّ إلاّ علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأوّل إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيُجيب...[٨٥٩].

وقد دلّت على ذلك مناظراته في خراسان والبصرة والكوفة حيث سئل عن أعقد المسائل، فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصّص ، وقد أذعن له علماء الدنيا في عصره ، وأقرّوا له بالفضل والتفوّق عليهم.

نماذج من علم الإمام الرضا (عليه السلام)

أولا : معرفته بجميع اللّغات : روى أبوإسماعيل السندي فقال: سمعت بالهند أنّ لله في العرب حجّة، فخرجت في طلبه، فدُلِلت على الرضا(عليه السلام) ، فقصدته وأنا لا أحسن العربية، فسلّمت عليه بالسندية، فردّ عليّ بلغتي، فجعلت أكلّمه بالسندية، وهو يردّ عليّ بها، وقلت له: إنّي سمعت أنّ لله حجّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال(عليه السلام) : أنا هو. ثم قال لي: «سل عمّـا أردته» فسألته عن مسائل فأجابني(عليه السلام)عنها بلغتي[٨٦٠].

وقال أبوالصلت الهروي: كان الرضا(عليه السلام) يكلّم الناس بلغاتهم، فقلت له في ذلك فقال:

«يا أبا الصلت ، أنا حجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم، وهو لا يعرف لغاتهم. أَوَما بلغك قول أميرالمؤمنين(عليه السلام) : أُوتينا فصل الخطاب، وهل هو إلاّ معرفته اللغات؟!»[٨٦١].

ثانياً : علمه بالملاحم: أخبر الإمام الرضا(عليه السلام) عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، وتحقّقت بعد ذلك على الوجه الأكمل الذي أخبر به، وهي تؤكّد ـ بصورة واضحة ـ أصالة ما تذهب إليه الإمامية من أنّ الله تعالى قد منح أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)المزيد من الفضل والعلم كما منح رسله. ومن بين ما أخبر به ما يلي:

١ . روى الحسن بن بشار قال: قال الرضا: «إنّ عبدالله ـ يعني المأمون ـ يقتل محمّداً ـ يعني الأمين ـ» فقلت له: عبد الله بن هارون يقتل محمّد بن هارون؟ قال نعم: «عبدالله الذي بخراسان يقتل محمّدبن زبيدة الذي هو ببغداد» وكان يتمثّل بهذا البيت:

«وإنّ الضغن بعد الضغن يفشو *** عليك، ويخرج الداء الدفينا»[٨٦٢]

---

٨٥٨. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ٢، ص ١٨ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٢، ص ١٧٩.

٨٥٩. بحار الأنوار ، ج ٤٩، ص ٥٠.

٨٦٠. المناقب ، ج ٤، ص ٣٣٣.

٨٦١. المناقب ، ج ٤، ص ٣٣٥، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٠٩.

ولم تمضِ الأيام حتى قتل المأمون أخاه الأمين.

٢ . ومن بين الأحداث التي أخبر عنها: أنّه لما خرج محمّد بن الإمام الصادق بمكّة، ودعا الناس إلى نفسه، وخلع بيعة المأمون، قصده الإمام الرضا، وقال له:

«ياعم لا تكذِّب أباك ولا أخاك ـ يعني الإمام الكاظم(عليه السلام) ـ فإنّ هذا الأمر لا يتمّ» ثم خرج، ولم يلبث محمّد إلاّ قليلاً حتى لاحقته جيوش المأمون بقيادة الجلودي ، فانهزم محمّد ومن معه، وطلب الأمان، فآمنه الجلودي، وصعد المنبر وخلع نفسه، وقال: إنّ هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حقّ[٨٦٣].

٣ . قال الحسين نجل الإمام موسى(عليه السلام) : كنّا حول أبي الحسن الرضا(عليه السلام)، ونحن شبّان من بني هاشم ، إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي ، وهو رثّ الهيئة ، فنظر بعضنا إلى بعض وضحكنا من هيئته، فقال الرضا(عليه السلام): «لترونّه عن قريب كثير المال، كثير التبع» فما مضى إلاّ شهر ونحوه حتى ولي المدينة وحسنت حاله[٨٦٤].

٤ . وقال صفوان بن يحيى: لمّا مضى أبو إبراهيم ـ يعني الإمام الكاظم(عليه السلام) ـ وتكلّم أبوالحسن الرضا(عليه السلام) خفنا عليه، فقيل له: إنّك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإنّا نخاف عليك هذا الطاغية ـ يعني هارون ـ فقال(عليه السلام): «ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ»[٨٦٥].

وتحقّق ذلك ; فإنّ هارون لم يعرض له بسوء وقد أكّد الإمام هذا المعنى لبعض أصحابه، فقد روى محمّد بن سنان قال: قلت لأبي الحسن الرضا في أيّام هارون: إنّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدم ـ أي من دماء أهل البيت وشيعتهم ـ فقال(عليه السلام): «**جرّأني على هذا ما قال رسول الله**(صلى الله عليه وآله)**: إنْ أخذ أبوجهل من رأسي شعرة، فاشهدوا أنّي لست بنبيّ. وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بإمام**»[٨٦٦].

لقد أعلن(عليه السلام) غير مرّة أنّ هارون لا يعرض له بسوء، وأنّه يدفن إلى جانب هارون، فقد روى حمزة بن جعفر الأرجاني أنّه خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج علي الرضا من باب ، فقال(عليه السلام): «**يا بُعد الدار ، وقرب الملتقى; إنّ طوس ستجمعني وإيّاه**»[٨٦٧].

وقال موسى بن هارون: رأيت عليّاً الرضا في مسجد المدينة، وهارون الرشيد يخطب، فقال(عليه السلام): «**تروني وإيّاه ندفن في بيت واحد**»[٨٦٨].

---

٨٦٢. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ٢، ص ٢٠٧.

٨٦٣. الفصول المهمّة ، ص ٢٢٩; المناقب، ج ٤، ص ٣٣٥.

٨٦٤. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ٢، ص ٢٢٦ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٢، ص ٢٢١.

٨٦٥. الكافي ، ج ٨ ص ٢٥٧.

٨٦٦. المناقب ، ج ٤، ص ٣٤٠.

٨٦٧. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ١٥٨.

٨٦٨. المصدر نفسه ، ص ١٥٦.

عبادته وتقواه

يقول بعض جماعته: ما رأيته قطّ إلاّ ذكرت قوله تعالى: (**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**)[٨٦٩].

ويقول الشبراوي عن عبادته: إنّه كان صاحب وضوء وصلاة، وكان في ليله كلّه يتوضّأ ويصلّي ويرقد ، وهكذا إلى الصباح[٨٧٠].

لقد كان الإمام(عليه السلام) أتقى أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى. قال رجاء بن أبي الضحّاك ـ الّذي كان المأمون قد بعثه ليأتي بالإمام إلى خراسان، فكان معه من المدينة المنوّرة إلى مرو ـ عن عبادته:

والله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّوجلّ[٨٧١].

تسلّحه بالدعاء

من مظاهر حياة الإمام الروحية تسلّحه بالدعاء إلى الله تعالى والتجاؤه إليه في جميع أُموره، وكان يجد فيه متعة روحية لا تعادلها أيّة متعة من متع الحياة.

وكان الإمام(عليه السلام) يحثّ أصحابه على الدعاء إلى الله فيقول لهم: «عليكم بسلاح الأنبياء» فيقال له: وما سلاح الأنبياء؟ فيجيب: «الدعاء»[٨٧٢].

وأوصى الإمام أصحابه بإخفاء الدعاء، وأن يدعو الإنسان ربّه سرّاً لا يعلم به أحد، قال(عليه السلام) : «**دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية**»[٨٧٣].

وكان الإمام(عليه السلام) يتسلّح بهذا الدعاء الشريف «**بسم الله الرحمن الرحيم، يا من لا شبيه له ولا مثال، أنت الله لا إله إلاّ أنت، ولا خالق إلاّ أنت، تُفني المخلوقين وتبقى، أنت حلمت عمّن عصاك ، وفي المغفرة رضاك**»[٨٧٤].

كما كان متشبّثاً بهذا الدعاء الجليل: «**استسلمت يا مولاي لك ، وأسلمت نفسي إليك، وتوكّلت في كلّ أُموري عليك، وأنا عبدك وابن عبديك، فأخبئني اللهم في سترك عن شرار خلقك، واعصمني من كلّ أذىً وسوء بمنّك، واكفني شرّ كلّ ذي شرّ بقدرتك.**

اللهمَّ من كادني أو أرادني فإنّي أدرأ بك في نحره، فسدَّ عني أبصار الظالمين إذ كنت ناصري، لا إله إلاّ أنت. يا أرحم الراحمين وإله العالمين، أسألك كفاية الأذى، والعافية والشفاء ، والنصر على الأعداء، والتوفيق

---

٨٦٩. الذاريات ، ١٧.

٨٧٠. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ١٥٩.

٨٧١. بحارالأنوار ، ج ١٢، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٨٧٢. أصول الكافي ، ج ٢، ص ٣٦٨.

٨٧٣. المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٤٧٦.

٨٧٤. مهج الدعوات ، ص ٤٤.

لما تحبّ ربّنا وترضى، ياربّ العالمين، يا جبّار السماوات والأرضين، يا رب محمّد وآله الطيبين الطاهرين، صلواتك عليهم أجمعين»[٨٧٥].

لقد استسلم الإمام(عليه السلام) إلى الله، وأسلم نفسه وجميع أُموره للواحد القهّار الذي بيده جميع مجريات الأحداث، وقد احتجب بهذا الدعاء ليردّ الله عنه كيد المعتدين وظلم الظالمين.

من تراث الإمام الرضا(عليه السلام)

من غرر حكمه

١ . «صديقُ كلِّ امرء عقلُه وعدوُّهُ جهلُهُ».

٢ . «التودُّدُ إلى النّاسِ نصفُ العقلِ».

٣ . «إنَّ الله يبغض القيل والقالَ ، وإضاعة المالِ ، وكثرةَ السُّؤال».

٤ . «لا يتمُّ عقلُ امرىء مسلم حتّى تكون فيه عشرُ خِصال: الخيرُ منه مأمولٌ ، والشَّرُّ منهُ مأمونٌ، يستكثِرُ قليلَ الخيرِ من غيره ، ويستقلُّ كثير الخير من نفسه، لا يسأمُ من طلب الحوائج إليه ، ولا يملُّ من طلبِ العلم طولَ دهرِه، الفقرُ في الله أحبّ إليه من الغنى ، والذُّلُّ في الله أحبُّ إليه من العِزُّ في عدوّه، والخمُولُ أشهى إليه من الشُّهرةِ» ثمَّ قال(عليه السلام): «العاشِرةُ وما العاشِرَة» قيل له: ما هي؟ قال(عليه السلام): «لا يرى أحداً إلاّ قال: هو خيرٌ منّي وأتقى. إنّما الناسُ رجُلانِ: رجلٌ خيرٌ منه وأتقى، ورجلٌ شرٌّ منهُ وأدنى، فإذا لقِـيَ الّذي شرٌّ منه وأدنى قال: لعلَّ خيرَ هذا باطنٌ وهو خيرٌ له ، وخيري ظاهر وهو شرٌّ لي، وإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأتقى تواضع له ليلحَقَ به. فإذا فعل ذلك فقد علا مجدُهُ ، وطابَ خيرهُ ، وحَسُنَ ذِكرُه ، وساد أهل زمانه».

٥ . وسألَهُ أحمدبن نجم[٨٧٦] عن العُجب الّذي يُفسِد العمل؟ فقال(عليه السلام): «العُجبُ درجاتٌ: منها أن يُزيَّن للعبد سوءُ عملِه فيراهُ حسناً فيعجِبُهُ ويحسب أنّه يُحسن صنعاً. ومنها أن يؤمنَ العبدُ بربّه فَيَمنَّ على الله[٨٧٧] ولله المِنَّةُ عليهِ فيهِ».

٦ . وسُئِلَ عن خيار العباد؟ فقال(عليه السلام) : «الّذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلُوا صبروا، وإذا غضِبوا عَفَوْا».

٧ . وسأ لَهُ رجلٌ عن قول الله: (**ومن يتوكَّل على الله فهو حَسبُهُ**)[٨٧٨] فقال(عليه السلام): «التوكُّلُ درجاتٌ: منها أن تثِقَ به في أمركَ كلّه فيما فعل بك، فما فعل بك كنتَ راضياً ، وتعلَمَ أنَّهُ لم يأ لُك خيراً ونظراً[٨٧٩] ، وتعلم أنَّ الحُكمَ في ذلك له، فتتوكَّلَ عليه بتفويض ذلك إليه. ومن ذلك الإيمانُ بغيوب الله التي التي لم يحط عِلمُكَ بها فوكلت عِلمها إليه وإلى أُمنائه عليها ووثقت به فيها وفي غيرها».

---

٨٧٥. المصباح ، ص ٢١٧.

٨٧٦. رواه الكليني(رحمه الله) في الكافي ، ٢ ، ٣١٣.

٨٧٧. في بعض النسخ ، «فيمتن».

٨٧٨. الطلاق: ٣.

٨٧٩. ألا في الأمر: قصّر وأبطأ وترك الجهد، ومنه يقال: لم يأل جهداً.

٨ . «لا يكون المؤمن مؤمِناً حتّى تكون فيه ثلاثُ خصال: سُنَّةٌ من ربِّه وسُنّةٌ من نبيِّه(صلى الله عليه وآله) وسُنّةٌ من وليِّه(عليه السلام) . فأمّا السُنّة من ربِّه فكتمانُ السِّر، وأمّا السُنّة من نبيّه(صلى الله عليه وآله)فمداراةُ الناس، وأمّا السُّنّة من وليِّه(عليه السلام) فالصَّبرُ في البأساء والضراء».

٩ . «لا يستَكمِلُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتّى تكون فيه خِصالٌ ثلاثٌ: التَّفقُّهُ في الدِّينِ، وحُسنُ التقديرِ في المعيشةِ، والصَّبر على الرَّزايا».

١٠ . «إنَّ من علامات الفِقه: الحِلم والعلم، والصَّمتُ بابٌ من أبواب الحكمة. إنَّ الصَّمتَ يكسِبُ المحبَّةَ، إنَّهُ دليلٌ على كُلِّ خير»[٨٨٠].

١١ . «ما من شيء من الفضول إلاّ وهو يحتاجُ إلى الفضول من الكلام».

١٢ . «الأمان أربعةُ أركان: التّوكل على الله، والرّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله. قال العبدُ الصالح[٨٨١]: (**وأُفوّض أمري إلى الله فوقاهُ الله سيئات ما مكروا**).

١٣ . وقال(عليه السلام) : «خمسٌ من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدُّنيا والآخرة: من لم تعرِف الوثاقةَ في أُرومته، والكرمَ في طِباعه، والرَّصانةَ في خُلقِه ، والنبل في نفسهِ[٨٨٢] ، والمخافَةَ لربِّه».

١٤ . وقال(عليه السلام) لأبي هاشم داود بن القاسِم الجعفريّ[٨٨٣]: «يادوادُ ، إنَّ لنا عليكُم حقّاً برسولِ الله(صلى الله عليه وآله)، وإنَّ لكُمْ علينا حقّاً. فمَنْ عرفَ حقَّنا وجبَ حقُّهُ، ومَنْ لَم يَعرِف حقَّنا فلا حقَّ لَهُ».

١٥ . وقال(عليه السلام) لأبي هاشم الجعفريّ: «يا أباهاشم ، العقلُ حِباءٌ من الله، والأدبُ كُلفَةٌ، فمنْ تكلَّفَ الأدبَ قَدَرَ عليه ، ومَنْ تكلَّف العقل لم يزدد بذلِك إلاّ جهلاً»[٨٨٤].

١٦ . وقال له ابن السِّكيت: ما الحُجّةُ على الخَلقِ اليومَ؟ فقال(عليه السلام): «العقلُ ، يعرفُ بهِ الصّادق على الله فيُصَدِّقُهُ والكاذِب على الله فيُكذِّبُهُ». فقال ابن السِّكيت: «هذا ، والله ، هو الجوابُ».

١٧ . «من أخلاق الأنبياء التنظُّفُ».

١٨ . «ليس لبخيل راحةٌ، ولا لحسود لَذَّةٌ، ولا لِملول وفاءٌ ، ولا لِكذوب مروَّةٌ».

١٩ . «الأخُ الأكبر بمنزلة الأب».

٢٠ . وسُئِلَ(عليه السلام) عن السَّفَلَة فقال: «من كان لهُ شيءٌ يُلهيه عن الله».

٢١ . وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال(عليه السلام) : «أصبحتُ بأجَل منقوص، وعمل محفوظ، والموتُ في رِقابِنا، والنارُ منورائنا، ولاندري ما يُفعَلُ بِنا».

٢٢ . «صِل رحِمكَ ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرَّحِمُ كفُّ الأذى عنها».

---

٨٨٠. وفي بعض النسخ: «على كلّ حقّ».

٨٨١. أراد(عليه السلام) بالعبد الصالح مؤمن آل فرعون، والآية ٤٤ من سورة غافر.

٨٨٢. الأُرومة: الأصل. ورَصُن: استحكم واشتدّ وثبت. والنُبل: الفضل والنجابة.

٨٨٣. وهو ثقة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الائمة. شاهد منهم الإمام الثامن الى الثاني عشر(عليهم السلام)وهو من وكلاء الناحيه الذين لا تختلف الشيعة فيهم. توفي سنة ٢٦١هـ .

٨٨٤. الحِباء ـ بالكسر ـ : العطية. والمراد أنّ العقل غريزة موهبة من الله فكان في فطرة الإنسان وجبلّته فليس للكسب فيه أثر، فمن لم يكن فيه عقل ليس له صلاحية اكتساب العقل بخلاف الأدب فإنّ الأدب هو السيرة والطريقة الحسنة في المحاورات والمعاشرات فيمكن للإنسان تحصيله بأن يتجشّمه ويتكلّفه. وأبوهاشم الجعفري هو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

٢٣ . «إنَّ الَّذي يَطلبُ من فضل يكفُّ به عيالَهُ أعظمُ أجراً من المجاهِد في سبيلِ الله».

٢٤ . «السَّخيُّ يأكُل من طعام الناس ليأكُلوا من طعامِه، والبخيلُ لا يأكُلُ من طعام النّاس لئلاّ يأكلوا من طعامه».

٢٥ . «عونُكَ للضَّعيفِ من أفضلِ الصَّدقَةِ»[٨٨٥].

٨٨٥. راجع محتويات هذا الدرس في تحف العقول ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٩.

الفصل الحادي عشر

الجواد التقيّ الإمام محمّد بن علي(عليهما السلام)

نسبه المشرق

الإمام أبوجعفر(عليه السلام) ; من صميم الأُسرة النبويّة التي هي من أجلّ الأُسر التي عرفتها الإنسانية في جميع أدوارها، تلك الأُسرة التي أمدّت العالم بعناصر الفضيلة والكمال، وأضاءت جوانب الحياة بالعلم والإيمان.

فالأب هو الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام)، وهذه هي السلسلة الذهبية التي لو قرأت على الصمّ البكم لبرئوا بإذن الله عزّوجلّ، كما قال المأمون العباسي[٨٨٦]. وقال إمام الحنابلة: لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جُنّته[٨٨٧].

الأُمّ هي السيّدة الفاضلة الكريمة الّتي سمّاها الإمام الرضا(عليه السلام)بالخيزران ، كما كانت تسمّى درّة أو ذرّة[٨٨٨] ، وقيل: إنّها كانت تنتسب إلى أهل مارية القبطيّة ، أم ابراهيم زوجة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)[٨٨٩].

كنيته وألقابه

وكُنّيَ بأبي جعفر، وهي كنية جدّه الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) ، ويفرّق بينهما فيقال للإمام الباقر: أبوجعفر الأوّل، وللإمام الجواد: أبوجعفر الثاني.

ولقّب بالجواد; لكثرة ما أسداه من الخير والبرّ والإحسان إلى الناس.

ولقّب بالتقّي; لأنّه اتقّى الله وأناب إليه واعتصم به فلم يستجب لأيّ داع من دواعي الهوى ; اذ امتحنه المأمون بشتّى ألوان المغريات فلم ينخدع، بل أناب إلى الله وآثر طاعته على كلّ شيء.

كما لقّب بالقانع ، والمرتضى[٨٩٠]، والرضي، والمختار، والمتوكّل، والزكي[٨٩١]. وعرف أيضاً بباب المراد عند عامّة المسلمين ، لوضوح أنّه باب من أبواب الرحمة الإلهيّة التي يلجأ إليها الملهوفون وذوو الحاجة لدفع ما ألمّ بهم من مكاره الدهر وفجائع الأيام.

---

٨٨٦. عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ، ج ٢، ص ١٤٧.

٨٨٧. الصواعق المحرقة ، ص ٢٠٧.

٨٨٨. أعيان الشيعة ، ج ٢، ص ٣٢.

٨٨٩. المقنعة ، ص ٤٨٢.

٨٩٠. دلائل الإمامة ، ص ٢٠٩ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٢٧.

تاريخ ولادته

المشهور بين المؤرّخين أنّ ولادة الإمام أبي جعفر الجواد(عليه السلام) كانت في سنة ١٩٥ هـ في النصف أو ١٧ أو ١٩ من شهر رمضان ، أو لعشرخلون من رجب[٨٩٢].

نشأته

نشأ الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) في بيت النبوّة والإمامة ، ذلك البيت الذي أعزّ الله به المسلمين. وقد ترعرع(عليه السلام) في ظلاله وهو يتلقّى المُثل العليا من أبيه، وقد أفاض عليه أشعة من روحه العظيمة، وتولّى بنفسه تربيته، فكان يصحبه في حلّه وسفره، ويطعمه بيده. روى يحيى الصنعاني فقال: دخلت على أبي الحسن الرضا(عليه السلام)وهو بمكّة، وكان يقشّر موزاً، ويطعم أبا جعفر، فقلت له: جعلت فداك، هذا المولود المبارك؟ قال(عليه السلام): «**نعم ، يا يحيى ، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مولود أعظم بركة على شيعتنا منه**»[٨٩٣].

ذكاؤه

امتلك الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) في سنّه المبكِّرة من الذكاء والعبقرية ما يثير الدهشة ويملك النفس إكباراً وإعجاباً، وقد ذكر المؤرّخون مظاهر من ذكائه كان من بينها:

١ . ما رواه أُميّة بن عليّ قال: كنت مع أبي الحسن الرضا(عليه السلام) بمكّة في السنة التي حجّ فيها مودّعاً البيت الحرام ، عندما أراد السفر إلى خراسان، وكان معه ولده أبوجعفر الجواد، فودّع أبوالحسن البيت، وعدل إلى المقام فصلّى عنده. وكان أبوجعفر قد حمله موفّق الخادم يطوف به ، وحينما انتهى إلى الحجر جلس فيه وأطال الجلوس، فانبرى إليه موفق، وطلب منه القيام معه ، فأبى عليه وهو حزين، قد بان عليه الجزع، فأسرع موفق إلى الإمام الرضا(عليه السلام)وأخبره بشأن ولده، فأسرع إليه، وطلب منه القيام ، فأجابه بنبرات مشفوعة بالبكاء والحسرات قائلاً:

«كيف أقوم وقد ودّعتَ ـ يا أبتي ـ البيت وداعاً لا رجوع بعده؟!»

وسرت موجة من الألم في نفس الإمام الرضا(عليه السلام) فالتمس منه القيام معه فأجابه إلى ذلك[٨٩٤].

ودلّت هذه البادرة على مدى ذكائه، فقد أدرك من كيفيّة وداع أبيه للبيت الحرام أنّه الوداع الأخير له ; لأنّه رأى ما عليه من الوجل والأسى ، ممّا أوحى إليه أنّه النهاية الأخيرة من حياته. وقد تحقّق ذلك فعلاً ; اذ لم يَعُد الإمام الرضا(عليه السلام)بعد سفره إلى خراسان لم يعد إلى الديار المقدّسة، وقضى شهيداً مسموماً على يد المأمون العبّاسي.

---

٨٩١. نور الأبصار ، ص ١٤٦ والفصول المهمّة لابن الصبّاغ، ص ٢٥٢.

٨٩٢. مكارم الأخلاق ، ص ٩٢ وعوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٢٣.

٨٩٣. كشف الغمّة ، ج ٢، ص ٣٦٢.

٨٩٤. أخبار الدول ، ص ١١٥ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٤٤.

٢ . ومن آيات نبوغه المذهل أنّه في سنّه المبكرة قد سأله العلماء والفقهاء عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها، ولا مجال لتعليل هذه الظاهرة إلاّ بالقول: إنّ الله تعالى قد منح أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) طاقات من العلم لم يمنحها إلاّ إلى أُولي العزم من أنبيائه ورسله.

مراحل حياته

استلم الإمام محمّد بن علي الجواد(عليهما السلام) مهام الإمامة بعد استشهاد أبيه ـ وهو لم يزل في الثامنة من عمره الشريف ـ وأظهر من المعجزات والبيان والحجج والبراهين ما دلّ على حقّانية مبدأ الإمامة عند أهل البيت(عليهم السلام).

وانتقل إلى مدينة جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد استشهاد أبيه الرضا(عليه السلام)وزواجه من ابنة المأمون (أُم الفضل). ولم يزل فيها حتى أشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد ، فاستشهد فيها ودفن في مقابر قريش خلف قبر جدّه الإمام الكاظم(عليهما السلام) في نهاية ذي القعدة سنة ٢٢٠هـ ، بواسطة السم الذي دسّه إليه المعتصم من خلال اخته أُم الفضل.

كانت مدّة إمامته حوالي سبعة عشر عاماً ، واتّسمت أكثر أيّامه بالتقيّة، وتصدّى إلى الإعداد الفكري والروحي للقواعد الشيعية الواسعة لتستقبل عصر الغيبة بعد أن كثرت الاتّجاهات المعادية والمناوئة لأئمّة أهل البيت(عليهم السلام) ، وبدأت السلطات تضع الإمام(عليه السلام)ووكلاءه تحت رقابتها المشدّدة.

انطباعات عن شخصية الإمام الجواد(عليه السلام)

ملكت مواهب الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) عقول وعواطف من عاصره ومن تطلّع إلى شخصيته، فما استطاع أحد أن ينكر ذلك الحقّ، وإنّما سجّل الجميع إعجابهم وإكبارهم له. وفيما يلي بعض ما قالوه:

١ . قال المأمون لبني العبّاس ـ لما طلبوا منه الإعراض عن تزويج الإمام الجواد (عليه السلام)لابنته ـ : قد اخترته لتبريزه على كافّة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والاعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلمون أنّ الرأي ما رأيت فيه[٨٩٥].

وقال له أيضاً : أنت ابن الرضا حقّاً، ومن بيت المصطفى صدقاً[٨٩٦].

٢ . قال أبوالعيناء للإمام الجواد(عليه السلام) وهو يعزيّه بأبيه(عليه السلام) : أنت تجلّ عن وصفنا، ونحن نقلّ عن وعظك، وفي علم الله ما كفا، وفي ثواب الله ما عزّاك[٨٩٧].

---

٨٩٥. الفصول المهمّة ، ص ٢٥٣.

٨٩٦. المصدر نفسه.

٨٩٧. المناقب ، ج ٢، ص ٤١٣.

٣ . قال صلاح الدين الصفدي: محمّد بن علي: هو الجواد بن الرضا بن الكاظم موسى بن الصادق جعفر رضي الله عنهم. كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى، وكان من سروات آل بيت النبوّة. زوّجه المأمون ابنته، وكان يبعث إلى المدينة في كلّ عام بأكثر من ألف ألف درهم. توفي ببغداد شابّاً طرياً بعد وفاة المأمون سنة عشرين ومائتين. وقد قدم على المعتصم فأكرمه وأجلّه، وقبره عند قبر جدّه موسى ... وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقِّب الجواد ، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر، ومولده سنة خمس وتسعين ومائة[٨٩٨].

٤ . قال ابن تيميّة: محمّد بن عليّ الجواد : كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء، ولهذا سمّي بالجواد[٨٩٩].

٥ . قال الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة: أمّا مناقب أبي جعفر الجواد فما اتّسعت حلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها ، بل قضت عليه الأقدار الإلهيّة بقلّة بقائه في الدنيا بحكمها وأسجالها ، فقلّ في الدنيا مقامه، وعجّل القدوم عليه كزيارة حمامه، فلم تطل بها مدّته ولا امتدّت فيها أيّامه[٩٠٠].

٦ . وأدلى عليّ بن عيسى الإربلي بكلمات أعرب فيها عن عميق إيمانه وولائه للإمام الجواد قائلا: فاق الناس بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وافترع قلّة العلاء ، فما قاربه أحد ولا كاد مجده، عالي المراتب، ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب، ومنصبه يشرف على المناصب. إذا أنس الوفد ناراً قالوا: ليتها ناره، لا نار غالب. له إلى المعالي سمو، وإلى الشرف رواح وغدوّ، وفي السيادة إغراق وعلوّ ، وعلى هام السماك ارتفاع وعلوّ، وعن كلّ رذيلة بعد، وإلى كلّ فضيلة دنوّ. تتأرّج المكارم من أعطافه ، ويقطر المجد من أطرافه، وتُروى أخبار السماح عنه وعن أبنائه وأسلافه. فطوبى لمن سعى في ولائه، والويل لمن رغب في خلافه. إذا اقتُسمت غنائم المجد والمعالي كان له صفاياها، وإذا امتُطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسماها. يباري الغيث جوداً وعطيّة، ويجاري الليث نجدة وحميّة[٩٠١].

قبس من فضائل الإمام الجواد(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

تجسّدت في شخصيّة الإمام أبي جعفر الجواد(عليه السلام) المُثل العليا والسمات الرفيعة التي تعتبر شرطاًأساسيّاً في الامامة في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، ومنها:

١ . العلم والمعرفة

إنّ الإمام لا يدانيه أحد في سعة علومه ومعارفه ، كما لابدّ أن يكون أعلم أهل زمانه، وأدراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين على الإطلاق.

---

٨٩٨. الوافي بالوفيات ، ج ٤، ص ١٠٥. وانظر الذهبي في تاريخ الإسلام ج ٨، الورقة ١٥٨ (مصوّر).
٨٩٩. منهاج السنّة ، ج ٢، ص ١٢٧.
٩٠٠. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ج ٢، ص ٧٤.
٩٠١. كشف الغمّة ، ج ٢، ص ٣٧.

فالإمام أميرالمؤمنين على(عليه السلام) فتق أبواباً من العلوم بلغت ـ كما يذكر عبّاس محمود العقّاد ـ اثنين وثلاثين علماً، وهو الذي أخبر عن التقدّم التكنولوجي الذي يظهر على مسرح الحياة ، حيث قال(عليه السلام): «يأتي زمان على الناس يرى مَنْ في المشرق مَنْ في المغرب، ومَنْ في المغرب يرى مَنْ في المشرق». وقال(عليه السلام): «يأتي زمان على الناس يسمع مَنْ في المشرق مَنْ في المغرب ، ومَنْ في المغرب يسمع مَنْ في المشرق». وتحقّق ذاك بظهور جهاز التلفزيون والراديو ونحوهما. وقال(عليه السلام): «يأتي زمان على الناس يسير فيه الحديد» ، وتحقّق ذلك بظهور القطار والسيارات وغيرها.

أمّا الإمام الصادق(عليه السلام) ـ معجزة العلم والفكر ـ فقد أخبر عن تلوّث الفضاء والبحار، وما ينجم عنهما من الأضرار البالغة للإنسان ، كما أخبر عن وجود الحياة في بعض الكواكب، وهو الذي وضع قواعد التشريح[٩٠٢]. ويعتبر المؤسِّس الأوّل لعلوم الفيزياء والكيمياء، فقد وضع أُصولها على يد تلميذه جابر بن حيّان.

وقد خاض الإمام الجواد(عليه السلام) أيضاً ـ وهو في سن مبكّرة ـ مختلف العلوم حتى اختبره العلماء والفقهاء عن كلّ شيء ، فأجاب عنه، ممّا أوجب انتشار التشيّع لأهل البيت(عليهم السلام)في ذلك العصر ، وذهاب أكثر العلماء إلى القول بإمامته.

لقد احتفّ بالإمام الجواد ـ وهو ابن سبع سنين ـ العلماء والفقهاء والرواة ، وهم ينتهلون من نمير علومه، وقد رووا عنه الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية، ويعتبر ذلك من أوثق الأدلّة على ما تذهب إليه الشيعة في الإمامة[٩٠٣].

٢ . العبادة

كان الإمام الجواد(عليه السلام) أعبد أهل زمانه ، وأشدّهم خوفاً من الله تعالى ، وأخلصهم في طاعته وعبادته، شأنه شأن الائمّة الطاهرين من آبائه(عليهم السلام)الذين وهبوا أرواحهم لله ، وعملوا بكلّ ما يقرّبهم إليه زُلفى. أمّا مظاهر عبادة الإمام الجواد(عليه السلام) فهي:

أ ـ كان الإمام الجواد كثير النوافل ; اذ كان يصلّي يوميّاً ركعتين يقرأ في كلّ ركعة سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص سبعين مرّة[٩٠٤].

وكان كثير العبادة في شهر رجب. قال الريّان بن الصلت: صام أبوجعفر الثاني(عليه السلام)لمّا كان ببغداد يوم النصف من رجب، ويوم سبع وعشرين منه، وصام معه جميع حشمه، وأمرنا أن نصلّي بالصلاة التي هي اثنتا عشرة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة، فإذا فرغت قرأت الحمد أربعاً، وقل هو الله أحد أربعاً ، والمعوّذتين أربعاً، وقلت: لا إله إلاّ الله والله أكبر ، وسبحان الله والحمد لله ولا حول

---

٩٠٢. أنظر توحيد المفضّل.

٩٠٣. أنظر الدرس ٤٧ أيضاً. ولك أن تراجع الاحتجاج أو مسند الإمام محمّدالجواد(عليه السلام).

٩٠٤. وسائل الشيعة ، ج ٥، ص ٢٩٨.

ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم (أربعاً)، الله الله ربّي، ولا أُشرك به شيئاً (أربعاً)، لا أُشرك بربّي أحداً (أربعاً)[٩٠٥].

ب ـ وكان الإمام أبوجعفر(عليه السلام) كثير الحجّ، روى عليّ بن مهزيار بعض الخصوصيات في حجّ الإمام(عليه السلام) قال: رأيت أبا جعفر الثاني(عليه السلام) ليلة الزيارة طاف طواف النساء، وصلّى خلف المقام ، ثمّ دخل زمزم ، فاستقى منها بيده بالدلو الذي يلي الحجر ، وشرب منه ، وصبّ على بعض جسده، ثمّ اطّلع في زمزم مرّتين، وأخبرني بعض أصحابنا أنّه رآه بعد ذلك في سنة فعل مثل ذلك[٩٠٦].

٣ . الزهد

عندما كان الإمام الجواد(عليه السلام) شابّاً في مقتبل العمر كان المأمون يغدق عليه الأموال الوافرة البالغة مليون درهم ، كما كانت الحقوق الشرعية ترد إليه من الطائفة التي تذهب إلى إمامته، بالإضافة إلى الأوقاف التي كانت في قم وغيرها ، إلاّ أنّه لم يكن ينفق شيئاً منها في أُموره الخاصّة ، وإنّما كان ينفقها على الفقراء والمعوزين والمحرومين. وقد رآه الحسين المكاري في بغداد، وكان محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قِبل الأوساط الرسميّة والشعبيّة ، فحدّثته نفسه أنّه لا يرجع إلى وطنه يثرب ، بل سوف يقيم في بغداد غارقاً في النعم والترف، وعرف الإمام قصده، فانعطف عليه وقال له:

«ياحسين، خبز الشعير وملح الجريش في حرم جدّي رسول الله(صلى الله عليه وآله)أحبّ إليَّ ممّا تراني فيه...»[٩٠٧].

إنّه لم يكن من عشّاق تلك المظاهر التي كانت تضفيها عليه الدولة، وإنّما كان كآبائه الذين طلّقوا الدنيا، واتّجهوا إلى الله تعالى ، لا يبغون عنه بديلاً.

٤ . الكرم

كان الإمام أبوجعفر(عليه السلام) من أندى الناس كفّاً ، وأكثرهم سخاءً، وقد لُقِّب بالجواد ; لكثرة كرمه ومعروفه وإحسانه إلى النّاس. وقد ذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من كرمه ، كان منها ما يلي:

١ . قال الصفدي: كان يبعث إلى المدينة في كلّ عام بأكثر من ألف ألف درهم[٩٠٨].

٢ . قال أحمد بن حديد: خرجت مع جماعة حُجّاجاً ، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر(عليه السلام) في بعض الطريق، فأتيته إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة،

---

٩٠٥. المصدر نفسه ، ج ٥، ص ٢٤٣.

٩٠٦. المصدر نفسه ، ج ٩، ص ٥١٥.

٩٠٧. إثبات الهداة ، ج ٦، ص ١٨٥.

٩٠٨. الوافي بالوفيات ، ج ٤، ص ١٠٥.

وأعطاني ، دنانير وقال : فرقّها على أصحابك على قدر ما ذهب، فقسمتها بينهم ، فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر[٩٠٩].

٣ . قال منخل: لقيت محمّدبن علي(عليه السلام) ، فسألته النفقة إلى بيت المقدس، فأعطاني مائة دينار[٩١٠].

٤ . قال داود بن القاسم الجعفري: أعطاني أبوجعفر(عليه السلام) ثلاثمئة دينار، وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه[٩١١].

٥ . كتب(عليه السلام) إلى إبراهيم بن محمّد: «قد بعثت إليك من الدنانير بكذا، ومن الكسوة بكذا، فبارك الله لك فيه وفي جميع نعم الله إليك»[٩١٢].

٦ . إنّ كرم الإمام(عليه السلام) ومعروفه قد شمل حتى الحيوانات، فقد روى محمّد بن الوليد الكرماني قال: أكلت بين يدي أبي جعفر الثاني(عليه السلام) حتى إذا فرغت ورفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام ، فقال(عليه السلام)له: «ما كان في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة، وما كان في البيت فتتبعه والقطه»[٩١٣].

٥ . الإحسان إلى الناس

يعبّر الإحسان إلى الناس والبرّ بهم من سجايا الإمام الجواد(عليه السلام)ومن أبرز سماته، وقد ذكروا بوادر كثيرة من إحسانه ، كان منها ما يلي:

روى أحمد بن زكريا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست وسجستان[٩١٤] قال: رافقت أبا جعفر في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم ، فقلت له وأنا على المائدة: إنّ والينا ـ جعلت فداك ـ يتولاّكم ، أهل البيت ، ويحبّكم وعليَّ في ديوانه خراج، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليه بالإحسان إلي، فقال(عليه السلام): «لا أعرفه» ، فقلت: جعلت فداك ، إنّه على ما قلت ، من محبّيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني. واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة:

«أمّا بعد ، فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإنّ ما لك من عملك إلاّ ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك، واعلم أنّ الله عزّوجلّ سائلك عن مثاقيل الذرّة والخردل»[٩١٥].

---

٩٠٩. بحار الأنوار ، ج ١٢، ص ١٠٩.

٩١٠. الدمعة الساكبة ، ج ٣، ص ١١٢.

٩١١. الإرشاد، ص ٢٩٨ وإعلام الورى، ص ٣٣٤ وأصول الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥.

٩١٢. بحار الأنورا ، ج ١٢، ص ١٢٦.

٩١٣. وسائل الشيعة ، ج ٦، ص ٤٩٩.

٩١٤. سجستان: بلدة جنوبي هراة.

٩١٥. الخردل: نبات حبّه صغير جدّاً.

ولمّا ورد إلى سجستان عرف الوالي ـ وهو الحسين بن عبدالله النيسابوري ـ أنّ الإمام قد أرسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين، وأخذ الكتاب فقبّله، واعتبر ذلك شرفاً له، وسأله عن حاجته فأخبره بها، فقال له: لا تؤدِّ لي خراجاً ما دام لي عمل، ثمّ سأله عن عياله ، فأخبره بعددهم فأمر له ولهم بصلة، وظلّ الرجل لا يؤدّي الخراج ما دام الوالي حيّاً، كما أنّه لم يقطع صلته عنه[٩١٦] ، كلّ ذلك ببركة الإمام ولطفه.

٦. مواساة الناس

وواسى الإمام الجواد(عليه السلام) الناس في سرّائهم وضرّائهم، فقد ذكروا: أنّه قد جرت على إبراهيم بن محمّد الهمداني مظلمة من قِبل الوالي، فكتب إلى الإمام الجواد(عليه السلام)يخبره بما جرى عليه، فتألّم الإمام وأجابه بهذه الرسالة:

«عجّل الله نصرتك على من ظلمك، وكفاك مؤنته، وابشر بنصر الله عاجلاً إن شاء الله، وبالآخرة آجلاً، وأكثر من حمد الله»[٩١٧].

ومن مواساته للناس تعازيه للمنكوبين والمفجوعين، فقد بعث رسالة إلى رجل قد فجع بفقد ولده، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«ذكرت مصيبتك بعليّ ابنك، وذكرت أنّه كان أحبّ ولدك إليك، وكذلك الله عزّوجلّ إنّما يأخذ من الولد وغيره أزكى ما عند أهله، ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة، فأعظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وربط على قلبك، إنّه قدير، وعجّل الله عليك بالخلف، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله...»[٩١٨]، وأعربت هذه الرسالة الرقيقة عن مدى تعاطف الإمام مع الناس، ومواساته لهم في البأساء والضرّاء.

لقد شارك الناس في البأساء والضرّاء وواساهم في فجائعهم ومحنهم ومدَّ يد المعونة إلى فقرائهم وضعفائهم، وبهذا البرّ والإحسان فقد ملك القلوب والعواطف وأخلص له الناس وأحبّوه كأعظم ما يكون الإخلاص والحبّ.

هذه بعض مُثل الإمام الجواد وقيمه، وقد رفعته إلى المستوى الرفيع الذي بلغه آباؤه الذين فجّروا ينابيع العلم والحكمة في الأرض، ورفعوا مشعل الهداية والإيمان بالله تعالى.

---

٩١٦. بحار الأنوار ، ج ١٢، ص ١٢٩.

٩١٧. بحار الأنوار ، ج ١٢، ص ١٢٦.

٩١٨. وسائل الشيعة ، ج ٢، ص ٨٧٤.

٧ ـ ادعيته

للإمام الجواد أدعية كثيرة تمثّل مدى انقطاعه إلى الله تعالى، فمن أدعيته قوله: «**يا من لا شبيه له، ولا مثال، أنت الله ، لا إله إلاّ أنت، ولا خالق إلاّ أنت ، تفني المخلوقين، وتبقى أنت، حلمت عمّن عصاك، وفي المغفرة رضاك...**»[٩١٩].

وكتب إليه محمّد بن الفضيل يسأله أن يعلّمه دعاءً، فكتب إليه: تقول إذا أصبحت وأمسيت: «**الله الله ربّي، الرحمن الرحيم، لا أُشرك به شيئاً». وإن زدت على ذلك فهو خير، ثمّ تدعو بذلك في حاجتك، فهو لكلّ شيء بإذن الله تعالى ، يفعل الله ما يشاء**»[٩٢٠].

وللإمام الجواد(عليه السلام) عشر مناجاة سمّاها بالوسائل إلى المسائل، وجعلها مهراً لزوجته ابنة المأمون العباسي. وقد رواها عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل قائلا: «**إنّها مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة. وينبغي أن لا تجعل في حوائج الدنيا ; لئلاّ يبخس بها حظّه من الآخرة، بها تطرق أبواب الرغبات فتفتح ، وبها تطلب الحاجات فتنجح**».

واليك المناجاة الأخيرة منها اذ قال(عليه السلام) مخاطباً ربّه:

«**جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك، ومن وعدته بالإجابة أن يرجوك ، ولي اللّهم حاجة قد عجزتْ عنها حيلتي ، وكلّت فيها طاقتي ، وضعف عن مرامها قوّتي ، وسوّلت لي نفسي الأمّارة بالسوء ، وعدوّي الغرور الذي أنا منه مبلوّ ، أن أرغب إليك فيها.**

اللهم وأنجِحها بأيمن النجاح ، وأهدها سبيل الفلاح ، واشرح الرّجاء لإسعافك صدري ، ويسّر في أسباب الخير أمري ، وصوّر إليّ الفوز ببلوغ ما رجوته بالوصول إلى ما أمّلته.

ووفّقني اللهم في قضاء حاجتي ، ببلوغ أُمنيّتي ، وتصديق رغبتي ، وأعِذني اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتثبيط.

اللهم إنّك مليء بالمنائح الجزيلة ، وفيّ بها ، وأنت على كلّ شيء قدير ، وبعبادك خبير بصير».

وتمثّل أدعية الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) جوهر الإخلاص والطاعة لله ، فقد اتّصلوا بالله تعالى، وانطبع حبّه في مشاعرهم وعواطفهم، فهاموا بمناجاته والدعاء له.

من تراث الإمام محمّد الجواد(عليه السلام)

من غرر حكمه

١ . «إنّ مَن وَثِقَ بالله أراه السرور، ومن توكّل على الله كفاه الأُمور. والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلاّ المؤمن، والتوكّل على الله نجاة من كلّ سوء وحرز من كلّ عدوّ...»[٩٢١].

---

٩١٩. أعيان الشيعة ، ج ٢، ص ٣٦.

٩٢٠. الكافي ، ج ٢، ص ٥٣٤ وراجع مهج الدعوات، ص ١٥٨ ـ ١٦٥.

٢ . «من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتّقى الله أحبّه الناس»[٩٢٢].

٣ . «من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه»[٩٢٣].

٤ . «القصد إلى الله تعالى بأعماق القلوب أبلغ من إتعاب الجوارح...»[٩٢٤].

٥ . «مِن حُسْن خُلق الرجل كفّ أذاه، ومن كرمه برّه لمن يهواه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه، ومن رفق الرجل بأخيه ترك توبيخه بحضرة من يكره، ومن صدق صحبته إسقاطه المؤونة، ومن علامة محبّته كثرة الموافقة وقلّة المخالفة...»[٩٢٥].

٦ . «حسب المرء من كمال المروّة أن لا يلقى أحداً بما يكره... ومن عقله إنصافُه [و]قبول الحقّ إذا بان له»[٩٢٦].

٧ . «إنّ لله عباداً يخصّهم بدوام النعم ، فلا تزال فيهم ما بذلوا لها، فإذا منعوها نزعها عنهم، وحوّلها إلى غيرهم...»[٩٢٧].

٨ . «ما عظمت نِعَم الله على أحد إلاّ عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض تلك النعمة للزوال...»[٩٢٨].

٩ . «ثلاث خصال تجلب فيهنّ المودّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والانطواء على قلب سليم...»[٩٢٩].

١٠ . «ثلاثة من كنَّ فيه لم يندم: ترك العجلة ، والمشورة ، والتوكّل على الله عند العزيمة. ومن نصح أخاه سرّاً فقد زانه، ومن نصحه علانيةً فقد شانه...»[٩٣٠].

١١ . «عنوان صحيفة المؤمن حُسن خلقه، وعنوان صحيفة السعيد حُسن الثناء عليه، والشكر زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحُسن الأدب زينة العقل، والجمال في اللسان، والكمال في العقل...»[٩٣١].

١٢ . «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه ; لأنّ لهم أجره وفخره وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنّه يبتدئ فيه بنفسه»[٩٣٢].

---

٩٢١. الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ) ، ص ٣٧٣.

٩٢٢. جوهرة الكلام ، ص ١٥٠.

٩٢٣. حياة الإمام محمّد الجواد ، ص ١٠٥.

٩٢٤. الدرّ النظيم ، الورقة ٢٢٣.

٩٢٥. الاتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٧٧ والدّر النظيم، الورقة ٢٢٣.

٩٢٦. حياة الإمام الجواد (للقرشي) ، ص ١٠٦.

٩٢٧. الفصول المهمّة ، ص ٢٥٨.

٩٢٨. المصدر نفسه.

٩٢٩. جوهرة الكلام ، ص ١٥٠.

٩٣٠. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٧٨.

٩٣١. حياة الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) ، ص ١٠٧، ١٠٨.

٩٣٢. المصدر نفسه.

١٣ . «من أصغى إلى ناطق فقد عَبَده، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عَبَدَ إبليس»[٩٣٣].

١٤ . «من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غابَ عن أمر فَرَضِيَه كان كمَن شَهِدَه»[٩٣٤].

١٥ . «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدةٌ له»[٩٣٥].

١٦ . «ملاقاة الاخوان نُشرةٌ وتلقيح للعقل ، وإن كان نزراً قليلاً»[٩٣٦].

١٧ . «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممّن يَنْصَحُه»[٩٣٧].

١٨ . «من هجر المداراة قاربه المكروه»[٩٣٨].

١٩ . «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر»[٩٣٩].

٢٠ . «عزّ المؤمن غناه عن الناس»[٩٤٠].

٢١ . «ثلاثة يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، ولين الجانب ، وكثرة الصدقة»[٩٤١].

٢٢ . «كيف يضيع مَن الله كافله؟ وكيف ينجو مَن الله طالبهُ؟»

٢٣ . «ما هدم الدين مثل البدع، ولا أزال الوقار مثل الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تُصرَفُ البليّة...».

٢٤ . «اعلموا أنّ التقوى عزّ، وأنّ العلم كنز، وأنّ الصمت نور».

٢٥ . «ما استوى رجلان في حسب ودين إلاّ كان أفضلهما عندالله آدبُهما».

٢٦ . «العلماء غرباء ; لكثرة الجهّال بينهم».

٢٧ . «من طلب البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبوراً».

٢٨ . «راكب الشهوات لا تُقال عثرته».

٢٩ . «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتّباعاً لما يهواه».

٣٠ . «الحوائج تُطلَبُ بالرّجاء، وهي تنزل بالقضاء».

٣١ . «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعُمر».

٣٢ . «من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل».

٣٣ . «من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه».

---

٩٣٣. تحف العقول ، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

٩٣٤. المصدر نفسه.

٩٣٥. المصدر نفسه.

٩٣٦. المصدر نفسه.

٩٣٧. الأمالى (للشيخ المفيد) ، ص ٣٢٩.

٩٣٨. في رحاب أئمّة أهل البيت ، ج ٢، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

٩٣٩. المصدر نفسه.

٩٤٠. المصدر نفسه.

٩٤١. انظر حياة الإمام محمّد الجواد(عليه السلام)، ص ١١٣ ـ ١٢٣.

٣٤ . «الصبر على المصيبة مصيبةٌ للشامت».

٣٥ . «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس».

٣٦ . «مقتل الرجل بين فكّيه».

٣٧ . «من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر ممّا أخذ منك».

٣٨ . «ما أنعم الله على عبد نعمةً يعلم أنّها من الله إلاّ كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده، ولا أذنبَ العبدُ ذنباً فعلم أنّ الله يطّلع عليه إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، إلاّ غفر له قبل أن يستغفر».

٣٩ . «الشريف كلّ الشريف لمن شرّفه علمه، والسؤدد كلّ السؤدد لمن اتّقى ربّه».

٤٠ . «أفضل العبادة الإخلاص»[٩٤٢].

٩٤٢. انظر حياة الإمام محمّدالجواد(عليه السلام) ، ص ١١٣ ـ ١٣٣.

الفصل الثاني عشر

الهادي النقيّ الإمام علي بن محمّد(عليهما السلام)

النسب المشرق

الإمام علي الهادي فرع زاك من شجرة النبوّة، وغصن مشرق من دوحة الإمامة ، أعزّ الله به وبآبائه الإسلام، ورفع بهم كلمة التوحيد. وقبل التحدّث عن معالم شخصيته العظيمة نشير إلى الأُصول الكريمة التي تفرّع منها:

فالأب هو الإمام محمّد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، وهو أرفع نسب في الإسلام، ولم تعرف الإنسانية ـ في جميع أدوارها ـ نسباً أجلّ ولا أسمى من هذا النسب الذي أضاء سماء الدنيا.

فالأمّ سمّانة المغربيّة[٩٤٣] ، وهي أُمَةٌ تزوّجها الإمام محمّدالجواد(عليه السلام)فولدت له الإمام عليّ الهادي(عليه السلام)، وكان قد اشتراها له محمّد بن الفرج بسبعين ديناراً[٩٤٤]، وتولّى الإمام(عليه السلام)تربيتها ، فأقبلت على طاعة الله وعبادته ، فكانت من القانتات المتهجّدات والتاليات لكتاب الله[٩٤٥].

وأشرقت الدنيا بولادة الإمام الهادي(عليه السلام) ، فلم تلد امرأة في ذلك العصر مثله علماً وتقوى وتحرّجاً في الدين، وقد ولد في قرية صِريا[٩٤٦] من يثرب[٩٤٧] ، وكان جامعاً لخصال الخير والشرف والنبل.

وبادر الإمام الجواد(عليه السلام) فأجرى على وليده المبارك المراسيم الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وختنه في اليوم السابع من ولادته، وحلق رأسه ، وتصدّق بزنته فضّة على المساكين ، وعقّ عنه بكبش، كما هي العادة المتّبعة عند أئمّة أهل البيت(عليهم السلام).

---

٩٤٣. تذكرة الخواصّ ، ص ٣٩.

٩٤٤. دلائل الامامة ، ص ٢١٦.

٩٤٥. الإمام عليّ الهادي (للقرشي) ، ص ١٦، عن عيون المعجزات.

٩٤٦. صريا: قرية أسّسها الإمام موسى بن الجعفر(عليه السلام) تبعد عن المدينة بثلاثة أميال.

٩٤٧. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٦٧ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

تأريخ ولادته

ولد(عليه السلام) في الثاني من رجب أو النصف من ذي الحجة. في سنة (٢١٢هـ)[٩٤٨] وقيل (٢١٤ هـ)[٩٤٩].

تسميته وكنيته وألقابه

سمّاه أبوه الإمام الجواد(عليه السلام) عليّاً ، وقد شابه جدّيه العظيمين: الإمام أميرالمؤمنين والإمام علي بن الحسين زين العابدين(عليهما السلام)من حيث صفاته وسجاياه.

وكُنّي بأبي الحسن وعُرِف بأبي الحسن الثالث ; إذ إنّ أباالحسن الأوّل هو الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)وأباالحسن الثاني هو الإمام الرضا(عليه السلام) .

أمّا ألقابه الكريمة الّتي تحكي الصفات الرفيعة فيه فهي:

١ . الناصح ; اذ كان من أنصح الناس لأُمّة جدّه.

٢ . التقيّ ; إذ اتّقى الله حقّ تقاته، ولذا فشل المتوكّل فشلا ذريعاً في اغرائه بأنواع المغريات.

٣ . المرتضى ، وهو أشهر ألقابه.

٤ . الفقيه ، فقد كان أفقه أهل عصره، وكان المرجع الأعلى للفقهاء والعلماء.

٥ . العالم ، وكان أعلم الناس لا في شؤون الشريعة الإسلامية فحسب، وإنّما في جميع أنواع العلوم والمعارف.

٦ . الأمين على الدين والدنيا.

٧ . الطيّب ، فلم يكن أحد في عصره أطيب ولا أزكى منه.

٨ . العسكري ; لأنه أقام بسرّ من رأى الّتي كانت تسمّى العسكر[٩٥٠].

٩ . الرشيد ; فقد كان من أرشد الناس ، وأهداهم إلى سواء السبيل.

١٠ . الشهيد ; لأنّه رزق الشهادة على يد أعداء الله.

١١ . الوفي ، فقد كان من أوفى الناس.

١٢ . الخالص من كلّ سوء وعيب.

---

٩٤٨. اصول كافى ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، والإرشاد ، ص ٣٦٨.

٩٤٩. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٦٧ وجوهرة الكلام ، ص ١٥١ ومرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٥٩ و تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ٣٢١.

٩٥٠. عمدة الطالب ، ص ١٨٨ وفي علل الشرائع، ص ٢٤١ أنّ المحلّة الّتي كان يسكنها تسمّى «عسكر».

ملامحه

كانت ملامحه كملامح جدّه الإمام الرضا وأبيه الإمام الجواد(عليهما السلام) ، فقد كان شديد السمرة[٩٥١]. ووصفه الرواة بأنّه كان أدعج العينين[٩٥٢] ، شثن الكفين[٩٥٣] ، عريض الصدر، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، طيّب الريح، وكان جسيم البدن ـ شبيهاً بجدّه الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام) ـ ولم يكن بالقصير المتردّد[٩٥٤] ، ولا بالطويل الممغّط[٩٥٥] ، بعيد المنكبين، ضخم الكراديس...[٩٥٦] ، معتدل القامة[٩٥٧].

هيبته ووقاره

أمّا هيبة الإمام الهادي(عليه السلام) فكانت تعنو لها الجباه، فقد ورث عن آبائه هيبتهم ووقارهم، وكانت تبدو عليه سيماء الأنبياء(عليهم السلام)وبهاء الأوصياء(عليهم السلام)، وما لقيه أحد من خصومه أو شيعته إلاّ هابه ووقّره. وقد تحدّث عن مدى هيبته محمّدبن الحسن الأشتر العلوي قال: كنت مع أبي على باب المتوكّل في جمع من الناس ، ما بين طالبيّ وعبّاسيّ وجعفريّ ، فبينما نحن وقوف إذ جاء أبوالحسن، فترجّل الناس كلّهم إجلالاً وإكباراً له، حتى دخل القصر، وانبرى بعضهم فأنكر هذا التكريم للإمام وقال:

لمن نترجّل ؟! لهذا الغلام؟! ما هو بأشرفنا ، ولا بأكبرنا سنّاً، والله لا نترجّل له إذا خرج.

فردّ عليه أبوهاشم الجعفري وقال: والله لتترجلنّ له صغاراً وذلّة.

وخرج الإمام(عليه السلام) فعلت أصوات التكبير والتهليل، وقام الناس بأسرهم تعظيماً له، فالتفت أبوهاشم إلى القوم قائلاً: أليس زعمتم أنّكم لاتترجّلون له؟!

فلم يملكوا أنفسهم لإعجابهم بالإمام ، وراحوا يقولون: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجّلنا[٩٥٨].

نشأته

نشأ الإمام الهادي(عليه السلام) في أُسرة تميّزت عن الناس بسلوكها المشرق ، وآدابها الرائعة ، وفضائلها النيّرة، فكان الصغير منهم يوقِّر الكبير ، والكبير يحترم الصغير.

لقد نشأ الإمام الهادي في ظلال أبيه الجواد(عليه السلام) الذي كان أُنموذجاً لكلّ ما يعتزّ به الإنسان من الفضائل والمآثر، وقد أفرغ عليه أشعّة من روحه، فلم تبق فضيلة إلاّ غرسها في نفس وليده، وكان يشيد

---

٩٥١. نور الأبصار ، ص ١٦٤ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١١٦ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

٩٥٢. أدعج العينين: شدّة في سواد العينين مع سعتهما.

٩٥٣. شثن الكفّين: هو الميل إلى الغلظة.

٩٥٤. القصير المتردّد: هو المتناهي في القصر.

٩٥٥. الممغّط: هو المتناهي في الطول.

٩٥٦. مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء: ج ٣، ص ٢٠. الكراديس: المفاصل.

٩٥٧. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ، ص ١٥١.

٩٥٨. بحار الأنوار ، ج ١٣، ص ١٣١ وأعيان الشيعة، ج ٤، ق ٢، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

به دوماً ، ويبدي إعجابه بمواهبه وذكائه. روى المؤرّخون أنّه لما أراد الشخوص إلى العراق أجلسه في حجره ـ وكان عمره آنذاك ستّ سنين ـ فقال له: «ما الذي تحبّ أن يُهدى إليك من طرائف العراق؟».

فتبسّم الهادي(عليه السلام) وقال: «سيف كأنّه شعلة».

والتفت الإمام الجواد(عليه السلام) إلى ولده موسى فقال له: «وأنت، ما تحبّ...؟». فقال موسى: فراش بيت.

ولم يكتم الإمام إعجابه بولده الهادي وإنّما قال: «أشبهني أبوالحسن...»[٩٥٩].

مراحل حياته

١ . كان الإمام الهادي(عليه السلام) المصداق الثاني لظاهرة الإمامة المبكّرة ; فقد كانت السلطات العباسية ماكرة في سياستها الظالمة في أحيان كثيرة حيث لا يبرز طبع عدائها لآل النبي(صلى الله عليه وآله) ، ولكنّها كانت تعاجل بقتل الإمام عن طريق السمّ ، فاستشهد الإمام الجواد(عليه السلام)وهو في عمر لا يتجاوز الخامسة والعشرين ، فخلفه ولده الإمام علي الهادي(عليه السلام) ، وتولّى مهام الإمامة وهو في الثامنة من عمره الشريف.

٢ . وامتدّت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، عاصر خلالها بقية أيام ملك المعتصم، ثم ملك الواثق، والمتوكل ، والمنتصر، والمستعين، ثم ملك المعتز. واستشهد(عليه السلام) في أواخر ملك المعتز، في مدينة سامراء ودفن فيها في الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ .

اهتمّ الإمام الهادي(عليه السلام) بالتمهيد لإمامة وغيبة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(عليه السلام) ، وتهيئة الجماعة المؤمنة لتقبّل الوضع المستقبلي الجديد.

كما أنّه وسّع جهاز الوكلاء .

وسعى في تربية الطليعة المؤمنة تربية ، توصّلت من خلالها الجماعة المؤمنة إلى مستوى الاستقلال والاكتفاء الذاتي بما لديها من قدرات وطاقات فكريّة وعلميّة وتربويّة ، بنحو يحول دون القضاء عليها إذا افتقدت امامها المعصوم أو تعسّر الارتباط به.

إمامة الهادي(عليه السلام) المبكّرة

امتلك الإمام الهادي(عليه السلام) في طفولته المبكّرة من الذكاء والنبوغ ما أذهل الفكر وأبهر الألباب ; اذ كان ذا ذاكرة قوية وذكاء مفرط وفطنة بالغة. وذكر الرواة بوادر كثيرة من ذكائه كان منها: أنّ المعتصم بعدما اغتال الإمام الجواد(عليه السلام) عهد إلى عمربن الفرج أن يشخص إلى يثرب ليختار معلّماً لأبي الحسن الهادي(عليه السلام) البالغ من العمر آنذاك ستّ سنين تقريباً ، وقد عهد إليه أن يكون المعلِّم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت(عليهم السلام) ليغذّيه ببغضهم. ولمّا انتهى عمر إلى يثرب التقى

---

٩٥٩. حياة الإمام عليّ الهادي(عليه السلام) ، ص ٢٣ ـ ٢٤.

بالوالي وعرّفه بمهمّته، فأرشده الوالي إلى الجنيدي، وكان شديد البغض للعلويين ، فأرسل خلفه وعرّفه بالأمر فاستجاب له، وعيّن له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به. وقام الجنيدي بتعليم الإمام إلاّ أنّه قد ذهل لما كان يراه من حدّة ذكائه، فقد التقى محمّدبن جعفر بـالجنيدي فقال له:

ما حال هذا الصبي الذي تؤدّبه؟ فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول:

أتقول: هذا الصبيّ؟! ولا تقول هذا الشيخ؟

أُنشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف منّي بالأدب والعلم؟ قال: لا.

قال: إنّي ـ والله ـ لأذكر الحرف في الأدب، وأظنّ أنّي قد بالغت فيه، ثم إنّه يملي أبواباً أستفيدها منه، فيظنّ الناس أنّي أُعلّمه، وأنا ـ والله ـ أتعلّم منه.

وانطوت أيّام فالتقى محمّدبن جعفر مرّة أُخرى بالجنيدي، فقال له: ما حال هذا الصبيّ؟

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال: دع عنك هذا القول.

والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى .

وإنّه لربّما همَّ بدخول الحجرة، فأقول له: حتى تقرأ سورة ، فيقول: «أي سورة تريد أن أقرأها؟» فأذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها ، فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحّ منها، وكان يقرؤها بصوت أطيب من مزامير داود.

وإنّه حافظ القرآن من أوّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله.

وأضاف الجنيدي يقول: هذا صبيّ صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود ، فمن أين علم هذا العلم الكبير، يا سبحان الله؟!

ثمّ إنّه نزع عن نفسه النصب لأهل البيت(عليهم السلام) ودان بالولاء لهم واعتقد بالإمامة[٩٦٠].

ومن الطبيعي أنّه لا تعليل لهذه الظاهرة إلاّ أن نقول : إنّ الله أمدّ أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)بالعلم والحكمة ، وآتاهم من الفضل ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، من غير فرق بين الصغير والكبير منهم.

تعظيم العلويين له

أجمع السادة العلويون على تعظيم الإمام الهادي(عليه السلام) والاعتراف له بالزعامة والفضل، وكان من بينهم عمّ أبيه زيدبن الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) وكان شيخاً كبيراً، وقد كلّف عمربن الفرج ـ وكان بوّاباً للإمام ـ على أن يستأذن له ليتشرّف بمقابلته، وكلّم الإمام(عليه السلام) في شأنه فأذن له، ودخل على الإمام وكان في صدر المجلس فجلس زيد بين يديه ; تكريماً وتعظيماً، واعترافاً له بالإمامة. وفي اليوم الثاني تشرّف زيد بالدخول إلى مجلس الإمام، ولم يكن(عليه السلام) حاضراً فتصدّر زيد في المجلس،

---

٩٦٠. مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء ، ج ٣، ص ٩٦ ـ ٩٦.

وأقبل الإمام ، فلمّا رآه زيد وثب من مكانه وأجلسه فيه، وجلس بين يديه متأدّباً مع صغر سن الإمام وكِبَر زيد[٩٦١].

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمّد الهادي(عليه السلام)

١ . قال يحيى بن هرثمة ـ الذي أرسله المتوكل لإشخاص الإمام(عليه السلام) إلى سرّ من رأى ـ : فذهبت إلى المدينة ، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق ; لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، فجعلت أُسكنهم وأحلف لهم أنّي لم أُؤمر فيه بمكروه ، وأنّه لا بأس عليه ، ثمّ فتّشتُ منزله فلم أجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتولّيت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته. فلمّا قدمتُ به بغداد وبدأتُ بإسحاق الطاهري وكان والياً على بغداد، فقال لي:

يا يحيى! إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله(صلى الله عليه وآله) والمتوكّل مَن تَعلم، فإن حرّضته عليه وقتله كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) خصمك يوم القيامة.

فقلت له: والله ما وقعتُ منه إلاّ على كلّ أمر جميل.

ثمّ صرتُ به إلى سرّ من رأى فبدأتُ بوصيف التركي فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقطتْ منه شعرة لايطالَبُ بها سواك.

فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق.

فلمّا دخلت على المتوكل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته، وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنّي فتّشتُ داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه[٩٦٢].

٢ . قال يزداد الطبيب: إذا كان مخلوق يعلم الغيب فهو[٩٦٣].

٣ . قال أحمدبن محمّدبن أبي بكر بن خلّكان: أبوالحسن علي الهادي بن محمّد الجواد بن الرضا، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، وكان قد سُعي به إلى المتوكّل وقيل: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنّه يطلب الأمر لنفسه ، فوجّه إليه بعدّة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلاّ الرمل والحصى...[٩٦٤].

٤ . قال عبدالله بن أسعد اليافعي: أبوالحسن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، عاش أربعين سنة، وكان متعبّداً فقيهاً إماماً[٩٦٥].

---

٩٦١. مآثر الكبراء ، ج ٣، ص ٩٤.

٩٦٢. تذكرة الخواصّ ، ص ٢٠٢.

٩٦٣. بحار الأنوار ، ج ١٢، ص ١٣٧.

٩٦٤. وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ٤٣٥.

٩٦٥. مرآة الجنان ، ج ٢، ص ١٦٠.

٥ . قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير: و أمّا أبوالحسن علي الهادي فهو ابن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن علي العسكري، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكّل إلى سامراء فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها في هذه السنة، سنة أربع وخمسين ومئتين. وقد ذكر للمتوكّل أنّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس، فبعث كَبَسةَ ، فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف، وهو على التراب ليس دونه حائل، فأخذوه كذلك، فحملوه إلى المتوكل...[٩٦٦]

٦ . قال محمّد سراج الدين الرفاعي: الإمام علي الهادي بن الإمام محمّد الجواد ، ولقبه النقي والعالم والفقيه والأمير والدليل والعسكري والنجيب. ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومئتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة أربع وخمسين ومئتين. وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وعائشة. فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجّة المنتظر ولي الله محمّد المهدي[٩٦٧].

٧ . قال أحمد بن حجر الهيثمي: علي العسكري سمي بذلك لأنّه لمّا وجّه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سرّ من رأى وأسكنه بها، وكانت تسمّى العسكر فعرف بالعسكري، وكان وارث أبيه علما وسخاء...[٩٦٨].

٨ . قال أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني: الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والأيادي، الإمام علي بن محمّد الهادي، رضي الله عنه: ولد بالمدينة ، وأُمّه أُمّ ولد، وكنيته أبوالحسن، ولقبه الهادي والمتوكّل، وكان أسمر. نقش خاتمه «الله ربي وعصمتي من خلقه» وأمّا مناقبه فنفيسة، وأوصافه شريفة...[٩٦٩].

٩ . قال مؤمن الشبلنجي: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة، قال في الصواعق: كان أبوالحسن العسكري وارث أبيه علما وسخاءً. وفي حياة الحيوان: سمي العسكري لأنّ المتوكّل لمّا كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقرّه بسرّ من رأى...[٩٧٠].

١٠ . قال محمّد أمين غالب الطويل: كان حسن الخلق حتى لم يكن أحد يشكّ في عصمته، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكّل بالخطر، وقد وشي به إليه أنّه جمع في بيته معدّات وأسلحة استعداداً للخروج عليه، والادعاء بالخلافة، فأرسل الخليفة حينئذ عساكره التركيّة فهجموا ليلا على بيته، وقد اختار الخليفة العساكر التركيّة ; لسوء ظنّه بالعرب المسلمين ; لأنّهم يعرفون من الأحقّ بالخلافة. أمّا الأتراك فكانوا

---

٩٦٦. البداية والنهاية ، ج ١١، ص ١٥.
٩٦٧. صحاح الأخبار ، ص ٥٦.
٩٦٨. الصواعق المحرقة ، ص ٢٠٥.
٩٦٩. أخبار الدول ، ص ١١٧.
٩٧٠. نور الأبصار ، ص ١٤٩.

حديثي عهد بالخلافة الإسلامية، وكانوا لا يعرفون غوامضها، بل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوّج من بنات الأتراك.

ذهبت العساكر التركية ليلا إلى بيت الإمام، ورأوه جالساً على التراب، ملتفّاً برداء صوف، وهو يقرأ القرآن. وبعد تفتيش جميع زوايا بيته أحضروه إلى الخليفة ، وأخبروه بالقصّة، وكيف أنّهم رأوا الإمام زاهداً، وأنّهم لم يجدوا عنده شيئاً من العدّة...[٩٧١].

١١ . قال السيد عبدالوهاب البدري: وبقي الإمام الهادي ينتقل في مجالس سامراء، يواسي ذي المصاب ، ويساعد المحتاج، ويرحم المساكين، ويشفق على اليتيم ، ويدلف ليلا إلى الأرامل والثكالى ، وثوبه كلّه (صُرَر) فينثرها عليهم (**لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً**)[٩٧٢] ، يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتى يتصبّب العرق من جسمه، وعندما يقبل الليل يتّجه إلى ربّه ساجداً راكعاً خاشعاً ليس بين جبينه الوضّاح وبين الأرض سوى الرمل والحصى، وأنّه يردّد دعاءه المشهور: «**الهي مسيء قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيّب مسعاه وارحمه واغفر له خطأه**»[٩٧٣].

من فضائل الإمام علي الهادي(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

١ . كرمه

كان من أبسط الناس كفاً، وأنداهم يداً، وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي(عليه السلام) وإحسانه إلى الفقراء والبائسين، نقتصر منها على مايلي:

١ . وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي(عليه السلام) ، وهم أبوعمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الحمداني، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فالتفت(عليه السلام) إلى وكيله عمرو، وقال له: ادفع له ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ. وعلّق ابن شهرآشوب على هذه المكرمة العلوية بقوله: فهذه معجزة لا يقدر عليها إلاّ الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء[٩٧٤].

٢ . ومن كرمه أنّه كان قد خرج من سامراء إلى قرية له، فقصده رجل من الأعراب، فلم يجده في منزله ، فأخبره أهله بأنّه ذهب إلى ضيعة له، فقصده ولمّا مَثُل عنده سأله الإمام عن حاجته، فقال بنبرات خافتة:

---

٩٧١. تأريخ العلويّين ، ص ١٦٧.

٩٧٢. الإنسان: الآية ٩.

٩٧٣. سيرة الإمام العاشر عليّ الهادي(عليه السلام) ، ص ٥٩.

٩٧٤. المناقب ، ج ٤، ص ٤٠٩.

يابن رسول الله! أنا رجل من أعراب الكوفة ، المتمسّكين بولاية جدّك عليّ بن أبي طالب، وقد ركبني فادح ـ أي دَيْن ـ أثقلني حمله، ولم أرَ من أقصده سواك... .

فرقّ الإمام لحاله، وأكبر ما توسّل به، وكان(عليه السلام) في ضائق، لا يجد ما يسعفه به، فكتب(عليه السلام) ورقة بخطّه جاء فيها : أنّ للأعرابي ديناً عليه، وعيّن مقداره، وقال له: «خذ هذه الورقة، فإذا وصلتُ إلى سرّ من رأى، وحضر عندي جماعة فطالِبْني بالدين الذي في الورقة، واغلظ عليّ في ترك إيفائك، ولا تخالفني فيما أقول لك».

فأخذ الأعرابي الورقة، ولمّا رجع الإمام إلى سرّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة، وطالب الإمام(عليه السلام)بتسديد دينه الذي في الورقة فجعل الإمام(عليه السلام)يعتذر إليه، والأعرابي يغلظ له في القول، ولمّا تفرّق المجلس بادر رجال السلطة إلى المتوكّل فأخبروه بالأمر، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام فحملت له، ولما جاء الأعرابي قال له الإمام(عليه السلام):

«خذ هذا المال فاقض به دينك، وانفق الباقي على عيالك...».

وأكبر الأعرابي ذلك، وقال للإمام(عليه السلام): إنّ ديني هو ثلث هذا المبلغ...ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء[٩٧٥].

٢ . زهده

لقد عزف الإمام الهادي(عليه السلام) عن جميع مباهج الحياة ومتعها ، وعاش عيشة زاهدة إلى أقصى حدّ، فلم يحفل بأيّ مظهر من مظاهر الحياة الدُنيا، بل آثر طاعة الله على كلّ شيء. وكان منزله في يثرب وسرّ من رأى خالياً من كلّ أثاث، وحين داهمت منزلَه شرطة المتوكّل فتّشته تفتيشاً دقيقاً ، فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة. ولمّا فتّشت الشرطة داره في سرّ من رأى وجدتُ الإمام في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى، ليس بينه وبين الأرض فراش[٩٧٦].

٣ . عمله في مزرعة له

كان الامام(عليه السلام)يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله. روى عليّ بن حمزة فقال: رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعتْ قدماه من العرق فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟

فقال الإمام: «يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير منّي ومن أبي في أرضه...».

قلت: من هو؟

---

٩٧٥. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ٦٧ ـ ٦٨ وشرح شافية أبي فراس، ج ٢، الورقة ١٦٧ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

٩٧٦. راجع الفصول المهمّة، ص ٢٧٧ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٩.

فقال: «رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأميرالمؤمنين وآبائي كلّهم عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء الصالحين...»[٩٧٧].

٤ . إرشاد الضالين

اهتمّ الإمام الهادي(عليه السلام) اهتماماً بالغاً بإرشاد الضالين والمنحرفين عن الحقّ وهدايتهم إلى سواء السبيل، وكان من بين مَن أرشدهم أبوالحسن البصري المعروف بالملاّح ; فقد كان واقفياً يقتصر على إمامة الإمام موسى بن جعفر ، ولا يعترف بإمامة غيره من أبنائه الطاهرين، فالتقاه الإمام الهادي فقال له:

«إلى متى هذه النومة؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟!».

وأثّرت هذه الكلمة في نفسه فآب إلى الحقّ، والرشاد[٩٧٨].

٥ . تكريمه للعلماء

كان الإمام الهادي(عليه السلام) يكرم رجال الفكر والعلم ، ويحتفي بهم ويقدّمهم على بقية الناس ; لأنّهم مصدر النور في الأرض. وكان من بين من كرّمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم، وكان قد بلغه عنه أنّه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلّب عليه ، فسرّ الإمام(عليه السلام)بذلك. ووفد العالم على الإمام فقابله بحفاوة وتكريم، وكان مجلسه مكتظّاً بالعلويين والعباسيين، فأجلسه الإمام على دَسْت، وأقبل عليه يحدّثه، ويسأل عن حاله سؤالا حفيّاً. وشقّ ذلك على حضّار مجلسه من الهاشميين ، فالتفتوا إلى الإمام وقالوا له: كيف تقدّمه على سادات بني هاشم؟

فقال لهم الإمام: «إيّاكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: (**ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون**)[٩٧٩] أترضون بكتاب الله عزّ وجلّ حكماً؟. فقالوا جميعاً: «بلى يابن رسول الله...».

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلا: «أليس الله قال: (**يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم**)[إلى قوله] (**والذين أُوتوا العلم درجات**)[٩٨٠] فلم يرض للعالم المؤمن إلاّ أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلاّ أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه، قال تعالى: (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات**)هل قال: يرفع الله الذين أُوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله: (**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)[٩٨١].

فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله؟ إنّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علّمه إيّاها لأشرف من كلّ شرف في النسب...».

---

٩٧٧. من لايحضره الفقيه ، ج ٣، ص ١٦٢.

٩٧٨. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ١٨٩ ، إعلام الورى، ج ٢، ص ١٢٣.

٩٧٩. آل عمران: الآية ٢٣.

٩٨٠. المجادلة: الآية ١٠.

٩٨١. الزمر: الآية ٨.

وسكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ حجّته، إلاّ أنّ بعض العبّاسيين قال:

يابن رسول الله! لقد شرّفت هذا علينا، وقصرتنا عمّن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه...

فردّ عليه الإمام(عليه السلام) قائلا: «سبحان الله أليس العبّاس بايع أبابكر وهو تيمّي، والعباس هاشميّ؟! ... فإن كان رفعاً لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكراً، فأنكر على العباس بيعته لأبي بكر ... ، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز...».

فأُفحم العباسي، وأُلقم حجراً[٩٨٢] ; فإنّه لمّا كان لم يع الأدلة المدعمة من الكتاب العزيز عرض له بيعة جدّه العباس لأبي بكر مع أنّ الخليفة لا يساوي العباس في النسب.

٦ . عبادته

لم يرَ الناس في عصره مثل الإمام الهادي(عليه السلام) في عبادته وتقواه وشدّة تحرّجه في الدين، فلم يترك نافلة من النوافل إلاّ أتى بها، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد إلى قوله تعالى: (**إنّه عليم بذات الصدور**) ، وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات[٩٨٣] ، كما نُسبت إليه صلاة نافلة كان يصلّي فيها ركعتين يقرأ في الأُولى سورة الفاتحة وياسين وفي الثانية سورة الفاتحة[٩٨٤] والرحمن.

٧ . استجابة دعائه

١ . روى المنصوري أبوالحسن محمّدبن أحمد عن عمّ أبيه قال: قصدت الإمام عليّاً الهادي، فقلت له: يا سيّدي إنّ هذا الرجل ـ يعني المتوكّل ـ قد أطرحني، وقطع رزقي، وملّني ، وما أُتّهمُ به في ذلك هو علمه بملازمتي بك. وطلب من الإمام التوسّط في شأنه عند المتوكّل، فقال(عليه السلام): «تُكفى إن شاء الله». ولمّا صار الليل طرقته رسل المتوكّل فخفّ معهم مسرعاً إليه، فلمّا انتهى إلى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب ، فاستقبله وجعل يوبّخه على تأخيره ، ثم أدخله على المتوكّل فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلا:

يا أبا موسى تنشغل عنّا وتنسانا؟! أيّ شيء لك عندي؟

وعرض الرجل حوائجه وصلاته التي قطعها عنه، فأمر المتوكّل بها وبضِعفها له، وخرج الرجل مسروراً، فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلا:

لست أشكّ أنّك التمست منه ـ أي من الإمام ـ الدعاء، فالِتمسْ لي منه الدعاء.

---

٩٨٢. الاحتجاج للطبرسي ، ج ٢، ص ٥٠٠.

٩٨٣. وسائل الشيعة ، ج ٤، ص ٧٥٠.

٩٨٤. المصدر نفسه ، ج ٥، ص ٢٩٨.

ومضى ميمّماً وجهه نحوالإمام(عليه السلام) فلمّا تشرّف بالمثول بين يديه قال(عليه السلام) له:

«يا أبا موسى هذا وجه الرضا...».

فقال الرجل بخضوع: ببركتك يا سيّدي، ولكن قالوا لي: إنّك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلا: «**إنّ الله تعالى علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمّات إلاّ إليه، ولا نتوكل في الملمّات إلاّ عليه، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا...**».

وفطن الرجل إلى أنّ الإمام قد دعا له بظهر الغيب، وتذكّر ما سأله الفتح فقال:

«يا سيّدي إن الفتح يلتمس منك الدعاء ، فلم يستجب الإمام له وقال: «**إن الفتح يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه، الدعاء إنّما يُدعى له إذا أخلص في طاعة الله، واعترف برسول الله**(صلى الله عليه وآله) **وبحقّنا أهل البيت...**».

وطلب الرجل من الإمام أن يعلّمه دعاءً ينتفع به فأرشده(عليه السلام) إلى هذا الدعاء:

«**يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد، يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهمّ بحقّ من خلقتهم ولم تجعل في خلقك مثلهم أن تصلّي عليهم ... ثم تذكر حاجتك...**»[٩٨٥].

٢ . ومن أدعية الإمام(عليه السلام) المستجابة ما روي أن عليّ بن جعفر كان من وكلاء الإمام(عليه السلام) ، فسُعي به إلى المتوكّل فحبسه، وبقي في ظلمات السجون مدّة من الزمن، وقد ضاق به الأمر فتكلّم مع بعض عملاء السلطة في إطلاق سراحه، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار، فأسرع إلى عبيدالله وهو من المقرّبين عند المتوكّل، وطلب منه التوسّط في شأن عليّ بن جعفر، فاستجاب له، وعرض الأمر على المتوكّل، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو شككت فيك لقلت: إنّك رافضي، هذا وكيل أبي الحسن الهادي وأنا على قتله عازم.

وندم عبيدالله على التوسّط في شأنه، وأخبر صاحبه بالأمر، فبادر إلى عليّ بن جعفر ، وعرّفه أن المتوكّل عازم على قتله ولا سبيل إلى إطلاق سراحه، فضاق الأمر بعليّ بن جعفر، فكتب رسالة إلى الإمام جاء فيها: يا سيّدي ، الله الله فيَّ، فقد خفت أن أرتاب. فوقّع الإمام على رسالته: «أمّا إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك» وأصبح المتوكّل محموماً دنفاً، وازدادت به الحمّى فأمر بإطلاق جميع المساجين، وأمر بإطلاق سراح علي بن جعفر بالخصوص، وقال لعبيدالله لِمَ لَمْ تعرض عليَّ اسمه؟ فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً، فأمره بأن يخلّي عنه، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه، وأطلق سراحه ، ثمّ نزح إلى مكّة فأقام بها بأمر من الإمام[٩٨٦] (عليه السلام) .

---

٩٨٥. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ١٢٧ ; الأمالي (للطوسي) ، ح ٥٥٥.

٩٨٦. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ١٨٣.

من تراث الإمام الهادي(عليه السلام)

أُثرت عن الإمام أبي الحسن الهادي(عليه السلام) مجموعة من الكلمات الرائعة التي تعدّ من أغلى الثروات الفكرية في الإسلام، وقد عالج فيها مختلف القضايا التربوية والأخلاقية والنفسية، وهذه بعضها:

١ . «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله...».

٢ . قال(عليه السلام) لبعض مواليه: عاتِبْ فُلانا وقل له: «إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعبد خيراً إذا عُوتبَ قَبِل...».

٣ . «مَن سَأل فوقَ قَدْرِ حَقّهِ فهو أولى بالحِرمانِ...».

٤ . «صَلاحُ مَنْ جَهِلَ الكَرامةَ هَوانُهُ».

٥ . «الحِلْمُ أن تَملِكَ نفسَكَ، وتَكظِمَ غَيْظَكَ مَعَ القُدرَةِ عليه...».

٦ . «الناسُ في الدُنيا بالمالِ، وفي الآخرةِ بالأعْمالِ...».

٧ . «تُريكَ المقاديرُ ما لا يَخْطُرُ بِبالِكَ...».

٨ . «شَرّ الرَزِيَةِ سُوءُ الخُلُق...».

٩ . «الغِنى قِلّة تَمَنّيكَ، والرِضى بِما يَكفيكَ، والفَقْرُ شَرَهُ النَفْسِ، وَشِدّةُ القُنوطِ، والمَذَلّةُ اتّباعُ اليَسيرَ، والنَظَرُ في الحَقيرِ...».

١٠ . وسَئِل عن الحَزمِ فقال(عليه السلام): «هُوَ أَنْ تَنْظُرَ فُرْصَتَكَ ، وَتُعاجِلَ ما أمْكَنَكَ...».

١١ . «الدُّنْيا سُوقٌ: رَبِحَ فيها قَوْمٌ ، وَخَسِرَ آخرُونَ».

١٢ . «راكِبُ الحَرونِ[٩٨٧] أسيرُ نَفْسِهِ...».

١٣ . «الجاهِلُ أسيرُ لِسانِهِ».

١٤ . «المِراءُ يُفْسِدُ الصَداقَةَ القَديمةَ، ويُحلّل العُقْدَةَ الوَثيقَةَ، وأقَلُّ ما فيهِ أنْ تَكونَ المُغالَبةُ، والمُغالَبَة أُسُّ أسْبابِ القَطيعَةِ».

١٥ . «العِتابُ مِفتاحُ التَعالي، والعِتابُ خَيْرٌ مِنَ الحِقْدِ...».

١٦ . أثنى بعضُ أصحابِ الإمام على الإمام(عليه السلام). وأكْثَرَ مِن تَقريظِهِ والثَناءِ عَليهِ، فقال(عليه السلام) له: «إنّ كَثْرَةَ المَلَقِ يَهجِمُ على الفِطْنَةِ، فإذا حَلَلْتَ مِن أَخيكَ مَحلَّ الثِقَةِ فَاعدِلْ عَنِ المَلَقِ إلى حُسْنِ النِيَّةِ».

١٧ . «المُصيبَةُ لِلصابِرِ واحِدَةٌ، ولِلجازِعِ اثْنانِ».

١٨ . «الحَسَدُ ماحِقُ الحَسَناتِ، والزَهْوُ جَالِبُ المَقْتِ».

١٩ . «العُجْبُ صارِفٌ عَن طَلَبِ العِلْمِ، وَداع إلى التَّخَمُّطِ[٩٨٨] في الجَهْلِ...».

٢٠ . «البُخْلُ أذمُّ الأَخْلاقِ، وَالطَمَعُ سَجِيّةٌ سَيّئَةٌ».

---

٩٨٧. الحرون: الفرس الّذي لا ينقاد.

٩٨٨. أي : التكبّر.

٢١ . «مُخالَطةُ الأشْرارِ تَدَلُ على شَرِّ مَن يُخالِطُهم...».

٢٢ . «الكُفرُ لِلنِعَمِ أمارَةُ البَطَرِ، وسَبَبٌ للتغيير...».

٢٣ . «اللَّجاجَةُ مَسْلَبَةٌ للسَّلامَةِ، ومُؤَدِّيَةٌ لِلنَدامَةِ...».

٢٤ . «الهُزْءُ فَكاهَةُ السُّفَهاءِ وَصَناعَةُ الجُهّالِ...».

٢٥ . «العُقوقُ يُعَقِّبُ القِلّة، وَيُؤَدِّي إلى الذِلّة...».

٢٦ . «السَهَرُ ألذُّ لِلمَنامِ، وَالجُوعُ يَزيد في طِيبِ الطَعامِ...».

٢٧ . قال(عليه السلام) لبعض أصحابه: «اذكُرْ مَصْرَعَكَ بَيْنَ يَدَيْ أهْلِكَ ، حَيْثُ لا طَبِيبَ يَمْنَعُكَ، وَلا حَبيبَ يَنْفَعُكَ...».

٢٨ . «اذكُرْ حَسَراتِ التَّفريط بِأَخْذِ تَقْديمِ الحَزْمِ...».

٢٩ . «مَا اسْتراحَ ذُو الحِرْصِ وَالحِكْمَةِ...».

٣٠ . «مَنْ لَمْ يُحسِنْ أنْ يَمنعَ لَمْ يُحْسِنْ أنْ يُعْطِيَ...».

٣١ . «إيّاكَ وَالحَسَدَ ; فإنّهُ يَبينُ فِيكَ، وَلا يَعْمَلُ في عَدُوِّكَ...».

٣٢ . «إذا كانَ زَمانٌ ، العَدْلُ فيه أغْلَبُ مِنَ الجَوْرِ ، فَحَرامٌ أنْ يُظَنَّ بِأحَد سُوءاً حتّى يُعْلَمَ ذلِكَ مِنهُ، وإذا كان زمانٌ ، الجَوْرُ أغْلَبُ فيهِ مِنَ العَدْلِ ، فَلَيْسَ لِاحَد أنْ يَظُنَّ بِأحَد خَيْراً ما لَم يَعْلَمْ ذلِكَ مِنهُ...».

٣٣ . قال(عليه السلام) للمتوكّل: «لا تَطْلُبْ الصَّفاءَ مِمَّنْ كَدَّرْتَ عَلَيْهِ ، وَلا الوَفاءَ مِمَّنْ غَدَرْتَ بِهِ، وَلا النُصْحَ مِمّن صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إلَيْهِ ; فَإنّما قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ...».

٣٤ . «اَبْقُوا النِعَمَ بِحُسْنِ مُجاوَرَتِها، وَالْتَمِسُوا الزِيادَةَ فيها بِالشُكرِ عَلَيها، واعْلَموا أنّ النَفْسَ أَقبَلُ شَيْء لِما أُعْطِيَتْ، وَأمنَعُ شَيْء لما مُنِعَتْ ، فاحْمِلوها على مَطِيَّة لا تُبطِئُ...».

٣٥ . «الجَهْلُ وَالبُخْلُ أذَمّ الأخْلاقِ...».

٣٦ . «حُسْنُ الصُورَةِ جَمالٌ ظاهِرٌ، وَحُسْنُ العَقْلِ جَمالٌ باطِنٌ...».

٣٧ . «إنّ مِنَ الغِرّةِ باللهِ أنْ يُصِرّ العَبدُ عَلى المَعْصِيةِ ، ويَتَمنّى عَلى اللهِ المِغْفِرَة...».

٣٨ . «لَوْ سَلَكَ الناسُ وادياً وَسيعاً لَسَلَكْتُ وادِيَ رَجُل عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ خالِصاً...».

٣٩ . «وَالغَضَبُ عَلى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ...».

٤٠ . «إنَّ للهِ بِقاعاً يُحِبُّ أنْ يُدعى فيها فَيَسْتَجيبَ لِمَنْ دَعاهُ ، وَالحَيْرُ مِنْها»[٩٨٩].

٤١ . وَ قَالَ(عليه السلام): «مَنِ اتَّقىَ اللهَ يُتَّقى، وَمَنْ أطاعَ اللهَ يُطاعُ، وَمَنْ أَطاعَ الخالِقَ لَمْ يُبالِ سَخَطَ المخْلُوقينَ، وَمَنْ أَسْخَطَ الخالِقَ فَلْيَيْقَنْ أنْ يَحِلَّ بِه سَخَطُ المَخْلُوقينَ».

٤٢ . «إنَّ اللهَ لا يُوصَفُ إلاّ بِما وَصَفَ بِه نَفْسَهُ، وَأَنّى يُوصَفُ الّذِي تَعْجِزُ الحَواسُّ أنْ تُدْرِكَهُ ، وَالأَوْهامُ أنْ تُنالَهُ ، وَالخَطَراتُ أَنْ تَحُدَّهُ ، وَالأَبْصارُ عَنِ الإحاطَةِ بِه. نَأى في قُرْبِه ، وَقَرُبَ في نَأْيِه، كَيْفَ الكَيْفَ بِغَيْرِ أنْ يُقالَ: كَيْفَ، وَأَيْنَ الأَيْنَ بِلا أَنْ يُقالَ: أَيْنَ. هُوَ مُنْقَطِعُ الكَيْفِيَّةِ والأَيْنِيَّةِ، الواحِدُ الأَحَدُ، جَلَّ جَلالُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أسْماؤُهُ».

---

٩٨٩. الحير ـ بالفتح ـ : مخفّف حائر، والمراد أنَّ الحائر الحسيني من هذه البقاع.

٤٣ . وَقالَ الحَسَنُ بْنُ مَسْعُود: دَخَلْتُ عَلى أبِي الحَسَنِ عَليِّ بنِ مُحمَّد(عليهما السلام) ، وَقَدْ نُكِبَتْ إصْبَعي[٩٩٠] وَتَلَقّاني راكِبٌ وَصَدَمَ كِتْفي ، وَدَخَلْتُ في زَحْمَة[٩٩١] فَخَرَّقُوا عَلَيَّ بَعْضَ ثِيابي، فَقُلْتُ: كَفانِيَ اللهُ شَرَّكَ مِنْ يَوْم ، فَما أيْشَمَكَ[٩٩٢]. فَقالَ(عليه السلام) لِي: «يا حَسَنُ ، هذا وَأَنْتَ تَغْشانا[٩٩٣] تَرْمي بِذَنْبِكَ مَنْ لا ذَنْبَ لَهُ؟» قالَ الحَسَنُ: فَأَثابَ إلَيَّ عَقْلي ، وَتَبَيَّنْتُ خَطائي، فَقُلْتُ: يا مَوْلايَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، فَقالَ: «يا حَسَنُ ما ذَ نْبُ الأَيّامِ حَتّى صِرْتُمْ تَتَشأمُونَ بِها إذا جُوزِيتُمْ بِأَعْمالِكُمْ فيها؟» قالَ الحَسَنُ: أَ نَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَبَداً وَهِيَ تَوْبَتي يَابْنَ رَسُولِ اللهِ. قالَ(عليه السلام): «وَاللهِ ما يَنْفَعُكُمْ ، وَلكِنَّ اللهَ يُعاقِبُكُمْ بِذَمِّها عَلى ما لا ذَمَّ عَلَيْها فيهِ. أَما عَلِمْتَ يا حَسَنُ أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُثيبُ وَالمُعاقِبُ وَالْمجازِي بِالأعْمالِ عاجِلا وَآجِلا؟» قُلْتُ: بَلى يا مَوْلايَ، قالَ(عليه السلام): «لا تَعُدْ ، وَلا تَجْعَلْ لِلأَيّامِ صُنْعاً في حُكْمِ اللهِ».

٤٤ . «مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ وَأَليمَ أَخْذِهِ تَكَبَّرَ حَتّى يَحِلَّ بِهِ قَضاؤُهُ وَنافِذُ أَمْرِهِ، وَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّه هانَتْ عَلَيْهِ مَصائِبُ الدُّنْيا وَلَوْ قُرِضَ وَنُشِرَ».

٤٥ . وَقالَ داوُدُ الصَّرْمي[٩٩٤]: أمَرَني سَيِّدي بِحَوائِجَ كَثيرَة ، فَقالَ(عليه السلام) لي: «قُلْ: كَيْفَ تَقُولُ؟» فَلَمْ أَحْفَظْ مِثْلَ ما قالَ لي. فَمَدَّ الدَّواةَ وَكَتَبَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ أَذْكُرُهُ إنْ شاءَ اللهُ وَالأَمْرُ بِيَدِ اللهِ» فَتَبَسَّمْتُ، فَقالَ(عليه السلام): «مالَكَ؟» قُلْتُ: خَيْرٌ، فَقالَ: «أَخْبِرْني؟» قُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ ذَكَرْتُ حَدِيثاً حَدَّثَني بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِنا عَنْ جَدِّكَ الرِّضا(عليه السلام) إذا أَمَرَ بِحاجَة كَتَبَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ أَذْكُرُ إنْ شاءَ اللهُ» فَتَبَسَّمْت، فَقالَ(عليه السلام) لي: «يا داوُدُ وَلَوْ قُلْتُ: إنَّ تارِكَ التَّقِيَّةِ كَتارِكِ الصَّلاةِ لَكُنْتُ صادِقاً».

٤٦ . «الشّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتي أوْجَبَتِ الشُّكْرَ ; لِاَنَّ النِّعَمَ مَتاعٌ ، وَالشُّكْرُ نِعَمٌ وَعُقْبى».

٤٧ . «إنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيا دارَ بَلْوىً ، وَالآخِرَةَ دارَ عُقْبىً ، وَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيا لِثَوابِ الآخِرَةِ سَبَباً ، وَثَوابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيا عِوَضاً».

٤٨ . «إنَّ الظّالِمَ الحالِمَ يَكادُ أَنْ يُعْفى عَلى ظُلْمِه بِحِلْمِه، وَإنَّ المُحِقَّ السَّفيهَ يَكادُ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ حَقِّه بِسَفْهِه».

٤٩ . «مَنْ جَمَعَ لَكَ وُدَّهُ وَرَأْيَهُ فَاجْمَعْ لَهُ طاعَتَكَ».

٥٠ . «مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلا تَأمَنْ شَرَّهُ»[٩٩٥].

---

٩٩٠. نكبت إصبعي: خُدشت.

٩٩١. الزحمة: الزحام، من زَحَمه زَحْماً وزحاماً إذا ضايقه ودافعه في محلّ ضيق. وخرّق الثوب: مزّقه.

٩٩٢. كذا. في النسخة، والظاهر: فما أشأمك.

٩٩٣. غشا يشغو، وغشي يغشي المكان: أتاه.

٩٩٤. هو أبوإسماعيل داود الصرمي ـ بفتح الصاد وقيل بكسرها ـ من أصحاب الهادي(عليه السلام) وهو شيعي إمامي حسن.

٩٩٥. أنظر حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام) ، ١٥٦ ـ ١٦٥ وقد جمعها من الدر النظيم، الاتحاف بحب الأشراف، بحار الأنوار، أمالي الطوسي، أعيان الشيعة، نزهة الناظر، تحف العقول، أمالي المفيد، معاني الأخبار للصدوق، ومآثر الكبراء.

الفصل الثالث عشر

الزكي العسكري الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)

النسب المشرق

أبوه هو الإمام علي الهادي ابن الإمام محمّد الجواد ابن الإمام الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، وهؤلاء هم أئمة أهل البيت(عليهم السلام)الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين جعلهم الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)سفن النجاة، وأمن العباد... ولا أكرم من هذا النسب، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.

وأُمّه كانت أفضل نساء عصرها، وهي من السيدات الزاكيات في عفتها وورعها وطهارتها، وعُرفت بأنّها من العارفات الصالحات[٩٩٦]. وقد أثنى عليها الإمام علي الهادي(عليه السلام) ثناءً عاطراً، وأشاد بمكانتها، وسمو منزلتها، فقال: «سليل [وهو اسمها] مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»[٩٩٧]، وكفى بذلك فخراً وشرفاً.

مكان الولادة وتأريخها

ولد(عليه السلام) في يثرب[٩٩٨]، في ربيع الأوّل سنة ٢٣٠ هـ، أو ٢٣١هـ [٩٩٩]، أو ٢٣٢هـ [١٠٠٠]، أو ٢٣٣هـ [١٠٠١].

---

٩٩٦. عيون المعجزات، ص ١٢٣.

٩٩٧. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٠ وإثبات الوصيّة (للمسعودي)، ص ٢٣٦.

٩٩٨. أخبار الدول، ص ١١٧ وبحر الأنساب، ص ٢ وتحفة الإمام، ص ٨٦.

٩٩٩. النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٢ وسرّ السلسلة العلويّة، ص ٣٩.

١٠٠٠. بحر الأنساب، ص ٢ وأخبار الدول، ص ١١٧ والإتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٧٨.

١٠٠١. دائرة المعارف البستاني، ج ٧، ص ٤٥.

تسميته وكنيته وألقابه

سارع الإمام الهادي(عليه السلام) ـ حينما بُشّر بوليده المبارك ـ فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية التي درج الأئمة(عليهم السلام) على إجرائها لأبنائهم.

ثم سمّاه بالحسن، وهو كاسم عمّه الأعلى سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، الإمام الحسن(عليه السلام) ابن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام).

وكُنّي الإمام الزكي بأبي محمّد[١٠٠٢].

أمّا ألقابه فهي تحكي ما اتّصف به من النزعات العظيمة، والصفات الشريفة ، وهي:

١ . الخالص ; فقد كان خالصاً من كلّ دنس ، ومنزّهاً عن كلّ عيب.

٢ . الهادي ; اذ كان علماً لهداية الناس ، وإرشادهم إلى طرق الخير.

٣ . العسكري[١٠٠٣]، ولقّب بذلك نسبةً إلى البلد الّذي كان يقطنه ، أي سامراء، اذ كانت سامراء معسكراً للجيش العباسي. ومن الجدير بالذكر أنّ هذا اللقب إذا أُطلق فإنّه ينصرف إلى الإمام الحسن لا إلى أبيه(عليهما السلام).

٤ . الزكي[١٠٠٤]، وهو أزكى إنسان في عصره، فقد زكّى نفسه، ونمّاها بفعل الخيرات.

٥ . الخاص، وقد خصّه الله بالفضائل واستجابة الدعاء.

٦ . الصامت، وكان صامتاً لا ينطق إلاّ بالحكمة والعلم وذكر الله.

٧ . السراج[١٠٠٥]، لقد كان سراجاً يضيء معالم الطريق، ويهدي الحائرين والضالين إلى التقى والصلاح.

٨ . التقي[١٠٠٦]، وهو أتقى إنسان في عصره، وأشدّ الناس تمسّكاً بالدين واعتصاماً بالله.

نشأته

قال أحمدبن عبيدالله بن خاقان: إنّه أسمر أعين[١٠٠٧] ، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، له جلالة وهيبة[١٠٠٨] ، وقيل: إنّه كان بين السمرة والبياض[١٠٠٩].

١٠٠٢.أخبار الدول ،ص١١٧وبحر الأنساب،ص٢وتحفة الأنام،ص٨٦والنجوم الزاهرة،ج٣ ،ص٣٢.

١٠٠٣. انظر حياة الإمام الحسن العكسري(عليه السلام)(دراسة وتحليل) ، ص ، ٢٠ و ٢١. و حياة الإمام العسكري (دراسة تحليلية تاريخية) ، ص ٢٣ ـ ٢٥.

١٠٠٤. تحفة الأنام ، ص ٨٧ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣٦.

١٠٠٥. جوهرة الكلام ، ص ١٥٤.

١٠٠٦. سفينة البحار ، ج ١، ص ٢٥٩.

١٠٠٧. الأعين: واسع العين.

١٠٠٨. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ٣٢٦.

١٠٠٩. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ٢٣٨ وأخبار الدول، ص ١١٧.

نشأ الإمام أبومحمّد(عليه السلام) في بيت الهداية ومركز الإمامة والمرجعية العامّة للمسلمين، ذلك البيت الرفيع الّذي أذهب الله عن أهله الرجس وطهّرهم تطهيراً...

يقول الشبراوي عن البيت الّذي نشأ فيه الإمام : فلله درّ هذا البيت الشريف، والنسب الخضم المنيف، وناهيك به من فخار، وحسبك فيه من علوّ مقدار، فهم جميعاً في كرم الأُرومة، وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون، ولسهام المجد مقتسمون. فيا له من بيت عالي الرتبة، فلقد طاول السماء علا ونبلا ، وسما على الفرقدين منزلة ومحلا، واستغرق صفات الكمال فلا يستثنى فيه بـ «غير»، ولا بـ «الاَّ»، انتظم الأوّل والتالي، وكم اجتهد قوم في خفض منارهم، والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلول في تشتيت شملهم، والله يجمعه، وكم ضيّعوا من حقوقهم، ما لا يهمله الله ولا يضيّعه...[١٠١٠].

وهناك ظاهرة متميّزة في طفولة الإمام الحسن(عليه السلام) وهي ظاهرة الخشية من الله تعالى، فقد كان خائفاً وجلا منه. روى المؤرّخون أنّ شخصاً مَرَّ به وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنّ ذلك الشخص أنّ هذا الصغير يبكي متحسّراً على ما في أيدي أترابه ، ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فردّ عليه: «**لا، ما للعب خُلقنا!...**».

وبُهر الرجل ، فقال له: لماذا خُلقنا؟ فقال له(عليه السلام): «للعِلم والعبادة».

فقال له الرجل: من أين لك هذا؟

فقال(عليه السلام): «من قوله تعالى: (**أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً**)».

وبهت الرجل، ووقف حائراً، وانطلق يقول له: ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك.

فقال له(عليه السلام): «**إليك عنّي، إنّي رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتّقد إلاّ بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم...**»[١٠١١].

لقد كان الإيمان بالله تعالى عنصراً من عناصره مظهراً من مظاهره فلم يَخْشَ إلا الله ، ولم يخف أحداً سواه، وظلّت هذه الظاهرة ملازمة له طوال حياته.

مراحل حياته

١ . حياته مع أبيه

قضى الإمام الزكي أبومحمّد(عليه السلام) اثنين وعشرين سنةً من حياته مع أبيه الإمام الهادي(عليه السلام) لم يفارقه في حِلّه وتِرحاله، وكان يرى فيه صورة صادقة لأخلاق جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) التي امتاز بها على سائر النبيين، كما كان يرى فيه مكارم أخلاق آبائه الأئمة الطاهرين(عليهم السلام)، وكان الإمام الهادي(عليه السلام)يرى في ولده الزكي امتداداً للإمامة الكبرى ، فاهتمّ بأمره، وأشاد بفضله قائلا فيه:

١٠١٠. الإتحاف بحبّ الأشراف ، ص ١٧٨.

١٠١١. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ، ص ١٥٥ ودائرة المعارف البستاني، ج ٧، ص ٤٥ والآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

«أبومحمّد ابني أصحّ آل محمّد غريزة، وأوثقهم حجّة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عُرى الإمامة وأحكامنا»[١٠١٢] ومن المؤكّد أنّ الإمام الهادي(عليه السلام)بعيد كلّ البعد عن المحاباة، أو الاندفاع العاطفي الأبوىّ.

٢ . حياته بعد أبيه

لقد بلغت القاعدة الجماهيرية للخطّ الموالي لأهل البيت(عليهم السلام) حداً كبيراً من الانتشار في العالم الإسلامي، فازداد خطر هذا الخطّ على السلطة الحاكمة ، فتعجّلت للقضاء على رموزه. فاستشهد الامام صلوات الله عليه بعد أن أمضى حوالي ست سنوات إماماً للأُمة بعد أبيه في ربيع الأوّل من سنة ٢٦٠ هجرية بمدينة سرّ من رأى. وعاصر من ملوك بني العباس كلا من المعتز والمهتدي والمعتمد.

انطباعات عن شخصية الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)

لم تجمع الأُمة بأسرها على أفضلية أحد كما أجمعت على أفضلية أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فقد أجمع على أفضليتهم وجلالتهم السلف والخلف، وتحدّث عن مناقبهم ومآثرهم جميع علماء الإسلام، بل حتى علماء الأديان الأُخرى، وتسابق أعلام الفكر ـ قديماً وحديثاً ـ في الكتابة عنهم ، وذكر مكارمهم وأياديهم على الأُمّة. ولعلّ ما كُتب عنهم بأقلام أهل السنة لايقلّ عمّا كتبه عنهم شيعتهم ومواليهم، ولا غرو في ذلك بعد أن كانوا بإجماع المسلمين أحد الثقلين اللذين خلّفهما الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)بين ظهراني الأُمّة لإنقاذها من الضلال ; ففي بيوتهم نزل الوحي ، ومنهم انطلقت الدعوة المحمّدية، فهم سَدَنة هذا الدين ، والقائمون عليه، وإليهم تنتهي عُرى الإمامة وقيادة الأمة.

ونشير هنا إلى بعض كلمات العلماء والعظماء في الإشادة بفضل الإمام الحسن العسكري(عليه السلام):

١ . قال الوزير عبيدالله بن خاقان لابنه: يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره لفضله وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلا جزلا نبيلا فاضلا[١٠١٣].

٢ . قال أحمد بن عبيدالله بن خاقان: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن علي الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إيّاه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامة الناس. فأذكر أنّي كنت يوماً قائما على رأس أبي ـ وهو يوم مجلسه للناس ـ إذ دخل حجّابه فقالوا: أبومحمّد بن الرضا بالباب ، فقال بصوت عال: إئذنوا له.

١٠١٢. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ٢٤٥.

١٠١٣. الإرشاد ، ص ٣٦٤.

فتعجّبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكنّوا رجلا بحضرة أبي، ولم يكن يُكّنى عنده إلاّ خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يُكّنى. فدخل رجل أسمر ، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حديث السن، له جلالة وهيبة حسنة.

فلمّا نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلا عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب مما أرى منه. فلم تكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب القضاة والفقهاء وسائر الناس إلاّ وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرفيع، والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، ولم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه والثناء عليه[١٠١٤].

٣ . قال له مهجع بن الصلت: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، ذرية بعضها من بعض، أشهد أنّ حقّك لَواجب كوجوب حقّ أميرالمؤمنين والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين، وإليك انتهت الحكمة والإمامة، وإنّك ولي الله الذي لا عذر لأحد في الجهل به[١٠١٥].

٤ . قال بختيشوع الطبيب: هو أعلم في يومنا هذا ممّن هو تحت السماء[١٠١٦].

٥ . قال له انوش النصراني كاتب الخليفة: إنّا وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عند الله[١٠١٧].

٦ . قال كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي: وأمّا مناقبه فاعلم أنّ المنقبة العليا، والمزية الكبرى التي خصّه الله عزّوجلّ بها، وقلّده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يُبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسنة تلاوتها وترديدها: أنّ المهدي محمّداً نسله، المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه...[١٠١٨].

٧ . قال شمس الدين يوسف ـ سبط ابن الجوزي ـ : كان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جده[١٠١٩].

٨ . قال علي بن الصباغ المالكي: مناقب سيدنا أبي محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري ابن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنّه إن بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة، وإذا كان أفاضل زمانه قصيدة فهو بيت القصيد، وإن انتظموا عِقداً كان مكان

١٠١٤. الإرشاد ، ص ٣٦٥ وأصول الكافي، ج ١، ص ٥٠٤.

١٠١٥. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ٣٠٢ وأصول الكافي، ج ١، ص ٢٨١.

١٠١٦. المصدر نفسه.

١٠١٧. صحيفة الأبرار ، ج ٢، ص ٣٣٣.

١٠١٨. مطالب السؤول ، ص ٨٨.

١٠١٩. تذكرة الخواصّ ، ص ٣٦٢.

الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غوامضها فلا يجادل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدّث في سرّه بالأُمور الخفيّات، الكريم الأصل والنفس والذات...[١٠٢٠].

٩ . قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: الفصل العاشر في ذكر برج الأصل الزكي، والمكاشف بالأمر الخفي، الإمام الحسن بن علي العسكري(رضي الله عنه). ولد بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين من الهجرة، وأُمّه أُم ولد، وكنيته أبومحمّد، ولقبه الخالص، وكان بين السمرة والبياض، ونقش خاتمه: «**سبحان من له مقاليد السماوات والأرض**». وأمّا مناقبه(رضي الله عنه) فلم تطل أيامه في الدنيا ليظهر للناس مآثره ومزاياه... وعن الهيثم بن عدي: لمّا أمر المعتز بحمل أبي محمّد الحسن إلى الكوفة، كتبت إليه: ما هذا الخبر الذي بلغنا.

فكتب: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج إن شاء الله تعالى» فقتل المعتز في اليوم الثالث.

وسأله رجل أن يدعو له بالغنى لفقر مسّه.

فقال: «أبشر، مات ابن عمك وخلّف مئة الف درهم، وعن قريب يأتيك». فورد الخبر عن قريب، والمال معه كما ذكر[١٠٢١].

١٠ . قال محمّد أمين غالب الطويل: الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وسمي الحسن الزكي والخالص والسراج، توطّن بلدة سرّ من رأى المسمّاة العسكر، ولذلك سمّي العسكري. اشتدّ في زمن هذا الإمام خوف العباسيين من خطر الإمامة، فجعلوا يوقعون بالعلويين، ويزدادون في اضطهادهم لهم، وقد بلغ بالخليفة المتوكّل الأمر إلى هدم قبر ريحانة النبي الحسين الشهيد، وتحويل المياه إلى أرضه وحراثتها، وقتل من كانوا مجاورين لمرقده الشريف.

ولد الإمام العسكري سنة ٢٣٢هـ ، وقد سجنه الخليفة المعتمد بن المتوكّل، ولمّا ظهرت كراماته أطلق سراحه، ثم عاد وأمر بإلقاء السمّ في طعامه، وتوفي وعمره ٢٨ سنة ، وذلك في سنة ٢٦٠هـ .

وقال: كان الإمام يقول في حياته لأصحابه: إنّ ابنه محمّداً هو المهدي المنتظر[١٠٢٢].

قبس من فضائل ومظاهر شخصية الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)

١ . عبادته

كان الإمام أبومحمّد(عليه السلام) أعبد أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى وكان يُحيي لياليه بالصلاة، وتلاوة الكتاب، والسجود لله. قال محمّد الشاكري: كان الإمام يجلس في المحراب، ويسجد، فأنام وانتبه وهو ساجد[١٠٢٣].

١٠٢٠. الفصول المهمّة ، ص ٢٧٢.

١٠٢١. أخبار الدول ، ص ١١٧.

١٠٢٢. تأريخ العلويّين ، ص ١٧٠.

١٠٢٣. دلائل الإمامة ، ص ٢٢٧.

صلاته وكان الإمام الحسن(عليه السلام) يتجه في صلاته بقلبه ومشاعره نحو الله ، خالق الكون وواهب الحياة، ولم يحفل بأي شأن من شؤون الدنيا ما دام يصلّي ; فالصلاة معراج المؤمن، وقد تعلّقت روحه بالله تعالى ، واتّصل به اتّصال المنيبين والعارفين.

قنوته في صلاته كان الإمام إذا قنت في صلاته يدعو بهذا الدعاء الشريف، الذي يوضّح مدى تعلّق الإمام واعتصامه بالله، وهذا نصّه:

«يا من غشي نور الظلمات، يا من أضاءت بقدسه الفجاج المتوعّرات، يا من خشع له أهل الأرض والسماوات، يا من بخع له بالطاعة كلّ متجبّر عات، يا عالم الضمائر المستخفيات، وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك، وقهم عذاب الجحيم، وعاجلهم بنصرك الذي وعدتهم ، إنّك لا تخلف الميعاد، وعجّل اللّهم اجتياح أهل الكيد، وأوردهم إلى شرّ دار في أعظم نكال وأقبح مآب.

اللهم إنّك حاضر أسرار خلقك، وعالم بضمائرهم، ومستغن لولا الندب باللجأ إلى تنجّز ما وعدته، اللاَّجي عن كشف مكامنهم، وتعلم يارب ما أسرّه وأُبديه، وأنشره وأطويه، وأُظهره وأُخفيه ، على متصرّفات أوقاتي، وأصناف حركاتي من جميع خلجاتي، وقد ترى يا ربّ ما قد تراطم فيه أهل ولائك، واستمرّ عليهم من أعدائك، غير ضنين في كرم، ولا ضنين بنعم، وإنّ الجهد يبعث على الاستزادة، وما أمرت به من الدعاء إذا أُخلص لك اللجأ... يقتضي إحسانك شرط الزيادة.

وهذه النواصي والأعناق خاضعة لك بذلّ العبودية، والاعتراف بملكة الربوبية، داعية بقلوبها، ومحصنات إليك في تعجيل الإنالة، وما شئت كان، وما تشاء كائن ، أنت المدعو المرجو، المأمول، المسؤول ، لا ينقصك نائل وإن اتّسع ، ولا يلحفك سائل وإن ألحّ وضرع، ملكك لا يلحقه التنفيد ، وعزّك الباقي على التأبيد، وما في الأعصار من مشيئتك بمقدار، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الرؤوف الجبّار. اللّهم أيّدنا بعونك، واكفنا بصونك، وأنلنا منال المعتصمين بحبلك، المستظلّين بظلّك...»[١٠٢٤].

لقد أضفى الإمام(عليه السلام) في هذا الدعاء النعوت الكريمة ، والأوصاف العظيمة على الخالق الحكيم، وذلك يكشف عن مدى معرفة الإمام بعظمته تعالى.

وألمح إلى ما يعانيه المسلمون في عصره من الظلم والاضطهاد من حكّام بني العبّاس الذين جهدوا على إرغام الناس على ما يكرهون ، وأخذ الإمام(عليه السلام)بعد ذلك بالخشوع والتذلّل إلى الله الذي يملك نواصي عباده ، طالباً منه العون، والاعتصام بحبله ، والاستظلال بظلّه.

٢ . علمه

إنّ الشيء المحقّق الذي اتّفق عليه المترجمون للإمام(عليه السلام) أنّه كان أعلم أهل عصره وأفضلهم ، لا في شؤون الشريعة وأحكام الدين فحسب، وإنّما في جميع أنواع العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية.

١٠٢٤. مهج الدعوات ، ص ٦٢ ـ ٦٣.

يقول بختيشوع الطبيب المسيحي لتلميذه في شأن الإمام: «وهو أعلم في يومنا هذا ممّن هو تحت السماء»[١٠٢٥].

ولو أنّ طغاة بني العباس فسحوا المجال لأئمّة أهل البيت(عليهم السلام) ، ولم يفرضوا عليهم الرقابة المكثّفة ، لملأوا الدنيا بعلومهم ومعارفهم، ولشاهدت الإنسانية ألواناً من العلوم والتطوّر الفكري لم تعهده في جميع عصورها وأدوارها.

لقد أيقن العبّاسيون بأنّهم إذا لم يحولوا بين رجال الفكر والعلم والأئمة الطاهرين فإنّهم سلام الله عليهم سينشرون من العلم والوعي ما تتقدّم به الأُمّة في مجالاتها الفكرية والعلمية، وتنفتح لها آفاق جديدة ، لا في ميادين العلوم فحسب، وإنّما في ميادين الوعي السياسي والاجتماعي، وتقف بذلك على جهل العباسيين ، وبُعدهم عن القيم الإسلامية. ومن الطبيعي أنّ ذلك يهدّد سلطنتهم بالخطر، فلذا عملوا جاهدين على الحيلولة بين الأُمّة وبين قادتها الواقعيين.

٣ . حلمه

كان من أحلم الناس ، وأكظمهم للغيظ، وقد قابل مَن أساء إليه بالعفو والصفح عنه.

وقد عمدت الحكومة العبّاسية إلى اعتقاله وزجّه في سجونها، وهو صابر محتسب ، لم ينبس ببنت شفة، ولم يَشْكُ لأيّ أحد ما هو فيه من الضيق، وقد أوكل أمره إلى الله تعالى، وكان ذلك من آيات حلمه.

٤ . قوّة الإرادة

تميّز الإمام أبومحمّد(عليه السلام) بإرادته الصلبة ; اذ جهدت الحكومة العبّاسية في إدراجه في جهازها، وبذلت جميع طاقاتها لإخضاعه لرغباتها ، فلم تستطع، وأصرّ الإمام(عليه السلام)على استقلاليته وبعده عنها، واعتبره العبّاسيون الممثِّل الوحيد لقوى المعارضة لسياستهم المبنيّة على الاستغلال وقهر الشعوب.

٥ . السخاء

لقد كان من أسخى الناس ، وأنداهم كفّاً، وقد أقام له وكلاء في أكثر المناطق الإسلامية لقبض ما يرد إليه من الحقوق الشرعية، وعهد إليهم بإنفاقها على الفقراء والمحرومين وإصلاح ذات البين، وغير ذلك ممّا ينفع الناس.

وكان ممّا رواه المؤرّخون من فيض كرمه أنّ محمّد بن علي بن إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) قال: قد ضاقت أُمورنا، فقال أبي: امضِ بنا حتى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمّد ـ فإنّه قد وصف لنا سماحه، فقلت له: تعرفه؟ قال: ما أعرفه، ولا رأيته قط، قال: فقصدناه، فقال أبي في الطريق: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمس مائة درهم، مئتي درهم للكسوة، ومئتي درهم للدقيق، ومائة

١٠٢٥. بحار الأنوار ، ج ٥٠، ص ٣٠٢.

درهم للنفقة، وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاث مائة درهم، مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل، فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه، فقال: يدخل علي بن إبراهيم ومحمّد ابنه، فلمّا دخلنا عليه، وسلّمنا، قال لأبي: «يا علي ، ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟».

فأجاب: يا سيدي ، استحييت أن ألقاك على هذه الحال.

ومكثا وقتاً يسيراً ثم خرجا، فجاء غلام الإمام إليهما وناول عليّاً صرّة فيها دراهم، وقال: هذه خمس مائة درهم، مئتا درهم للكسوة، ومئتان للدقيق، ومائة للنفقة. وأعطى ولده محمّداً صرّة فيها ثلاثمئة درهم وقال له: اجعل مئة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل، وصر إلى سوراء. وصار محمّد إلى سوراء فتحسّنت أُموره، وصار من أثرياء العلويين[١٠٢٦].

لقد أنقذ الإمام(عليه السلام) هذه الأُسرة العلوية من الفقر والبؤس، ووفّر لها الحياة الاقتصادية التي تنعم بها.

٦ . سمو الأخلاق

كان الإمام أبومحمّد(عليه السلام) على جانب عظيم من سمو الأخلاق ، فكان يقابل الصديق والعدو بمكارم أخلاقه، وقد ورثها عن جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)الذي وسعت مكارم اخلاقه جميع الناس ، حتّى أثّرت مكارم أخلاقه في أعدائه والحاقدين عليه، فانقلبوا من بغضه إلى حبّه والإخلاص له. فقد نقل المؤرخون أنّه حبس في عهد المتوكّل الذي كان شديد العداوة لآل النبيّ(صلى الله عليه وآله) ، وكان حاقداً على آل أبي طالب ، وقد أمر بالتنكيل بالإمام، والتشديد عليه ، إلاّ أنّه لما اتّصل به، وشاهد سمو أخلاقه وعظيم هديه وصلاحه انقلب رأساً على عقب، فكان لا يرفع بصره إليه ، إجلالاً وتعظيماً له. ولمّا خرج الإمام من عنده كان أحسن الناس بصيرة ، وأحسنهم قولاً في الإمام.

لقد كان الإمام أبومحمّد(عليه السلام) ـ في معالي أخلاقه ـ نفحة من نفحات أدب القرآن الكريم، وثمرة معطّرة من ثمرات الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله).

من تراث الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)

١ . قال(عليه السلام) : «لا تمارِ فيذهب بهاؤُكَ ، ولا تُمازِحْ فيُجْتَرَأ عليك».

٢ . «من الجهل الضِّحك من غير عَجب».

٣ . «من الذُّنوب التي لا تُغْفَر: ليتني لا أُؤاخذُ إلاّ بهذا»[١٠٢٧]. ثمَّ قال(عليه السلام): «الإشراك في النّاس أخفى من دبيب الَّنملِ على المِسحِ الأسود في اللَّيلة المظلمةِ»[١٠٢٨].

١٠٢٦. كشف الغمّة ، ج ٢، ص ٤١٠،

١٠٢٧. أي قول الرجل المذنب ذلك إذا قيل له: لا تعصِ.

٤ . «بِئسَ العبدُ عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً[١٠٢٩] ، ويأكله غائباً، إن أُعطي حسَدَهُ، وإن ابتُلي خذَلَهُ»[١٠٣٠].

٥ . «الغضبُ مفتاح كلِّ شرٍّ».

٦ . «أقلُّ النّاس راحةً الحقود»[١٠٣١].

٧ . «قلب الأحمق في فمه ، وفم الحكيم في قلبه».

٨ . «من تَعدَّى في طهوره كان كناقضه».

٩ . «ما تركَ الحقَّ عزيزٌ إلاّ ذلَّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلاّ عزّ».

١٠ . «صديق الجاهل تعبٌ».

١١ . «جرأةُ الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره».

١٢ . «إنّكم في آجال منقوصة ، وأيّام معدودة ، والموتُ يأتي بَغتَةً. من يزرع خيراً يحصِد غِبطَةً، ومن يَزرعُ شرّاً يحصِد ندامةً. لكلِّ زارع ما زرَعَ. لا يُسبَقُ بطيئٌ بحظِّه، ولا يُدرك حريصٌ ما لم يقدَّر له. من أُعطي خيراً فالله أعطاهُ، ومن وُقيَ شرّاً فالله وقاه».

١٣ . «ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون».

١٤ . وقال(عليه السلام) : «ما أقبحَ بالمؤمن أن تكون له رغبةٌ تُذِلُّهُ».

١٥ . «لا تُكرِم الرَّجُل بما يشقُّ عليه».

١٦ . «من وعظَ أخاهُ سِرّاً فقد زانَهُ، ومن وعظَهُ علانيةً فقد شانهُ».

١٧ . وقال(عليه السلام) : «ما من بليَّة إلاّ ولله فيها نعمةٌ تُحيطُ بها».

١٨ . «التواضع نعمةٌ لا يُحسَدُ عليها».

١٩ . «من التواضع السلامُ على كلِّ من تمُرُّ به، والجلوسُ دون شرفِ المجلس».

٢٠ . «من رضيَ بدون الشرفِ من المجلس لم يزل الله وملائكتُه يصلُّون عليه حتّى يقوم».

٢١ . «من الفواقرِ التي تقصِمُ الظهر[١٠٣٢] جارٌ : إن رأى حسنةً أطفأها ، وإن رأى سيِّئةً أفشاها».

٢٢ . «بِسم الله الرحمن الرحيم أقربُ إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها».

٢٣ . «حبُّ الأبرار للأبرار ثوابٌ للأبرار، وحبّ الفجّار للأبرار فضيلةٌ للأبرار، وبغضُ الفجّار للأبرار زينٌ للأبرار ، وبغضُ الأبرار للفجّار خزيٌ على الفُجّار».

٢٤ . وقال(عليه السلام) لشيعته: «أُوصيكم بتقوى الله ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر ، وطول السجود ، وحسن الجِوار، فبهذا جاءَ

١٠٢٨. المسح ـ بالكسر ـ : البساط من الشعر، والتقييد بالأسود تأكيد في إخفائه وعدم رؤيته.

١٠٢٩. أطرى فلاناً: أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه.

١٠٣٠. في بعض النسخ: «خانه».

١٠٣١. الحقود: الكثير الحقد.

١٠٣٢. الفواقر: جمع فاقرة أي الداهيه العظيمة فكأنّها تكسر فقر الظهر.

محمّد(صلى الله عليه وآله). صلّوا في عشائرهم ، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهُمْ ، وأدُّوا حقوقهم[١٠٣٣] ; فإنّ الرجل منكُم إذا ورعَ في دينه ، وصدقَ في حديثه ، وأدَّى الأمانة ، وحسَّن خُلقَهُ مع الناس ، قيل: هذا شيعي ، فيسرّني ذلك. اتّقوا الله ، وكونوا زيناً ، ولا تكونوا شيناً. جرّوا إلينا كلَّ مودّة ، وادفعوا عنّا كلَّ قبيح ; فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحنُ أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله ، وقرابةٌ من رسول الله ، وتطهير من الله ، لا يدَّعيه أحدٌ غيرنا إلاّ كذّابٌ. أكثروا ذكر الله ، وذكر الموت ، وتلاوة القرآن ، والصَّلاة على النبي(صلى الله عليه وآله) ; فإنَّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصَّيتكم به ، وأستودعكم اللهَ ، وأقرأ عليكم السَّلام».

٢٥ . «ليست العبادةُ كثرة الصيام والصلاة ، وإنّما العبادة كثرة التفكُّر في أمر الله».

٢٦ . وقال(عليه السلام) لشيعته في سنةِ ستّين ومئتين: «أمرناكم بالتَّختُّم في اليمين ، ونحن بين ظهرانيكم[١٠٣٤] ، والآن نأمركم بالتَّختُّم في الشمال ; لغيبتنا عنكم إلى أن يُظهِر الله أمرنا وأمركم; فإنّه من أدلِّ دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت» فخَلَعوا خواتيمهم من أيمانهم بين يديه ولبسوها في شمائلهم. وقال(عليه السلام) لهم: «حدِّثوا بهذا شيعتنا».

٢٧ . «أورعُ الناس من وقف عند الشبهة. أعبدُ الناس من أقام على الفرائض. أزهدُ الناس من ترك الحرامَ. أشدُّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب».

٢٨ . «المؤمن بركةٌ على المؤمن ، وحجّةٌ على الكافر».

٢٩ . «لا يشغلك رزقٌ مضمونٌ عن عمل مفروض».

٣٠ . «خصلتان ليس فوقهما شيءٌ: الإيمان بالله، ونفع الإخوان».

٣١ . وكتب إليه بعض شيعته يعرّفه اختلاف الشيعة، فكتب(عليه السلام) : «إنّما خاطَبَ الله العاقِلَ ، والناس فيَّ على طبقات: المستبصر على سبيل نجاةٍ، مُتمسّك بالحقّ، مُتعلّقٌ بفرع الأصل، غير شاكٍّ ولا مرتاب، لا يجدُ عنّي ملجأ. وطبقةٌ لم تأخذ الحقَّ من أهله، فهم كراكب البحر يموجُ عند موجه ويسكن عند سكونه. وطبقةٌ استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرَّدُّ على أهلّ الحقّ ، ودفع الحقّ بالباطل ; حسداً من عند أنفسهم. فدع من ذهب يميناً وشمالاً ; فإنَّ الرّاعي إذا أراد أن يجمع غنمَهُ جمعها بأهون سعي ، وإيّاك والإذاعة وطلب الرئاسة ; فإنّهما يدعوان إلى الهلكة»[١٠٣٥].

١٠٣٣. الضمير يرجع إلى المخالفين أو مطلق الناس.

١٠٣٤. أي بينكم وفي جماعتكم.

١٠٣٥. راجع تحف العقول ، ص ٤٨٦ ـ ٤٩٠.

الفصل الرابع عشر

الإمام المهدي المنتظر محمّد بن الحسن(عليهما السلام)

الأُصول الكريمة

الأب هو الإمام الحادي عشر من أئمّة الهدى(عليهم السلام) ، الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ، الذي هو من مصادر الوعي في دنيا الإسلام، ومن سادات المتّقين والمنيبين إلى الله تعالى، وهو ـ بإجماع المؤرخين ـ أعظم شخصية إسلامية فذّة في عصره.

والأُمّ هي بنت يشوع الذي ينتهي نسبه إلى قيصر ملك الروم، كما أنّ أُمّها ينتهي نسبها إلى شمعون الذي هو أحد أوصياء السيّد المسيح ومن حواريه[١٠٣٦]. وكانت هذه السيّدة الزكية من سيّدات نساء المسلمين في عفّتها وإيمانها وطهارتها، ويكفيها سموّاً وفخراً أنّها كانت وعاءً لأعظم مصلح اجتماعي في التاريخ.

وكانت تسمّى بسوسن[١٠٣٧]، وريحانة[١٠٣٨]، ونرجس، وصقيل، وخمط[١٠٣٩]، وإنّما سُمّيت بهذا الاسم ; لأنّها قد اعتراها النور والجلاء بسبب حملها بالإمام(عليه السلام)[١٠٤٠].

تسميته وألقابه وكنيته

أمّا اسمه الشريف فهو كاسم جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) ، منقذ البشرية من الضلال، وكذلك ينقذها حفيده وآخر أوصيائه الاثني عشر(عليهم السلام). وقد اتّفق المؤرّخون والرواة على أنّ الذي سمّـاه بهذا الاسم هو جدّه الرسول(صلى الله عليه وآله)[١٠٤١].

وقد لُقِّب الإمام(عليه السلام) بألقاب كريمة، منها:

١ . المهدي ، وهو من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، لُقِّب بذلك لأنّه يهدي إلى الحق، أو إلى كلّ أمر خفي[١٠٤٢]. وقد أُضفي هذا اللقب الكريم من قبلُ على النبي(صلى الله عليه وآله)أيضاً، يقول حسّان بن ثابت في رثائه له:

١٠٣٦. بحار الأنوار ، ج ٥١، ص ٧.

١٠٣٧. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.

١٠٣٨. بحار الأنوار ، ج ١٣، ص ٦.

١٠٣٩. بحار الأنوار ، ج ٥١، ص ٥٤، ٢٣، ٢٤.

١٠٤٠. حياة الإمام محمّد المهدىّ (للقرشي) ، ص ٢١ ـ ٢٢ عن مرآة الزمان، وينابيع المودّة.

١٠٤١. حياة الإمام محمّد المهديّ (للقرشي)، ص ٢٧ عن عقد الدرر.

١٠٤٢. بحار الأنوار ، ج ٥١، ص ٢٩.

ما بال عيني لا تنام كأنّما *** كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهديّ أصبح ثاوياً *** يا خير من وطئ الحصى لا تبعد[١٠٤٣]

وكان من دعاء النبي(صلى الله عليه وآله) : «**اللّهم زيّنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهديّين**»[١٠٤٤].

وأُطلق هذا اللقب على الإمام الحسين(عليه السلام). قال سليمان بن صرد وهو من أعلام التوابين: «اللّهم ارحم حسيناً ، الشهيد ابن الشهيد، المهديّ ابن المهديّ»[١٠٤٥].

وقد اختصّ هذا اللقب الكريم بالإمام المنتظر(عليه السلام) ، فإذا أُطلق لا ينصرف إلى غيره، وقد أشار الى ذلك ابن منظور[١٠٤٦]والزبيدي[١٠٤٧].

٢ . القائم ; لأنّه يقوم بالحقّ[١٠٤٨] ، وأُضيف إليه: قائم آل محمّد(عليه السلام).

٣ . المنتظر[١٠٤٩] ; لأنّ المؤمنين ينتظرونه بفارغ الصبر.

٤ . الحجّة[١٠٥٠] ; لأنّه حُجَّة الله تعالى على خلقه وعباده.

٥ . الخلف الصالح ; لأنّه أعظم خلف لأسمى أُسرة في دنيا الإسلام.

أمّا كنيته فمن المؤكّد أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) كنّى آخر خلفائه الإمام المنتظر(عليه السلام)بأبي القاسم.

تاريخ ولادته

ولد الإمام المصلح العظيم سنة ٢٥٥ هـ [١٠٥١].

وجاءت ولادته في ليلة مباركة ميمونة ، هي ليلة النصف من شعبان، وهي من أقدس الليالي، وفي بعض الأحاديث: أنّها من ليالي القدر، وأنّه يفرق فيها كل أمر حكيم، ويُستحبّ في تلك الليلة المباركة أيضاً زيارة أبي الأحرار وريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله)الإمام الحسين(عليه السلام) .

عرضه على الشيعة

عرض الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وليده المبارك على خلّص شيعته وخيارهم ; ليتعرّفوا عليه، وحتى لا يجحده جاحد ، ولا يشك في وجوده مرتاب. فقد روى كلّ من معاوية بن حكيم، ومحمّد بن أيوب، ومحمّد بن عثمان، فقالوا: عرض علينا أبومحمّد الحسن(عليه السلام) ولده، ونحن في منزله ، وكنّا أربعين رجلاً، فقال:

١٠٤٣. ديوان حسّان بن ثابت ، ص ٩٧.
١٠٤٤. مسند الإمام أحمد ، ج ٤، ص ٢٦٤.
١٠٤٥. تأريخ الطبري ، ج ٧، ص ٧٠.
١٠٤٦. تاج العروس ، ج ١، ص ٤٠٩.
١٠٤٧. لسان العرب ، ج ٣، ص ٧٨٧.
١٠٤٨. بحار الأنوار ، ج ٥١، ص ٣٠.
١٠٤٩. عقد الدرر في أخبار المنتظر ، ص ١٩٤.
١٠٥٠. روضة الشهداء ، ص ٣٢٦.
١٠٥١. وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ٤٥١.

«هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم لتهلكوا. أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا...»[١٠٥٢].

لقد أقام عليهم الحجّة، وعرّفهم بإمام زمانهم من بعده، وليكونوا شهداء صدق، يؤدّون ما رأوه إلى غيرهم.

ملامحه وصفاته

أمّا ملامح الإمام المنتظر(عليه السلام) وصفاته فكانت كملامح الأنبياء والأوصياء هيبةً ونوراً ، وممّا جاء في وصفه:

١ . روى أبوسعيد الخدري، عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: **«ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبهة ، يملأ الأرض عدلاً، ويفيض المال فيضاً»**[١٠٥٣].

٢ . روى الإمام أبوجعفر الباقر(عليه السلام) بسنده عن آبائه عن سيّد العترة الطاهرة الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) أنّه قال ـ وهو على المنبر ـ : **«يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون، مشربٌ بالحمرة، مندح البطن**[١٠٥٤] **، عريض الفخذين، عظيم مشاش**[١٠٥٥] **المنكبين ، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي**(صلى الله عليه وآله)**...»**[١٠٥٦].

شبهه بالنبي(عليه السلام)

الإمام المهديّ المنتظر أشبه الناس بجدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فهو يشبهه في سيرته وجهاده، وثورته على الظلم والطغيان، وتغييره لمناهج الحياة القائمة في عصره ـ على الظلم والفوضى والقلق والاضطراب ـ إلى صيانة الحقوق، وإشاعة العدل والأمن والاستقرار.

وإذا ظهر قائم آل محمّد(عليه السلام)فإنّه سوف يقوم بالدور نفسه الذي قام به جدّه، من تحطيم عروش الطغاة والمتجبّرين، وتدمير معالم السياسة القائمة المبنيّة على الكذب والدجل والنفاق، واقامة العدل في جميع أرجاء العالم.

وقد أُثرت عن النبي(صلى الله عليه وآله) وعن أئمة الهدى(عليهم السلام) مجموعة من الأحاديث تعلن شبه الإمام المنتظر بجدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، منها:

١٠٥٢. ينابيع المودة ، ص ٤٦٠ وراجع بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٦٠.

١٠٥٣. عقد الدرر في أخبار المنتظر ، ص ١٠١.

١٠٥٤. مندح البطن: أي متّسع البطن.

١٠٥٥. المشاش: رؤوس العظام كالمرفقين، والكتفين، والركبتين.

١٠٥٦. حياة الإمام محمّدالمهديّ (عليه السلام) (للقرشي) ، ص ٣٢ ـ ٣٣ عن كمال الدين.

١ . روى حذيفة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «**لو لم يبق في الدنيا إلاّ يومٌ واحد لبعث الله فيه رجلاً ، اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يكنّى أبا عبدالله، يبايع له الناس بين الركن والمقام، يردّ الله به الدين، ويفتح له فتوحاً، فلا يبقى على وجه الأرض إلاّ من يقول: لا إله إلاّ الله**».

فقام إليه سلمان، فقال: يا رسول الله ، من أي ولدك هو؟ قال(صلى الله عليه وآله) : «**هو من ولد ابني هذا**» ، وضرب بيده على الحسين[١٠٥٧].

٢ . روت عائشة أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال: «**المهديّ رجلٌ من عترتي، يقاتل على سنّتي ، كما قاتلت أنا على الوحي**»[١٠٥٨].

٣ . روى جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «**المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً ، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأُمم، ثمَّ يقبل كالشهاب الثاقب ، يملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً**»[١٠٥٩].

مراحل حياته

تنقسم حياة الإمام المهدي(عليه السلام) إلى أربعة مراحل:

الأُولى: حياته في ظل والده، وقد عاش مع والده حوالي خمس سنوات.

الثانية: مرحلة الغيبة الصغرى ، والّتي استلم فيها مهامّ الإمامة الاّ أنّه غاب عن الأنظار ; خشية أن تقتله السلطات الحاكمة في مسعاها للقضاء على خطّ أهل البيت(عليهم السلام)نهائياً.

واستمرّت غيبته الأُولى هذه ٦٩ عاماً ، وكان خلالها يتّصل بشيعته ، ويردّ على استفساراتهم عن طريق أربعة نوّاب. وسمّيت هذه المرحلة بالغيبة الصغرى ; تمييزاً لها عن غيبته الكبرى ، والتي انقطع بها عن الاتّصال بجماهير الشيعة ـ بعد وفاة آخر النوّاب الأربعة ـ إلى أن يأذن الله تعالى له ، فيقوم ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. وهذه هي المرحلة الثالثة من حياته(عليه السلام).

المرحلة الرابعة هي مرحلة ظهوره وقيامه ضد الظلم والظالمين.

انطباعات عن شخصية الإمام المهدي(عليه السلام)

لقد صحّت الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) في ولادة وغيبة وظهور الإمام المهدي(عليه السلام) من ولده وعترته ، وأخرجها مؤلفوا الصحاح والسنن والمسانيد ، وبهذا اتّفقت كلمة المسلمين لاسيّما علماؤهم على صحة بشارات النبيّ(صلى الله عليه وآله) به فهو المولود الّذي بشّر به جدّه كما بشر بغيبته وخروجه ودولته.

١٠٥٧. ينابيع المودّة ، ص ٤٣٣، ٤٨٨.

١٠٥٨. المصدر نفسه.

١٠٥٩. الصواعق المحرقة ، ص ٩٩.

١ . قال أبوالحسين الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى (صلى الله عليه وآله) بخروجه ، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنّه يخرج مع عيسى على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فيساعده على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين، وأنّه يؤمّ هذه الأُمّة، ويصلّي عيسى خلفه[١٠٦٠].

٢ . قال أبوالطيب ابن أبي أحمد الحسيني البخاري القنوجي: وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف[١٠٦١]، وأمره مشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممّر الأعصار، وأنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيّد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمّى بالمهدي، ويكون خروج الدجّال من بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح، وأنّ عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجّال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتمّ بالمهدي في صلاته، إلى غير ذلك، وأحاديث الدجّال وعيسى أيضاً بلغت حدّ التواتر[١٠٦٢].

٣ . قال شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي: أبوالقاسم محمّد الحجّة، وعمره بعد وفاة أبيه خمس سنين ، آتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر[١٠٦٣].

٥ . قال القاضي أحمد بن خلكان: أبوالقاسم محمّد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمّد الجواد ... ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإماميّة، المعروف بالحجّة.

وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين، ولما توفّي أبوه ... كان عمره خمس سنين.

٦ . قال السيّد أحمد زيني دحلان مفتي مكة: والأحاديث التي جاء فيها ذكر المهدي كثيرة متواترة، فيها ما هو صحيح ، وفيها ما هو حسن، وفيها ما هو ضعيف ، وهو الأكثر، لكنّها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوّي بعضها بعضاً، حتى صارت تفيد القطع. لكن المقطوع أنّه لابدّ من ظهوره ، وأنّه من ولد فاطمة، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، نبّه على ذلك العلاّمة السيّد محمّد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة، وأمّا تحديد ظهوره بسنة معيّنة فلا يصحّ ; لأنّ ذلك غيب لا يعلمه إلاّ الله، ولم يُرَ نصّ من الشارع بالتحديد[١٠٦٤].

٧ . قال القاضي بهلول بهجت: الإمام أبوالقاسم محمّد المهدي، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥، أُمّه أُمّ ولد اسمها نرجس خاتون، وكان سنّه خمس سنين لمّا مات أبوه، غاب الإمام مرّتين: الأُولى

١٠٦٠. الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ، ص ٥٣.

١٠٦١. مع كثرة الحديث في أمر لايكون ضعف بعضها سبباً لردّها فان التواتر يوجب القطع الّذي يتقدم على الظن في كل الأحوال.

١٠٦٢. الصواعق المحرقه ، ص ١٢٤.

١٠٦٣. البرهان على وجود صاحب الزمان ، ص ٧٩.

١٠٦٤. سمط النجوم العوالي ، ج ٤، ص ١٣٨.

الغيبة الصغرى، والثانية الغيبة الكبرى، وهو حيّ إلى الآن، يظهر إذا أذن الله له، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[١٠٦٥].

٨ . قال الحسين بن معين الدين الميبدي: الأمل بوهّاب النعم أن ينور أبصارنا بكحل جواهر أقدام حضرته، وأن تشعّ أنوار شمس حقيقته مجتمعة على جدراننا وسطوحنا، وما ذلك على الله بعزيز[١٠٦٦].

٩ . قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح الدائرة: إنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة، أوّلهم سيّدنا علي، وآخرهم المهدي رضي الله عنهم ، ونفعنا الله بهم[١٠٦٧].

١٠ . قال العارف عبد الرحمن: وحيث يظهر المهدي يجعل الولاية المطلقة ظاهرة بلا خفاء، ويرفع اختلاف المذاهب، وسوء الأخلاق، حيث وردت أوصافه الحميدة في الأحاديث النبوية ، أنّه في آخر الزمان يظهر ظهوراً تامّاً، ويطهّر تمام الربع المسكون من الظلم والجور، ويظهر مذهباً واحداً ...[١٠٦٨].

قبس من فضائل الإمام المهدي(عليه السلام) ومظاهر شخصيته

إنّ صفات الإمام المنتظر(عليه السلام) تحاكي صفات الرسول(صلى الله عليه وآله) وآبائه الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، الذين هم عناصر الرحمة الإلهيّة ومظاهرها; فقد خلقهم الله أنواراً ; هداية لعباده ، وإرشاداً لخلقه، وأدلاّء على مرضاته. ومن بين مثله العليا وصفاته الرفيعة ما يلي:

١ . سعة علومه

كان الإمام المهدي(عليه السلام) من أوسع الناس علماً، ومن أكثرهم دراية وإحاطة بجميع أنواع العلوم والمعارف، فهو من ورثة علوم جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، ومن خزنة حكمته، ومن بين علومه إحاطته الكاملة بأحكام الدين ، وشؤون شريعة جدّه سيّد المرسلين، وقد أدلى الأئمة الطاهرون بسمو مكانته العلمية قبل أن يخلق:

١ . قال الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) في صفته: «**هو أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً**»[١٠٦٩].

٢ . روى الحرث بن المغيرة النضريّ، قال: قلت لأبي عبدالله الحسين بن علي(عليه السلام): بأيّ شيء يُعرف المهديّ ؟ قال: «**بمعرفة الحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاج إلى أحد**»[١٠٧٠].

١٠٦٥. كشف الأستار ، ص ١٤٦.

١٠٦٦. إلزام الناصب ، ج ١، ص ٣٤٠ عن كتاب الهداية.

١٠٦٧. البرهان على وجود صاحب الزمان ، ص ٧٥.

١٠٦٨. منتخب الأثر ، ص ٣٣٦ عن كتابه الرياض الزاهرة في فضل آل البيت ، النبيّ وعترته الطاهرة.

١٠٦٩. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٨ ـ ٣٩ عن غيبة النعماني، وعقد الدرر.

١٠٧٠. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٨ ـ ٣٩ عن غيبة النعماني، وعقد الدرر.

٣ . قال الإمام أبوجعفر الباقر(عليه السلام) : «**إنّ العلم بكتاب الله عزّوجلّ، وسنّة نبيّه، ينبت في قلب مهديّنا، كما ينبت الزرع على أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يراه، فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، والنبوّة ، ومعدن العلم، وموضع الرسالة**»[١٠٧١].

٤ . وقد ورد عن سعة علومه ومعارفه أنّه : «إذا ظهر(عليه السلام) يحاجج اليهود بأسفار التوراة، فيسلم أكثرهم»[١٠٧٢].

٥ . كان(عليه السلام) المرجع الأعلى للعالم الإسلاميّ في أيام الغيبة الصغرى، فقد كان نوّابه الأربعة يرفعون إليه المسائل التي يسأل المسلمون عن أحكامها فيجيبهم عنها، وقد حفلت موسوعات الفقه والحديث بالكثير من أجوبته ، وإليها يستند فقهاء الإماميّة فيما يفتون به من الأحكام، ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ الصدوق ـ نضّر الله مثواه ـ كان قد احتفظ بالقسم الكثير من تلك الفتاوى التي دوّنت أجوبتها بخطّه الشريف.

٢ . زهده

لقد كان أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) الأسوة الحسنة والمثل الأعلى في الزهد في الدنيا ، فقد طلّق سيّد العترة وباب مدينة علم النبي(صلى الله عليه وآله) ، الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) ، الدنيا ثلاث مرّات، لا رجعة له فيها. وعلى هذا المنهج المشرق سار أبناؤه وأحفاده الأئمة الطيّبون الطاهرون... واليك نماذج من أحاديث الأئمة الطاهرين في زهد الإمام المنتظر(عليه السلام) :

١ . روى معمر بن خلد، عن الإمام أبي الحسن الرضا(عليه السلام) أنّه قال: «وما لباس القائم(عليه السلام) إلاّ الغليظ، وما طعامه إلاّ الجشب»[١٠٧٣].

٢ . روى أبوبصير عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال: «ما تستعجلون بخروج القائم ، فوالله ما لباسه إلاّ الغليظ، وما طعامه إلاّ الشعير الجشب»[١٠٧٤].

ومن المحقّق أنّ هذه سيرته في جميع مراحل حياته، ولو لم يكن سلوكه بهذا النحو المشرق لما اختاره الله تعالى للقيام بأعظم دور إصلاحي في جميع فترات التاريخ. وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وينقذ الإنسانية من غطرسة الحاكمين، ويوزّع خيرات الله على جميع البائسين والمحرومين.

٣ . صبره

يُعدّ الامام المهدي المنتظر (عليه السلام) من أعظم الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)محنةً وأشدّهم بلاءً; لأنّه عاشر ورأى ـ في هذه الفترات الطويلة من الزمن ـ الأحداث الجسام التي داهمت العالم الإسلامي،

١٠٧١. المصدر نفسه.

١٠٧٢. المصدر نفسه.

١٠٧٣. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٩ ـ ٤٠ عن كمال الدين وبحار الأنوار وغيبة النعماني وغيبة الشيخ الطوسي.

١٠٧٤. المصدر نفسه..

ومزّقت أشلاءه ، حيث وقعت الأُمّة بجميع شرائحها صريعة بأيدي المستعمرين والكافرين، فأشاعوا فيها الباطل والجور، وعطّلوا أحكام الله وحدوده، ونهبوا ثروات الأُمّة، وتحكّموا في مصيرها، وكلّ هذه الأحداث بمرأى من الإمام ومسمع، والحزن يملأ قلبه ; فإنّه بحكم قيادته الروحية والزمنية، وأُبوَّته العامّة لهذه الأُمّة ، يتحرّق ألماً على جميع ما يحلّ بها من الخطوب والنكبات، وقد خلد(عليه السلام)إلى الصبر، وفوّض جميع أُموره وشؤونه إلى الله تعالى، فبيده مقاليد الأُمور، وهو الحاكم المطلق في عباده.

٤ . شجاعته

الإمام المنتظر(عليه السلام) من أشجع الناس قلباً، ومن أربطهم جأشاً، وأقواهم عزيمةً، فهو كجدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) في قوّة بأسه وشجاعته.

لقد قاوم النبي(صلى الله عليه وآله)قوى الشرك ، وحطّم ركائز الجهل والبغي، وأعلن حقوق الإنسان وكرامته وحقّه في الحياة، وقد قابل(صلى الله عليه وآله) ذئاب الشرك وضروس الكفر الذين جهدوا على أن يلغوا لواء الإسلام ، ويقبروا الدين في مهده ، إلاّ أنّه(صلى الله عليه وآله)سحق رؤوسهم، ومزّق جنودهم، ورفع كلمة الله عاليةً في الأرض. وسوف يقوم سبطه وخليفته الإمام المنتظر(عليه السلام) ، بنفس هذا الدور المشرق فيسقي الظالمين والمتجبّرين كأساً مصبّرة ، ويعيد للإسلام كرامته ومجده، بحزم ثابت لا يعرف الوهن، ولا يخضع لأيّ عامل من عوامل الضعف والخوف ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم والنّبي العظيم.

٥ . صلابته في الحقّ

الإمام المنتظر(عليه السلام) من أصلب المدافعين عن الحقّ، ومن أكثرهم تفانياً واندفاعاً لنصرة المظلومين والمضطهدين، لا تأخذه في إقامة الحقّ لومة لائم، شأنه شأن آبائه الأئمة المطهّرين الذين ناصروا الحقّ ، وقاوموا الباطل، وقدّموا أرواحهم قرابين لإقرار العدل بين الناس.

وحين تشرق الدنيا بظهور قائم آل محمّد(صلى الله عليه وآله) ، وتسعد الإنسانية بخروجه، فإنّه سلام الله عليه يقيم الحقّ في كلّ أبعاده، ولا يدع مجالا للغبن والظلم إلاّ حطّمه وقضى عليه.

٦ . سخاؤه

الإمام المنتظر(عليه السلام) من أندى الناس يداً، ومن أكثرهم جوداً، وأعظمهم سخاءً. وتواترت الأخبار على أنّه في أيام دولته وحكومته يوزّع خيرات الله على جميع الفقراء، بحيث لا يبقى فقير أو محتاج على وجه الأرض، ولنستمع إلى بعض ما أُثر عن كرمه من الأحاديث:

١ . روى أبوسعيد، عن النبي(صلى الله عليه وآله) في الإمام المهدي(عليه السلام) أنّه قال: «فيجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»[١٠٧٥].

١٠٧٥. منتخب كنز العمّال ، ج ٦، ص ٢٩ وينابيع المودّة، ص ٤٣١.

٢ . روى ابن عساكر عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً»[١٠٧٦].

٣ . قال جابر: أقبل رجل على أبي جعفر(عليه السلام) ، وأنا حاضر، فقال: رحمك الله اقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها ; فإنّها زكاة أموالي. فقال له أبوجعفر: «بل خذها أنت فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوانك من المسلمين. إنّما يكون هذا **إذا قام قائمنا، فإنّه يقسّم بالسوية، ويعدل في خلق الرحمن ، البرّ منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، فإنّما سُمي المهدي ; لأنّه يهدي لأمر خفيّ، يستخرج التوراة وسائر الكتب من غار بأنطاكية فيحكم (بين) أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان ، وتُجمع إليه أموال الدنيا كلّها، ما في بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله**»[١٠٧٧].

٧ . عبادته

مما لا شك فيه أنّ عبادة الإمام المنتظر(عليه السلام) كعبادة آبائه الأئمة الطاهرين: الذين وهبوا حياتهم لله تعالى، وسرى حبّه في أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم، وقد قضوا معظم حياتهم صائمين في نهارهم ، قائمين في لياليهم، قد أحيوها بالصلاة والدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وقد نقل الرواة مجموعة من أدعيته الشريفة التي كان يقرأ بعضها في قنوته، وبعضها في غير الصلاة. وسوف نشير إلى بعضها في الدرس الآتي . وهي تنمّ عن مدى تعلّقه بالله تعالى وانقطاعه إليه.

من تراث الإمام المهدي(عليه السلام)

للإمام المنتظر(عليه السلام) تراثٌ رائعٌ حافل بأنواع القيم الإسلامية، كان منه بعض أدعيته الشريفة التي هي مناجم التوحيد، ومن ذخائر الفكر الإسلامي، كما أنّ من بينها بعض الرسائل التي بعثها لأعلام أصحابه وخُلّص شيعته، وقد تضمّنت بعضها أجوبته عمّا سألوه من الأحكام الشرعيّة، وفيما يلي بعض ذلك:

١ . دعاؤه للمسلمين

«اللَّهمَّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبُعد المعصية، وصدق النيّة، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهّر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسّرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضّل

١٠٧٦. تأريخ ابن عساكر ، ج ١، ص ١٨٦ ومنتخب كنز العمّال، ج ٦، ص ٣.

١٠٧٧. حياة الإمام المهديّ (للقرشي) ، ص ٤٥ ـ ٤٦ عن كمال الدين وبحار الأنوار.

على علمائنا بالزّهد والنصيحة، وعلى المتعلّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرّأفة والرّحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسّكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسّعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة بالنصر والغلبة، وعلى الأُسراء بالخلاص والرّاحة، وعلى الأُمراء بالعدل والشفقة، وعلى الرعيّة بالإنصاف وحسن السيرة، وبارك على الحجّاج والزوّار في الزاد والنفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحجّ والعمرة، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين...»[١٠٧٨].

٢ . دعاؤه لقضاء الحوائج

وكان(عليه السلام) يدعو لقضاء حوائجه ومهامّه بالدعاء التالي، واليك نصّه بعد البسملة:

«أنت الله الّذي لا إله إلاّ أنت، مُبدئ الخلق ومعيدهم، وأنت الله الذي لا إله إلاّ أنت، مُدبّر الأُمور وباعث من في القبور، وأنت الله الذي لا إله إلاّ أنت القابض الباسط، وأنت الله الذي لا إله إلاّ أنت وارث الأرض ومن عليها، أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئِلتَ به أعطيت، وأسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تقضي لي حاجتي الساعة الساعة، يا سيّداه! يا مولاه! يا غياثاه! أسألك بكلّ اسم سمّيت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تصلّي على مُحمّد وآل محمّد، وأن تعجّل خلاصنا من هذه الشدّة، يا مقلّب القلوب والأبصار، يا سميع الدّعاء، إنَّك على كلّ شيء قدير، برحمتك يا أرحم الرّاحمين»[١٠٧٩].

٣ . دعاؤه للشفاء من الأسقام

وكان(عليه السلام) إذا أصابه سقم وألمَّ به مرض كتب هذا الدعاء الشريف في إناء جديد بتربة سيّد الشهداء، الإمام الحسين(عليه السلام) ، ويصبّ فيه الماء ويشربه.

«بسم الله دواء، والحمد لله شفاء، ولا إله إلاّ الله كفاء، هو الشافي شفاءً، وهو الكافي كفاءً، أذهب البأس، ربَّ الناس شفاء لا يغادره سقم، وصلّى الله على محمّد وآله النجباء»[١٠٨٠].

٤ . دعاؤه للفرج

«اللهمَّ ربَّ النور العظيم، وربّ الكرسيّ الرفيع، وربّ البحر المسجور، ومنزّل التوراة والإنجيل، وربّ الظلّ والحرور، ومنزّل الزبور والقرآن العظيم، وربّ الملائكة المقرّبين، والأنبياء المرسلين، أنت إلهُ من في السماء، وإلهُ من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبّارُ من في السّماء، وخالقُ من في الأرض، لا جبّار فيهما غيرك، وأنت خالقُ من في السّماء، وخالقُ من في الأرض، لا خالقَ فيهما غيرك. اللهمَّ أسألك بوجهك الكريم، وبنور وجهك المنير ، وملكك القديم، يا حيُّ يا قيّوم، أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون، وباسمك الذي يصلح به الأوّلون والآخرون، يا حيّاً قبل كلّ حيّ، ويا حيّاً بعد كلّ حيّ، ويا حيّاً حين

١٠٧٨. مصباح الكفعمي ، ص ٢٨١، ٣٠٦.

١٠٧٩. منتخب الأثر ، ص ٥٢١، ٥٢٠.

١٠٨٠. المصدر نفسه.

لا حيّ، ويا محيي الموتى، ويا حيّاً لا إله إلاّ أنت، يا حيّ، يا قيّوم، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب، رزقاً واسعاً حلالاً طيّباً، وأن تفرّج عني كلّ غمّ وكلّ همّ، وأن تعطيني ما أرجوه وآمله، إنّك على كلّ شيء قدير»[١٠٨١].

٥ . دعاؤه لشيعته

وكان(عليه السلام) يدعو بهذا الدّعاء لشيعته من أجل أن يفرّج عنهم، ويكشف ما ألمّ بهم من الضيق والحرمان:

«يا نور النور، يا مدبّر الأُمور، يا باعث من في القبور، صلِّ على محمّد وآل محمّد ، واجعل لي ولشيعتي من الضيق فرجاً، ومن الهمِّ مخرجاً، وأوسع لنا المنهج، وأطلق لنا من عندك ما يفرّج، وأفعل بنا ما أنت أهله، يا كريم يا أرحم الراحمين...»[١٠٨٢].

دعاؤه للنبي (صلى الله عليه وآله) **ولأئمة الهدى** (عليهم السلام)

وعهد الإمام(عليه السلام) لبعض شيعته أن يدعو بهذا الدعاء مصلّياً على النبي(صلى الله عليه وآله)وعلى الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم:

«اللهمّ صلِّ على مُحمّد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وحجّة ربّ العالمين، المنتجَب في الميثاق، المصطفى في الظِلال ، المطهّر من كلّ آفة، البريء من كلّ عيب، المؤمّل للنجاة، المرتجى للشفاعة، المفوّض إليه دينُ الله. اللهمّ شرّف بنيانه، وعظّم برهانه، وأفلج حجّته، وارفع درجته، وأضي نوره، وبيّض وجهه، وأعطه الفضل والفضيلة، والدرجة والوسيلة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون، وصلِّ على أميرالمؤمنين ، ووارث المرسلين ، وقائد الغرّ المحجلين ، وسيّد الوصيّين وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسن بن علي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسين بن علي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على مُحمّد بن علي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على موسى بن جعفر إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على علي بن موسى إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على محمّدبن علي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على علي بن محمّد إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسن بن علي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الخلف الصالح المهدي إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة ربّ العالمين.

١٠٨١. البلد الأمين ، ص ٦٠.

١٠٨٢. الإمام المهدىّ (عليه السلام) ، ص ٤٤.

اللهمَّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الأئمة الهادين المهديّين، العلماء الصادقين، الأبرار المتّقين،دعائم دينك، وأركان توحيدك، وتراجمة وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك ، الذين اخترتهم لنفسك، واصطفيتهم على عبادك، وارتضيتهم لدينك، وخصصتهم بمعرفتك، وجللتهم بكرامتك، وغشيتهم برحمتك، وربّيتهم بنعمتك، وغذّيتهم بحكمتك، وألبستهم نورك ، ورفعتهم في ملكوتك، وحففتهم بملائكتك ، وشرّفتهم بنبيك.

اللهمّ صلِّ على مُحمّد وعليهم صلاةً كثيرةً دائمةً طيّبةً، لا يحيط بها إلاّ أنت، ولا يسعها إلاّ علمك، ولا يحصيها أحدٌ غيرك. اللهمّ وصلِّ على وليّك ، المحيي سنّتك، القائم بأمرك، الداعي إليك، الدليل عليك، وحجّتك على خلقك، وخليفتك في أرضك ، وشاهدك على عبادك. اللهمَّ أعزّ نصره، ومُدّ في عمره، وزيّن الأرض بطول بقائه. اللهمَّ اكفه بغي الحاسدين، وأعذه من شرّ الكائدين، وادحر عنه إرادة الظالمين، وخلّصه من أيدي الجبّارين.

اللهمَّ اعطه في نفسه وذريّته وشيعته ورعيّته وخاصّته وعامّته وعدوّه وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه، وتسرّ به نفسه، وبلّغه أفضل ما أمّله في الدنيا والآخرة، إنّك على كلّ شيء قدير. اللهمَّ جدّد به ما محي من دينك، وأحي به ما بُدِّل من كتابك، وأظهر به ما غُيِّر من حكمك، حتّى يعود دينك على يديه غضّاً جديداً خالصاً مخلَصاً، لا شكّ فيه ولا شبهة معه، ولا باطل عنده ولا بدعة لديه.

اللهمَّ نوّر بنوره كُلّ ظلمة، وهدّ بركنه كلّ بدعة، واهدم بعزّته كلّ ضلالة واقصم به كلّ جبّار، واخمد بسيفه كلّ نار، وأَهلك بعدله كلّ جبّار، وأجر حكمه على كُلّ حكم، وأذلّ بسلطانه كلّ سلطان. اللهمّ أذلّ كلّ من ناواه، وأهلك كلّ من عاداه، وامكر بمن كاده، واستأصل من جحد حقّه ، واستهان بأمره ، وسعى في إطفاء نوره وأراد إخماد ذكره.

اللهمَّ صلِّ على محمّد المصطفى ، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن الرّضا، والحسين المصفّى، وجميع الأوصياء، مصابيح الدُّجى، وأعلام الهدى، ومنار التقى، والعروة الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم، وصلِّ على وليّك، وولاة عهدك، والأئمة من ولده، ومُدّ في أعمارهم ، وزِدْ في آجالهم، وبلّغهم أقصى آمالهم دنياً وآخرة إنّك على كلّ شيء قدير»[١٠٨٣].

حصيلة المسيرة الرسا لية لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)

لقد عرّف الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) بالموقع القيادي لعترته وأهل بيته الأطهار(عليهم السلام). وقد تجلّت كفاءاتهم العلمية والعمليّة لإحراز هذا الموقع بشكل واضح من خلال مسيرتهم المباركة بعد رحيل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، وانحراف مسيرة الخلافة عن النهج الذي رسمه النبي الحكيم.

وإذا أردنا أن نعرف المكاسب التي حقّقها الأئمّة الراشدون للرسالة الإسلامية وللأُمة المسلمة بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)ودورهم الفاعل في تاريخ الحركة الرسالية ـ بالرغم من إبعادهم عن مركز القيادة السياسية للأُمة ـ فلابد لنا أن نتعرّف أوّلاً على مجموعة المسؤوليات والمهامّ التي أُنيطت

١٠٨٣. البلد الأمين ، ص ٥٧٠.

بهم ، ثم نتعرّف على مجموعة الظروف التي أحاطت بهم وبالأُمّة بالرسالة لنكتشف دورهم الحقيقي في هذا الإطار.

١ . مهامّ أهل البيت(عليهم السلام) **الرساليّة**

تتلخّص مهامّ الأئمة الراشدين(عليهم السلام) الذين اختارهم الله تعالى للقيادة الرساليّة ـ المتمثّلة بالإمامة ـ بعد سيّدالمرسلين[١٠٨٤]فيما يلي:

١ . صيانة الإسلام (نظرياً).

٢ . وتطبيقه الصحيح في الأُمّة (عمليّاً) من خلال قيادتهم المعصومة.

٣ . تربية الإنسانية على أساس الإسلام الخالد.

٤ . صيانة دولة الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) من الانهيار والتردّي.

٥ . صيانة الأُمة المسلمة من التفتّت والتمزّق.

٢ . الطريق إلى تحقيق المهامّ الرساليّة:

عمل الأئمة الراشدون في خطّين أساسيين لتحقيق مجموعة المهامّ الملقاة على عاتقهم:

الخط الأوّل: خطّ تحصين الأُمّة من الانهيار بعد سقوط التجربة النبويّة ، حيث لم يستلم زمام الحكم بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) أناس معصومون كالرسول(صلى الله عليه وآله) ، وانّما استلمه صحابة غير معصومين من الخطأ والانحراف في العلم والعمل وفي فهم الرسالة وتطبيقها بشكل كامل.

والتحصين الذي استهدفه أهل بيت الرسالة للأُمة يتحقق من خلال إعطائها ما تحتاجه من المقوّمات لكي تصمد بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت أمام الأعاصير التي هبّت عليها بعد عزل القيادة المعصومة ـ المتمثلة في أهل البيت(عليهم السلام)ـ عن ممارسة مهامّها القيادية.

الخطّ الثاني: خطّ محاولة تسلّم زمام التجربة ، وزمام الدولة ، ومحو آثار الانحراف ، وإرجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي ; لتكتمل عناصر التربية الأساسيّة ، وتتلاحم الأُمّة مع قوانين الدولة الرّبّانيّة ، وقيم القيادة الرشيدة.

أما الخطّ الأول فهو عبارة عن التحصين العقائدي والثقافي والأخلاقي المستمر والضروري في كل الظروف والأحوال.

١٠٨٤ ـ لإثبات صدور النصّ من الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) على امامة الأئمة الاثني عشر و بيان دلالات النصوص الصادرة عنه ألّفت كتب قيّمة منها: موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني، والمراجعات للسيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي، واثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للعلاّمة الحر العاملي، وقادتنا للمرجع الكبير الميلاني، وعبقات الأنوار للعلاّمة ميرحامد حسين اللكنوي.

وأمّا الخط الثاني فكان لابدّ للأئمّة الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل المدى له إذا ارادوا استلام زمام الحكم بأنفسهم; لأن الأئمة لايريدون الحكم للحكم ، وانّما يريدون الحكم من أجل التطبيق الصحيح والتام للأحكام والحدود الإلهية ، وتحقيق القيم الرّبانية في المجتمع الإسلامي.

٣ . موقف الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) **من استلام زمام الحكم:**

لقد كان الأئمّة المعصومون(عليهم السلام) يرون أنّ الانتصار المسلّح الآنيّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقرّ، بل يتوقّف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام ، وبعصمته إيماناً مطلقاً ، ويعيش أهدافه الكبيرة ، ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ، ويحرس ما يحقّقه للأُمّة من مصالح أرادها الله لها.

بينما خط تحصين الأُمة من الإنهيار لايتنافى مع الظروف القاهرة ، وكان يمارسه الأئمّة حتّى في حالة الشعور بعدم توفّر الظروف الموضوعية المناسبة لخوض معركة يتسلّم الإمام المعصوم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إنّ هذا الخطّ ـ في الحقيقة ـ هو خط تعميق الرسالة، فكرياً وروحياً وسياسيّاً، للأُمّة نفسها; بغية إيجاد تحصين كاف في صفوفها ، يمنعها من الانهيار بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بإيجاد قواعد واعية في الأُمّة أوّلاً ، وإيجاد روح رسالية ، وعواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الأُمّة ثانياً[١٠٨٥] ، وتوجيهها المستمرّ بشكل مباشر أو غير مباشر ثالثاً.

٤ . حماية الرسالة والأمّة والدولة

إنّ عمل الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) في هذين الخطّين استلزم قيامهم بدور رسالي إيجابي وفعّال على طول الخط لحفظ **الرسالة** و**الأُمّة** و**الدولة الإسلامية** وحماية كلّ من هذه العناصر الثلاثة باستمرار.

وكلّما كان الانحراف يشتدّ كان الأئمّة(عليهم السلام) يتّخذون التدابير اللاّزمة ضدّ ذلك.

وكلّما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية ، وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمّة الهداة(عليهم السلام) إلى تقديم الحلّ ، ووقاية الأُمّة من الأخطار التي كانت تهدّدها.

لذا كان الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) يحافظون على المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي إلى درجة لا تنتهي بالأُمّة إلى الخَطر الماحق لها.

٥ . تعدّد مجالات عمل الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام)

١٠٨٥ ـ راجع أهل البيت (عليهم السلام) تنوّع أدوار ووحدة هدف (للشهيد الصدر) ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، و١٤٧ ، ١٤٨.

لقد تنوّعت اهتمامات الائمّة الأطهار(عليهم السلام) باعتبار تعدّد العلاقات، وتعدّد الجوانب، وتعدد المهامّ التي كانت عليهم ، باعتبارهم قيادة واعية رشيدة ، تريد تطبيق الإسلام وحفظه ، وتضمن خلوده للإنسانية جمعاء.

فالأئمّة المعصومون(عليهم السلام) ـ قبل كل شيء ـ مسؤولون عن صيانة تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وثمار ثورته المباركة ، وجهوده الكريمة المتمثّلة في:

١ . الشريعة والرسالة التي جاء بها من عندالله ، والتي تجسّدت في الكتاب المجيد والسنّة الشريفة.

٢ . الأُمّة التي كوّنها وربّاها بيديه الكريمتين.

٣ . المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده ، والدولة التي أسسها ، وشيّد أركانها.

٤ . القيادة النموذجية التي حقّقها بنفسه ، وربّى من أهل بيته الطاهرين من يكون صالحاً لتجسيدها ، وقادراً على تحقيقها.

٦ . موقف أهل البيت(عليهم السلام) من انحراف الحكّام

لقد كان للأئمّة(عليهم السلام) نشاط مستمرّ تجاه الحكم القائم ، والزعامات المنحرفة ، وقد تمثَّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف بالتوجيه الكلاميّ تارة[١٠٨٦] ، أو بالثورة المسلّحة ضدّه تارة أُخرى[١٠٨٧] ، حينما كان يشكِّل انحرافه خطراً ماحقاً وإن كان يكلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرّة ، ودعمها بشكل وآخر مرّة ثالثة من أجل زعزعة القيادة المنحرفة[١٠٨٨] ، بالرغم من دعمهم المستمر للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الأنظمة الكافرة[١٠٨٩].

٧ . الأُئمّة(عليهم السلام) الأطهار وتربية الأُمّة

كان للأئمّة(عليهم السلام) نشاط مستمرّ في مجال تربية الأمّة عقائدياً وأخلاقياً وعلميّاً وسياسياً ، وذلك من خلال تربية العلماء الصلحاء ، والكوادر المؤمنة ، والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمّة نشر الوعي ، والفكر الإسلامي ، وتصحيح الأخطاء في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيّارات الفكرية الحاقدة والمنحرفة ، أو التيّارات السياسية الخاصّة التي كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته.

لقد قدّم الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) للأُمّة المثل الأعلى للزعامة الصالحة والكفوءة بما يتناسب مع عظمة هذا الدين سموّاً وعطاءً وخلوداً.

١٠٨٦ ـ كالإمام علي (عليه السلام) تجاه الخلفاء الثلاثة، والإمام الحسن (عليه السلام) تجاه معاوية.

١٠٨٧ ـ كالإمام الحسين (عليه السلام) ضدّ يزيد.

١٠٨٨ ـ كموقف الإمام السجّاد (عليه السلام) الايجابي من حركة المختار، وموقف الإمام الصادق (عليه السلام)الايجابي من حركة زيدبن عليّ (عليه السلام)

١٠٨٩ ـ كموقف الإمامين السجّاد والباقر (عليهما السلام) تجاه مشكلة استقلال نقد الدولة الإسلامية.

كما قاموا بجهاد فكري وثقافي كبير من أجل تصعيد درجة وعي الأُمّة ، ودفعها للإيمان بزعامتهم وأحقّيتهم بالخلافة ، وتصعيد درجة إيمانهم بإمامتهم وقيادتهم.

ومن هنا دخل الأئمة الأبرار(عليهم السلام) إلى ساحة الحياة العامّة ، وارتبطوا بالأُمّة عملياً بشكل مباشر ، وتعاطفوا مع قطّاع واسع من المسلمين; فإنّ الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق ـ التي كان يتمتّع بها أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) على مدى عدّة قرون ـ لم يحصل عليها أهل البيت (عليهم السلام) صدفة أو لمجرّد الانتماء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ; وذلك لوجود كثير ممّن كان ينتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)ولم يكن يحظى بهذا الولاء[١٠٩٠].

٨ . سلامة النظرية وتشويه التطبيق:

لقد أخرج الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) الإسلامَ على مستوى النظرية سليماً من الانحراف ، وإن شُوِّهت معالم التطبيق بيد الحكّام المنحرفين. كما حوّلوا الأُمّة إلى أمّة عقائدية ، تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي المعادي ، ممّا جعلها قادرة على أن تسترجع ـ ولو بعد قرون ـ قدرتها وروحها الرسالية ، كما تحقق ذلك في هذا العصر الذي نعيشه ، وهو عصر النهضة الإسلاميّة العالميّة المباركة.

٩ . الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) وبناء الجماعة الصالحة

لقد حقّق الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) كلّ هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم الكبير بتربية الجماعة الصالحة التي تؤمن بهم وبإمامتهم; إذ أشرفوا على:

١ . تنمية وعيها.

٢ . تنمية إيمانها.

٣ . التوجيه المناسب لسلوكها وتمنية ملكة التقوى لديها.

٤ . حمايتها باستمرار.

٥ . إسعافها بكلّ الأساليب التي كانت تساعدها على الصمود في خضمّ المحن.

٦ . الارتفاع بها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي ، يعيش هموم الرسالة ، ويعمل على صيانة الرسالة ، ونشرها وتطبيقها ليل نهار[١٠٩١].

١٠ . مراحل حركة الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام)

وإذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) والظروف المحيطة بهم ، ولاحظنا كلّ سلوكهم بما هم ممثّلون لخطّ واحد ، ودرسنا مجموع مواقفهم العامّة والخاصّة ، استطعنا أن نقسّم مواقفهم وانجازاتهم إلى ثلاث مراحل ، قبل مرحلة غيبة الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام) .

١٠٩٠ ـ كما نلاحظ موقف الحجيج في احترامهم واهتمامهم بالإمام السجّاد (عليه السلام) حينما أفرجوا له المطاف ، ولم يصنعوا مثل ذلك لهشام بن عبدالملك المرواني حيث تركوه يتجرّع الغيظ لعدم اكتراثهم به.

١٠٩١. أُنظر تفصيل هذه النقطة في كتاب دور أهل البيت(عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، للشهيد السعيد السيد محمّدباقر الحكيم(قدس سره).

واليك عرضاً إجماليّاً لهذه المراحل الثلاث:

المرحلة الأُولى: هي مرحلة تفادي صدمة الانحراف بالمحافظة على وحدة الأُمّة أمام الأعداء وتحسيس الأُمّة بعمق ظاهرة الانحراف على مستوى القيادة ، وبدأت هذه المرحلة بُعَيْد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وتجسّدت في مسيرة ومواقف الأئمّة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين(عليهم السلام) ; إذ قام هؤلاء الأئمة الأطهار بجهاد كبير وتضحيات مستمرة باتّجاه حفظ وحدة الكلمة وتعميق الوعي الرسالي تجاه حقيقة الانحراف الحاصل في قيادة التجربة الإسلامية بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) ، وتمخّض عن زرع التحصينات اللاّزمة في الأُمّة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة من الانهيار. وهم وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة ، لكنّهم استطاعوا كشف زيفها ، والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها من الذوبان أمام التيّار الجاهلي الذي خطّط للتحكّم من جديد في رقاب المسلمين.

المرحلة الثانية: وبدأت بالشطر الثاني من حياة الإمام السجّاد(عليه السلام)السياسية حتّى عصر الإمام الكاظم(عليهما السلام)، وتميّزت بأمرين أساسيّين:

١ . هدم تحصينات الخلافة المنحرفة بعد أن بدأ الخلفاء يحصّنون أنفسهم بالدعم الشرعي الذي كان يقدّمه لهم طبقة من المحدِّثين والعلماء الذين عرفوا بـ (وعّاظ السلاطين) حين كانوا يروّجون مشروعية هؤلاء الخلفاء ، ومن خلال تأييد شرعيتهم ، وإظهار الولاء لهم ، وتداول أحاديث موضوعة تسند عرشهم.

وبعد أن استطاع الأئمة(عليهم السلام) في المرحلة الأُولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة ، وأن يحسسّوا الأُمّة بحقيقة الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، استطاع هؤلاء الأئمّة الأربعة(عليهم السلام) أن يكشفوا زيف العلماء المحيطين بالخلفاء ، ويفضحوا واقعهم ومدى انحرافهم عن الخطّ الرسالي الصحيح.

٢ . وأمّا فيما يرتبط ببناء الجماعة الصالحة ـ الذي أُرسيت دعائمه في المرحلة الأُولى ـ فقد تصدّى هؤلاء الأئمّة في هذه المرحلة إلى تحديد الإطار التفصيلي لها ، وإيضاح معالم الخطّ الرسالي الذي اؤتمن الأئمّة(عليهم السلام)عليه ، والذي تمثَّل في تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية الصحيحة وتربية أجيال من العلماء على أساس هذه الثقافة الإسلامية الناصعة في مقابل خطّ الخلافة المخترق ثقافياً وفقهياً وهو خط وعّاظ السلاطين.

أضف إلى ذلك تصدّيهم لدفع الشبهات ، وكشف زيف الفرق المذهبية التي استُحدثت من قبل خطّ الخلافة، بشكل مباشر أو غير مباشر.

ولم يتوان الأئمّة(عليهم السلام) في هذه المرحلة في زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارضه للسلطة ، لا سيما بعض الخطوط الثورية منها ، والتي كانت تتصدّى لمواجهة السلطة بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام).

المرحلة الثالثة: مرحلة التخطيط لاستقلال الجماعة الصالحة في إدارة شؤونها ، وضمان رسالية مسيرتها حتّى تتوفّر الظروف اللازمة لاستلام القيادة من قبل الإمام المعصوم(عليه السلام) ، وهي المرحلة الرابعة التي نسمّيها بمرحلة الانتظار الموجّه أو مرحلة الغيبة ; فإنّه بعد وضع التحصينات اللاّزمة للكتلة الصالحة ، ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها فكرياً وعقائدياً وأخلاقياً وسياسياً في المرحلة الثانية، بدا للخلفاء أنّ قيادة أهل البيت(عليهم السلام) أصبحت خطيرة وبمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، ممّا خلّف ردود فعل شديدة للحاكمين تجاه الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) ، خاصّة إذا لاحظنا وصول الأخبار التي كانت تبشِّر بالمهدي من أهل البيت(عليهم السلام) إلى مسامعهم واقتراب عصر ولادته كما أخبر بذلك النبي(صلى الله عليه وآله)وسائر آبائه الكرام. وكانت مواقف الأئمّة في هذه المرحلة تجاه الحكّام تتناسب مع نوع الموقف الذي كان يتّخذه الخليفة تجاه إمامتهم وشيعتهم وما يتلائم مع طبيعة المرحلة والظروف ومستوى التحدّي لهم ولقيادتهم ورساليّتهم.

١١ . معالم وآفاق الجماعة الصالحة

وأمّا فيما يرتبط بالجماعة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطّها بعد تكوينها وتربيتها وإعدادها، فقد عمل الأئمة الأطهار(عليهم السلام)على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار كي يستحيل القضاء عليها، ثم أعطوها درجة من الاستقلال الذاتي قبل غيبتهم; إذ كان يقدّر الأئمّة(عليهم السلام) أنّهم بعد تصعيد المواجهة المستمرّة ضدّهم من جانب الحكّام لن يُسمح لهم بالمكث الطويل بين ظهرانيهم ، ولن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن يتبيّن للأُمّة زيف خلافتهم ، وتتّضح لهم المكانة الشعبية للأئمّة(عليهم السلام)الذين كانوا يعبّرون عن الزعامة الشرعية الصالحة للأُمّة الإسلامية.

ومن هنا نجد أنّ محاولات التصفية الحقيقية لهم قد تتابعت بسرعة مذهلة كما يمكن ملاحظة ذلك من خلال استشهاد أربعة أئمة ـ أي أربعة أجيال ـ خلال خمسين سنة تقريباً (٢٠٣ ـ ٢٦٠هـ). وفي هذه التصفية المستعجلة دلالة واضحة على مدى خوف الحكّام من تواجد الأئمة الأطهار في الساحة الإسلامية وكون حضورهم العلني فاعلا ومؤثراً تأثيراً سلبياً على خطّ الخلافة ، بالرغم من عدم تظاهرهم بالنشاط السياسي المثير وعدم دعمهم الصريح للثورات المناهضة للحكّام.

١٢ . امتداد خطّ الإمامة على يد الفقهاء الأُمناء على الرسالة

لقد تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع في سلوك الأئمّة لاسيّما بعد الإمام الكاظم(عليه السلام) ، كما نلاحظ إرجاعهم الناس إليهم ، وتدريبهم على مراجعتهم في قضاياهم ومختلف شؤونهم ، تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلاّ الله سبحانه ، والتي أخبر الرسول(صلى الله عليه وآله)عن وقوعها وتحقّقها ، وأملت الظروف الموضوعية عليهم الانصياع إليها إلى أن تتوفّر الظروف الموضوعية اللاّزمة لاستلام الإمام

المعصوم المنتظر زمام الحكم ، وتطبيق أحكام الله الحقّة في الأرض ، وتأسيس الدولة العالمية التي بشّرت بها الأديان الإلهية ، والتي تتحقّق بها أهداف الأنبياء جميعاً.

هل حقّق الأئمة الأطهار(عليهم السلام) **أهداف الرسول العظيم**(صلى الله عليه وآله)**؟**

نعم ، استطاع الأئمّة(عليهم السلام) ضمن تخطيط بعيد المدى أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتي كادت أن تؤدي إلى تنازل الأُمّة عن الإسلام الصحيح ، ثم ضمور الشريعة ، وانهيار الرسالة الإلهية بشكل كامل.

إنّ السبب الحقيقي الذي جعل الأُمّة لا تتنازل عن الإسلام هو أنّ الإسلام قُدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المُثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقُدِّمت هذه الأُطروحة من قِبل الأئمّة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

إنّ هذه الأُطروحة التي قدّمها الأئمّة المعصومون للإسلام لم ينحصر التفاعل معها بالشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت(عليهم السلام)فقط، بل كانت ذات صدىً كبير في كلّ العالم الإسلامي.

وهكذا استطاع الأئمة(عليهم السلام) بتوجيه من الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) أن يقفوا بوجه الانحراف العظيم الذي تعرّضت له الرسالة الإسلامية بعد سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله)[١٠٩٢].

١٠٩٢. انظر : أهل البيت(عليهم السلام) تنوّع أدوار ووحدة هدف ، ص ٧٩ ـ ٨٠.

الفهرس

المدخل:
الهداية الربّانية وحركة الإنسان الإرادية ...٣
ثلاث رؤى ...٦
الفصل الأوّل: محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) **بشارة الأنبياء** ...١١
أهل الكتاب في انتظار خاتم النبيّين(صلى الله عليه وآله) ...١٢
نعت النبي محمّد(صلى الله عليه وآله) ...١٣
البيئة الطاهرة ...١٤
بيئة النبي(صلى الله عليه وآله) في نصوص أهل البيت (عليهم السلام) ...١٥
بيئة النبي (صلى الله عليه وآله) في نصوص المؤرّخين ...١٦
ابن الذبيحين ...١٧
آمنة بنت وهب ...١٧
نشأة خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله) ...١٨
الولادة : زمانها ، مكانها ، وكيفيّتها ...١٩
رضاعه ...٢٠
أسماؤه وكناه ...٢٠
مراحل حياته ...٢١
محطّات في حياة سيّد المرسلين ...٢٢
قبس من فضائل خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله) ومظاهرشخصيّته ...٢٦
١ . في القرآن الكريم ...٢٦
٢ . خاتم النبيين في نصوص سيدالوصييّن(عليه السلام) ...٢٨
٣ . لمحة عن سيرته الذاتيّة ...٣٠
٤ . لمحة عن سيرته الاجتماعية ...٣٠
من مكارم أخلاقه(صلى الله عليه وآله) ...٣١
١ و ٢ : الأُمّي العالِم ...٣١
٣ و ٤: أوّل المسلمين وسيّد العابدين ...٣٢
٥ : الثّقة المطلقة بالله ...٣٣
٦ : الشجاعة الفائقة ...٣٤
٧ . زهد عديم النظير ...٣٥

٨ : الجود والكرم ...٣٦
٩ و١٠ . الحلم والعفو...٣٧
١١ : الحيـاء ...٣٨
١٢ . التـواضع...٣٩
من تراث سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله) ...٤٠
العقل والكمال البشري ...٤٠
العلم حياة القلوب ...٤١
الثقلان : الكتاب والعترة ...٤٢
مواعظ بليغة ...٤٣

الفصل الثاني: سيّد الأوصياء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ...٤٥
نشأة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومراحل حياته ...٤٦
النسب الوضّاء ...٤٦
ولادته المباركة ...٤٧
تسميته وألقابه ...٤٨
تربيته ونشأته ...٤٩
مراحل حياته ...٥٠
انطباعات عن شخصية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...٥٠
قبس من فضائل الإمام عليّ (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته...٥٤
١ ـ الانقياد للحقّ ...٥٤
٢ ـ عبادته (عليه السلام) ...٥٤
٣ ـ زهده (عليه السلام) ...٥٥
٤ ـ مروءته وحلمه (عليه السلام) ...٥٦
٥ ـ فروسية الإمام وشجاعته...٥٧
٦ . التورّع عن الظلم والبغي ...٥٨
٧ ـ الوفاء عند الإمام علي (عليه السلام) ...٥٩
٨ ـ رفق عليّ (عليه السلام)...٥٩
٩ ـ عدل عليّ (عليه السلام)...٦٠
١٠ ـ الكرم والسخاء عند الإمام علي (عليه السلام) ...٦١
١١ ـ الصدق والإخلاص عند علي (عليه السلام) ...٦٢

١٢ـ الثقة بالنفس عند الإمام علي (عليه السلام) ...٦٣
من تراث الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...٦٣
حقيقة السعادة والشقاء...٦٤
مَن هو السعيد؟...٦٤
موجبات السعادة ...٦٤
أسعد الناس ...٦٦
مَنْ هو الشقي؟ ...٦٦
فلسفة الحكم ونظامه ...٦٧
أوّلاً ـ الحكم ضرورة اجتماعية ...٦٧
ثانياً ـ فلسفة الحكم ...٦٧
ثالثاً ـ مهام الدولة الإسلامية ...٦٨
رابعاً ـ عوامل ثبات الحكم وصفات الحاكم النموذجيّ ...٧٠

الفصل الثالث: فاطمة الزهراء(عليها السلام) **أُم الأئمة الطاهرين** ...٧٣
نسبها الكريم ...٧٣
مولدها الشريف ...٧٣
أسماؤها وألقابها ...٧٤
نشأتها ...٧٥
مراحل حياتها ...٧٥
وفاتها وغسلها ...٧٦
دفنها وموضع قبرها ...٧٧
انطباعات عن شخصيّة الزهراء فاطمة (عليها السلام) ...٧٨
١ . الزهراء (عليها السلام) عند سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ...٧٨
٢ . الزهراء (عليها السلام) عند أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة والتابعين ...٨٠
قبس من فضائل الزهراء(عليها السلام) ومظاهر شخصيّتها ...٨٢
علمها ومعرفتها ...٨٣
مكارم أخلاقها ...٨٤
جودها وإيثارها ...٨٥
إيمانها وتعبّدها لله تعالى ...٨٨

حنانها وشفقتها وتدبيرها ...٩٠
جهادها المتواصل ...٩١
من تراث الزهراء فاطمة (عليها السلام) ...٩٢

الفصل الرابع: السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) ...٩٧
النسب المُشرق...٩٧
تاريخ الولادة ...٩٧
ملامحه ...٩٩
مراحل حياته ...١٠٠
نشأته ...١٠٠
انطباعات عن شخصيّة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ...١٠٢
١ . الإمام المجتبى في آيات الذكر الحكيم ...١٠٢
٢ . مكانة الإمام المجتبى لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله) ...١٠٤
٣ . مكانة الإمام المجتبى (عليه السلام) لدى معاصريه...١٠٥
٤ . مكانة الإمام المجتبى (عليه السلام) لدى العلماء والمؤرّخين ...١٠٦
قبس من فضائل الإمام المجتبى (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته...١٠٧
عبادته ...١٠٧
ادعيته ...١٠٨
حلمه...١٠٩
كرمه ...١١٠
حلمه وعفوه ...١١١
كرمه و جوده ...١١٢
تواضعه و زهده ...١١٣
من تراث الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) ...١١٤
١ . العلم والعقل ...١١٤
٢ . القرآن الكريم ...١١٤
٣ . الحديث النبوي ...١١٥
٤ . ولاية أهل البيت(عليهم السلام)...١١٦
من غرر حكمه...١١٧

الفصل الخامس: سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام) ...١٢١
النسب الوضيء ...١٢١
الولادة المباركة ...١٢١
تاريخ الولادة ...١٢٣
ملامحه ...١٢٣
ألقابه وكناه ...١٢٤
نقش خاتمه ...١٢٤
مراحل حياته ...١٢٤
انطباعات عن شخصية الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام) ...١٢٥
قبس من فضائل الإمام الحسين(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...١٢٧
١ . قوة الإرادة...١٢٧
٢ . الإباء عن الضيم ...١٢٨
٣ . الشجاعة ...١٢٩
٤ . الصراحة ...١٢٩
٥ . الصلابة في الحقّ...١٣٠
٦ . الصبر ...١٣٠
الحلم...١٣٢
التواضع...١٣٢
الرأفة والعطف...١٣٢
الجود والسخاء ...١٣٣
عبادته وتقواه ...١٣٤
مواهبه العلمية ...١٣٥
من تراث الإمام الحسين(عليه السلام) ...١٣٧

الفصل السادس: زين العابدين الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام) ...١٤١
النسب المشرق...١٤١
ولادته ورحيله ...١٤١
كناه وألقابه ونقش خاتمه ...١٤٢
مراحل حياته ...١٤٢

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين(عليه السلام) ...١٤٣
قبس من فضائل الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومظاهر شخصيّته ...١٤٦
١ . حلمه ...١٤٦
٢ . سخاؤه ...١٤٧
٣ . حنوّه على الفقراء...١٤٧
٤ . عزتّه وإباؤه ...١٤٩
٥ . زهده ...١٤٩
٦ . عبادته وإنابته إلى الله ...١٥٠
٧ ـ صدقاته...١٥١
من تراث الإمام زين العابدين (عليه السلام) ...١٥٣
من غرر حكمه (عليه السلام) ...١٥٣
نماذج من ادعيته الشريفة...١٥٤
رسالة الحقوق ...١٥٧
عرض إجمالي للحقوق ومراتبها ...١٥٨
تفصيل الحقوق...١٦٠

الفصل السابع: باقر علم النبيّين الإمام محمد بن علي(عليهما السلام) ...١٦٧
نسبه المشرق ...١٦٧
ولادتــه ...١٦٧
تحيات النبي(صلى الله عليه وآله) إلى حفيده ...١٦٨
ملامحه ...١٦٩
هيبته ووقاره ...١٧٠
نقش خاتمه ...١٧٠
مراحل حياته ...١٧٠
قبس من فضائل الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) ومظاهر شخصيّته ...١٧١
١ . العلم...١٧١
٢ . الحلم ...١٧٢
٢ . الصبر ...١٧٣
٤ . تكريمه الفقراء ...١٧٤
٥ . عتقه العبيد...١٧٥

٦ . صلته لأصحابه ...١٧٥
كرمه وسخاؤه ...١٧٥
عبادته ...١٧٦
مناجاته مع الله ...١٧٨
زهده في الدنيا ...١٧٨
من تراث الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) ...١٧٩
١ . من وصيّته(عليه السلام) لجابِرِ بن يزيد الجُعفي ...١٧٩
من غرر حكمه...١٨١

الفصل الثامن: صادق أهل البيت(عليهم السلام) **الإمام جعفر بن محمّد** ...١٨٣
الأُسرة الكريمة...١٨٣
ولادة النور ...١٨٤
تسميته ...١٨٥
أوصافه ...١٨٦
تاريخ ولادته ...١٨٦
ذكاؤه المبكّر ...١٨٧
مراحل حياته ...١٨٧
انطباعات عن شخصية الإمام جعفربن محمّد الصادق(عليه السلام) ...١٨٨
معرفته بجميع اللغات ...١٩٠
هيبته ووقاره ...١٩١
قبس من فضائل الإمام الصادق(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...١٩٢
١ ـ سعة علمه ...١٩٢
٢ ـ كرمه وجوده ...١٩٢
٣ . تواضعه ...١٩٣
٤ . سمو أخلاقه ...١٩٤
٥ . صبره ...١٩٥
٦ . إقباله على العبادة ...١٩٥
من تراث الإمام الصادق(عليه السلام)...١٩٧
١ . من رسالته(عليه السلام) إلى شيعته وأصحابه ...١٩٧
٢ . من كلامه(عليه السلام) الذي سُمّي بنثر الدُّرَر ...١٩٩

من غرر حكم الإمام الصادق (عليه السلام) ...٢٠٢

الفصل التاسع: كاظم الغيظ موسى بن جعفر(عليه السلام) ...٢٠٥
النسب المضيء ...٢٠٥
الوليد المبارك ...٢٠٦
ملامحه ...٢٠٧
كُناه وألقابه ...٢٠٧
مراحل حياته ...٢٠٩
انطباعات عن شخصية الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ...٢١٠
من فضائل الإمام الكاظم(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...٢١٣
١ . وفور علمه...٢١٣
٢ . عبادته وتقواه ...٢١٣
٣ . زهده ...٢١٦
٤ . جوده وسخاؤه...٢١٧
٥ . حلمه ...٢١٩
٦ . إرشاده وتوجيهه ...٢٢٠
٧ . إحسانه إلى الناس...٢٢٢
من تراث الإمام الكاظم(عليه السلام) ...٢٢٣

الفصل العاشر: الرضا المرتضى علي بن موسى(عليهما السلام) ...٢٣١
النسب المشرق...٢٣١
ألقابه وكناه ...٢٣٢
هيبته ونقش خاتمه...٢٣٣
مراحل حياته(عليه السلام) ...٢٣٤
انطباعات عن شخصية الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) ...٢٣٤
انطباعات عن شخصية الإمام الرضا(عليه السلام) ...٢٣٥
قبس من فضائل الإمام الرضا(عليه السلام) ومظاهر شخصيّته ...٢٣٨
١ . تواضعه ...٢٣٨
٢ . زهده ...٢٣٩
٣ . سخاؤه ...٢٤٠

٤ . تكريمه للضيوف ...٢٤١
٥ . عتقه للعبيد وإحسانه إليهم ...٢٤١
٦ . علمه ...٢٤٢
نماذج من علم الإمام الرضا (عليه السلام) ...٢٤٣
عبادته وتقواه ...٢٤٥
تسلّحه بالدعاء ...٢٤٦
من تراث الإمام الرضا٧ ...٢٤٧
من غرر حكمه...٢٤٧

الفصل الحادي عشر: الجواد التقيّ الإمام محمّد بن علي(عليهما السلام)**...٢٥١**
نسبه المشرق ...٢٥١
كنيته وألقابه ...٢٥١
تاريخ ولادته ...٢٥٢
نشأته ...٢٥٢
ذكاؤه ...٢٥٣
مراحل حياته ...٢٥٤
انطباعات عن شخصية الإمام الجواد(عليه السلام) ...٢٥٤
قبس من فضائل الإمام الجواد(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...٢٥٦
١ . العلم والمعرفة...٢٥٦
٢ . العبادة ...٢٥٧
٣ . الزهد ...٢٥٨
٤ . الكرم ...٢٥٩
٥ . الإحسان إلى الناس ...٢٦٠
٦. مواساة الناس ...٢٦١
٧ ـ ادعيته ...٢٦٢
من تراث الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) ...٢٦٣
من غرر حكمه...٢٦٣

الفصل الثاني عشر: الهادي النقيّ الإمام علي بن محمّد(عليهما السلام) ...٢٦٧
النسب المشرق...٢٦٧
تأريخ ولادته ...٢٦٨

تسميته وكنيته وألقابه ...٢٦٨
ملامحه ...٢٦٩
هيبته ووقاره ...٢٧٠
نشأته ...٢٧٠
مراحل حياته ...٢٧١
إمامة الهادي(عليه السلام) المبكّرة ...٢٧٢
تعظيم العلويين له ...٢٧٣
انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمّد الهادي(عليه السلام) ...٢٧٤
من فضائل الإمام علي الهادي(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...٢٧٧
١ . كرمه ...٢٧٧
٢ . زهده ...٢٧٨
٣ . عمله في مزرعة له ...٢٧٩
٤ . إرشاد الضالين ...٢٧٩
٥ . تكريمه للعلماء ...٢٨٠
٦ . عبادته ...٢٨١
٧ . استجابة دعائه...٢٨١
من تراث الإمام الهادي(عليه السلام) ...٢٨٣

الفصل الثالث عشر: الزكي العسكري الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) ...٢٨٩
النسب المشرق...٢٨٩
مكان الولادة وتأريخها ...٢٩٠
تسميته وكنيته وألقابه ...٢٩٠
نشأته ...٢٩١
مراحل حياته ...٢٩٢
١ . حياته مع أبيه ...٢٩٢
٢ . حياته بعد أبيه ...٢٩٣
انطباعات عن شخصية الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ...٢٩٣
قبس من فضائل ومظاهر شخصية الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ...٢٩٧
١ . عبادته ...٢٩٧
٢ . علمه ...٢٩٩
٣ . حلمه ...٢٩٩

٤ . قوّة الإرادة...٣٠٠
٥ . السخاء ...٣٠٠
٦ . سمو الأخلاق ...٣٠١
من تراث الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ...٣٠١

الفصل الرابع عشر: الإمام المهدي المنتظر محمّد بن الحسن(عليهما السلام) ...٣٠٥
الأُصول الكريمة ...٣٠٥
تسميته وألقابه وكنيته ...٣٠٥
تاريخ ولادته ...٣٠٧
عرضه على الشيعة ...٣٠٧
ملامحه وصفاته ...٣٠٧
شبهه بالنبي(عليه السلام) ...٣٠٨
مراحل حياته ...٣٠٩
انطباعات عن شخصية الإمام المهدي(عليه السلام) ...٣١٠
قبس من فضائل الإمام المهدي(عليه السلام) ومظاهر شخصيته ...٣١٢
١ . سعة علومه ...٣١٢
٢ . زهده ...٣١٣
٣ . صبره ...٣١٤
٤ . شجاعته ...٣١٥
٥ . صلابته في الحقّ ...٣١٥
٦ . سخاؤه ...٣١٥
٧ . عبادته ...٣١٦
من تراث الإمام المهدي(عليه السلام) ...٣١٧
١ . دعاؤه للمسلمين ...٣١٧
٢ . دعاؤه لقضاء الحوائج ...٣١٨
٣ . دعاؤه للشفاء من الأسقام...٣١٨
٤ . دعاؤه للفرج ...٣١٩
٥ . دعاؤه لشيعته ...٣١٩
دعاؤه للنبي(صلى الله عليه وآله) ولأئمة الهدى(عليهم السلام) ...٣٢٠
حصيلة المسيرة الرسالية لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) ...٣٢٢

١ . مهامّ أهل البيت(عليهم السلام) الرساليّة ...٣٢٢
٢ . الطريق إلى تحقيق المهامّ الرساليّة...٣٢٣
٣ . موقف الأئمّة الأطهار: من استلام زمام الحكم ...٣٢٤
٤ . حماية الرسالة والأمّة والدولة ...٣٢٤
٥ . تعدّد مجالات عمل الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) ...٣٢٥
٦ . موقف أهل البيت(عليهم السلام) من انحراف الحكّام ...٣٢٥
٧ . الأُئمّة(عليهم السلام) الأطهار وتربية الأُمّة ...٣٢٦
٨ . سلامة النظرية وتشويه التطبيق ...٣٢٧
٩ . الأئمّة الأطهار: وبناء الجماعة الصالحة ...٣٢٧
١٠ . مراحل حركة الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) ...٣٢٨
١١ . معالم وآفاق الجماعة الصالحة ...٣٣٠
١٢ . امتداد خطّ الإمامة على يد الفقهاء الأُمناء على الرسالة ...٣٣١
هل حقّق الأئمة الأطهار(عليهم السلام) أهداف الرسول العظيم(صلى الله عليه وآله)؟ ...٣٣١
الفهرس ... ٣٣٢